علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

المجلد السابع | العدد الثانى | ٢٠٠٤

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علـوم اللغـة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٧، ع٢، ٢٠٠٤

قيمة الاشتراك السنوى:

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد:

٢٠ جنيها مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة:

المراسلات:

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يضم العدد السادس والعشرين من سلسلة علوم اللغة، الذى يصدر بإشراف أ.د/ سعيد حسن بحيرى أستاذ علوم اللغة ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الألسن ـ جامعة عين شمس بحوثاً لغوية فى مجالات مختلفة، إذ يدخل البحث الأول فى مجال النحو، حيث يعالج مسألة نحوية مهمة، لها موضعها فى المؤلفات النحوية الأساسية فى مواضع متفرقة. ويدرس الثانى ظاهرة من أهم الظواهر النصية، وهى ظاهرة التناص أو التفاعل بين النصوص، محاولاً تطبيق الفكرة أو الكشف عنها بجلاء فى نصوص من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف. أما البحث الثالث والأخير فهو محاولة جادة لتأصيل الألفاظ العامية المصرية التى وردت فى كتاب «شفاء الغليل» لشهاب الدين الخفاجى، ومن ثم فهى دراسة تجمع بين الدرس الدلالى والدرس المقارن التأصيلى، يفيد منها فى المقام الأول المعجم العربى.

وهكذا تحاول المجلة الحفاظ على نهجها فى التنوع والثراء والجدة، وفى تشجيع البحث اللغوى الجاد، وفى إثراء المعرفة اللغوية لدى القراء المهتمين باللغة بكل مجالاتها، ولا ننسى أن نؤكد أن «مجلة علوم اللغة» ترحب بنشر الدراسات اللغوية القديمة والحديثة على حد سواء، إذ لا فصل بين الأصالة والمعاصرة إذا ما أريد تحقيق توازن علمى، ونعتذر عن تأخر صدور بعض البحوث لتجاوز كمها طاقة النشر، ولكننا سنحاول نشرها فى الأعداد القادمة بإذن الله،

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

أثر الجوار
في المستويات اللغوية

د. فكري محمد سليمان
قسم اللغة العربية - كلية الألسن
جامعة عين شمس

مقدمة

للجوار أثر واضح في المستويات اللغوية ومنها: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي.

والفصل هنا بين المستويات اللغوية، جاء لغرض الدراسة، فالمستوى الصوتي لا ينفصل عن المستوى الصرفي أو النحوي، فالمستويات اللغوية تنتظم كلها في منظومة واحدة، تؤدي في النهاية إلى المعنى المنشود من التركيب.

فالحروف يُعبّر عنها بأصوات معيّنة، تتألف منها بنية الكلمات، ثم توضع الكلمات في نسق نحوي معيّن تحكمه القرائن والعلاقات، وينتج عن ذلك كله الدلالة المتصاعدة من الجمل.

فالمستوى الصرفي يعتمد اعتمادًا كبيرًا على نتائج المستوى الصوتي، وبخاصة في بابي الإعلال والإبدال، فالتغير الصوتي يتبعه بالضرورة تغيّر في بنية الكلمة من حيث حروفها وحركات هذه الحروف.

والمستوى النحوي (التركيبي) لا يتم بناؤه إلا بتضافر المستويين الصوتي والصرفي معًا، فمستويات اللغة نسيج متكامل يؤدي في النهاية إلى ظهور المستوى الدلالي الذي هو الغرض الأساسي من الكلام.

وتهدف الدراسة إلى بيان أثر الجوار في المستويات اللغوية الثلاثة: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي.

ولم تتناول الدراسة أثر الجوار في المستوى الدلالي؛ لأن الكلمة إذا دخلت في تراكيب لغوية، اكتسبت دلالات متعددة بحسب السياق وظروف الكلام وملابساته. وهذه النقطة تحتاج إلى أبحاث متعددة.

ويتضمن هذا البحث النقاط التالية:

أ- **المستوى الصوتي**، وفيه تحدثت عن أثر الجوار في الإدغام، والقلب، والإبدال.

ب- **المستوى الصرفي**: ويتناول الحديث عن: المحاذاة بين الكلمتين، [الاتفاق في الوزن].

جـ- المستوى النحوي: وفيه تحدثت عن أثر الجوار في الظواهر النحوية الآتية:

١- ظاهرة الإعراب.

٢- ظاهرة العامل.

٣- ظاهرة المطابقة في النوع.

د- **الخاتمة**: وتضم أهم نتائج البحث.

١- المستوى الصوتي:

إن أثر الجوار في المستوى الصوتي يشمل نقطتين هما:

الأولى: تتعلق بحركات بنية الكلمة المتجاورة، الضمة، والفتحة والكسرة.

الثانية: ترتبط بإدغام حرف في حرف آخر قريب منه، كما ترتبط بإبدال حرف من حروف الكلمة بحرف آخر، ليناسب حرفًا مجاورًا له في بنية الكلمة.

قد يتأثر الحرف في بنية الكلمة بحالة الحرف المجاور له في بعض الأحيان، سواء في نوع الحركة، أو في الإدغام، أو في الإبدال.

وقد تحدّث ابن جني في كتابه «الخصائص» عن الجوار فقال: الجوار «في كلامهم على ضربين: أحدهما تجاور الألفاظ، والآخر تجاور الأحوال، فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربين: أحدهما في المتصل، والآخر في المنفصل. فأمّا المتّصل، فمنه مجاورة العين لِلّام بحملها على حكمها. وذلك قولهم في صُوَّم: صيّم؛ ألا تراه قال[1]: إنّهم شبهوا صوّم بباب عصيّ، فقلبه بعضهم. ومثله قولهم في جوّع: جيّع... ومن الجوار في المتّصل قول جرير: **لحبّ المؤقِدان إليَّ مؤسى**[2]

---

(١) أي: سيبويه.

(٢) وعجز البيت: وجعدةُ إذْ أضاءَهما الوقودُ، ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ٢/ ٧٩٠. وفيه يُروى: أَحَبَّ المُؤْقِدينَ إليَّ مُؤْسَى

. . . فإنه تصور الضمة- لمجاورتها الواو - أنها كأنّها فيها فهمزها كما تهمز في أدؤر»[١] .

ففي النص السابق لابن جني يتبين مدى تأثير مجاورة حرف لحرف آخر، فعين الكلمة تجاور لامها، ونتيجة لهذا الجوار تتأثر العين كما تتأثر اللام، ففي قولهم صُيَّم بدلاً من صُوَّم، قلبت الواو ياء حملا على قلبها في قولهم عُصيٍّ بدلاً من عُصُوٍّ، فاللام هنا قلبت ياء، فالتأثير بين لام الكلمة وعينها، يرجع إلى قرب الجوار بينهما.

وفي قول جرير السابق «المؤقدان» و«مؤسى» بهمز الواو، نجد أن ذلك الهمز أيضًا يرجع إلى تأثير الجوار بين الميم المضمومة والواو التالية لها. فقد أعطيت الواو المجاورة للضمة حكم الواو المضمومة «فهمزت كما قيل في وُجوه: أُجوه، وفي وُقتت: أُقتت»[٢] .

فجوار الواو للميم المضمومة ساعد على همز الواو، والواو المضمومة تُهمز كما في قولهم أُجوه بدلاً من وُجوه.

ومن مجاورة العين للام بحملها على حكمها، ومن حمل العين لحكم اللام بسبب الجوار إجازتهم نقل حركة الإعراب إلى الحرف السابق لحرف الإعراب في الوقف؛ « نحو: هذا بكُرْ، ومررت بِبَكِرْ، ألا تراها لما جاورت اللام بكونها في العين صارت كأنّها في اللام لم تفارقها »[٣] .

(١) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجّار، عالم الكتب، بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٣/٢١٨-٢١٩ .

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٧٩١ .

(٣) ابن جني، الخصائص ٣/ ٢٢٠ .

فقد انتقلت حركة الإعراب من لام الكلمة إلى عينها، والذي سوّغ هذا التبادل الحركي بين الحرفين هو قُرب الجوار، وهو ما دفع أبو علي الفارسي إلى أن يقول: « قد يُؤخذ الجارُ بجُرْم الجارِ »[(١)] .

ويبيِّن ابن جني قاعدة صوتية مقتضاها أن الحرف الساكن إذا جاور المتحرك صارت حركته كأنّها فيه، ويعلل لذلك بجواز همز الواو في «الموقدين، وموسى» . يقول: «ومن العرب من يقول في الوقف:

هـذا عَمُـرْ وبَكُـرْ ، ومررت بِعَمِرْ وبَكِرْ

فينقل حركة الراء إلى ما قبلها. وإنّما جاز ذلك؛ لأنه إذا حُرِّك ما قبل الراء، فكأن الراء متحرّكة»[(٢)] .

فانتقال حركة الإعراب إلى الحرف السابق خاص بحالة الوقف، أمّا في حالة الوصل، فيجب ثبات حركة الإعراب على لام الكلمة، يقول ابن جني في موضع آخر: «ألا ترى أن من قال من العرب في الوقف:

هذا بَكُرْ ، ومررت ببَكِرْ

فنقل الضمة والكسرة إلى الكاف في الوقف، فإنّه إذا وصل أجرى الأمر على حقيقته، فقال: هذا بَكْرٌ ومررت ببكْرٍ»[(٣)] .

---

(١) ابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٧٩١، السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبدالإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م ١/ ٣٢٥ .
(٢) ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ١/ ٩٤ .
(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/ ١٧١ .

فتأثير حركة الحرف في سكون الحرف السابق له، يرجع إلى قرب الجوار. ففي قول الشاعر:

أيومَ لم يُقْدَرَ أم يومَ قُدِرْ.

يقول ابن جني: إن فتحة الهمزة كأنّها في الراء الساكنة للجزم «لأنها قد جاورتها، فيصير التقدير كأنّه «أيومَ لم يقْدَرَ أْم» فتسكن الهمزة وقبلها الراء مفتوحة، فتقلب الهمزة ألفًا للتخفيف، فيصير التقدير: «يُقْدَرَ ام» فتأتي الألف ساكنة وبعدها الميم ساكنة، فيلتقي ساكنان، فتحرك الألف لالتقائهما، فتنقلب همزة... وتفتحها لالتقائهما، وكان الفتح هنا حسنًا إتباعًا لفتحة الراء»[1].

فمراحل التغيير بين حركة الراء وحركة الهمزة عند ابن جني في البيت السابق، مرّت بالخطوات التالية:

لم يُقْدَرْ أَم ← لم يقْدَرَ أْمْ ← لم يقْدَرَ امْ ← لم يقدرَ أَمْ ← لم يقْدَرَ أَمْ.

وما ذهب إليه ابن جنيّ في تفسيره السابق فيه تكلف واضح؛ لأنه يرى أن حركة الهمزة وهي الفتحة، انتقلت إلى الراء قبلها لمجاورتها، فأصبحت الهمزة ساكنة، فالتقى ساكنان الهمزة والميم بعدها، وهنا تحركت الألف لالتقاء الساكنين، فانقلبت همزة ثم تفتح إتْباعًا لفتح الراء.

فابن جنيّ يعود بعد كل هذا التفسير المعقّد إلى الحالة الأولى التي كان

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/ ٩٥.

عليها الكلام، وهي نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وهو الراء، وكان يكفيه أن يصف هذه الظاهرة الصوتية بإتْباع حركة الراء لحركة الهمزة، أي بتأثير الحرف الثاني في الأول.

ويلاحظ أن هذا التأثير في كلمتين منفصلتين، إلا أن الجوار تم عن طريق تجاور الحرف الأخير من الكلمة الأولى مع الحرف الأول من الكلمة الثانية.

وهناك تخريج آخر لبعض[1] العلماء، وهو أن الفعل «يقدر» مؤكد بنون التوكيد الخفيفة، وقد حذفت لضرورة الشعر، وبقيت الراء مفتوحة.

ويرى ابن جنيّ أن تفسيره السابق، وإن كان يتسم بالغموض أسهل وأسوغ من حذف نون التوكيد لأمرين:

«أحدهما: أن ذلك لم يأت عنهم في بيت غير هذا...

الآخر: ضعفه وسقوطه في القياس، وذلك أن التوكيد في مواضع الإطناب والإسهاب، ولا يليق به الحذف والاختصار، فإذا كان السماع والقياس جميعًا يدفعان هذا التأويل، وجب إلغاؤه واطّراحه، والعدول عنه إلى غيره»[2].

فاعتراض ابن جنيّ على الرأي السابق لبعض العلماء، وهو أن الفعل «يقدر» مؤكد بالنون الخفيفة، وحذفت للضرورة يرجع إلى:

أ- عدم النظير، بمعنى أن البيت السابق لم يتكرر، ولم يأت له مثيل.

ب- ضعف القياس؛ لأن التوكيد ينافي الحذف.

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/ ٨٩.

(٢) المرجع السابق، ١/ ٩٦-٩٧.

وما ذهب إليه ابن جنيّ لا يتفق مع المنهج الوصفي للظاهرة الصوتية، وقد اعترف هو نفسه بأن تفسيره يتسم باللطف والغموض[١].

ومن تأثير الحرف الأول في الثاني، وهو تأثير تقدّمي، قراءة ابن عامر «أنبِئْهِم»[٢] بكسر الهاء إتْباعًا لكسرة الباء، مع عدم مراعاة الساكن بينهما، لأن الحرف الساكن - وهو هنا الهمزة - حاجز غير حصين، فكأنه غير موجود، يقول ابن جني «وكأنّ كسرة الباء على هذا مجاورة للهاء، فلذلك كسرت، فكأنه على هذا قال: «أنْبِهِم»[٣].

فالساكن حاجز غير حصين لضعفه، ومثال ذلك أيضًا كسر الضمير المسبوق بحرف جر، «فقد روى عن أبي زيد: مِنْهِم، ومِنْهِ، ومِنْكِم»[٤].

بكسر الهاء والكاف إتباعًا لكسر الميم، مع وجود فاصل بينهما وهو حرف النون، إلا أنه حاجز غير قوي، فلا يمنع من تأثير الجوار.

ومنه قولهم «مُنْتُن» بضم التاء إتباعًا لحركة الميم، وهو تأثير تقدّمي، إذ الأصل «مُنْتِن»[٥] بضم الميم وكسر التاء، ولم يعتد هنا أيضًا بالنون الساكنة.

ومن تأثر الحرف الأول بحركة الحرف الثاني، وهو تأثير رجعي ما جاء

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ٩٦.
(٢) سورة البقرة / من الآية ٣٣.
(٣) ابن جني، المحتسب، تحقيق: علي النجدي ناصف، وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ١/ ٧٠.
(٤) المرجع السابق، ١/ ٧١.
(٥) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، د. ت، ٤/ ٩٥.

على وزن فعيل وفَعِل مما كانت عينه حرف حلق، فتكسر فاؤه إتْباعًا لكسر عينه، وذلك في لغة تميم مثل: شِعِير، ورِغِيف، وبِعِير، وزِئِير، ولِئِيم، وسِعِيد، وبِئِيس، ولِعِب، وضِحِك[1] . ومنه قوله تعالى[2]: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [سورة النساء: ٥٨]. بكسر العين إتباعًا للنون، ومنه كسر واو «وعيد» فقد حكى أبو زيد عنهم: الجنّة لمن خاف وِعِيد الله[3] .

ومن إتباع الحرف الأول لحركة الحرف الثاني، قولهم «مِنْتِن» بكسر الميم لمجاورتها التاء؛ لأن النون حرف ساكن، «وهي لخفائها وكونها غنّة في الخيشوم حاجز غير حصين»[4] .

ومنه أيضًا كسر الحاء إتباعًا لحركة اللام في كلمة «حليّهم» في قراءة حمزة[5] والكسائي في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حِلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وكذلك قرأ بكسر الحاء كل من يحيى بن وثاب وطلحة والأعمش[6] وقرأ عبد الله ويحيى والأعمش وحمزة والكسائي[7] كلمة «بكيا» بكسر

---

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ٤/١٠٨ .
(٢) ينظر: ابن جني، الخصائص، ٢/٣٣٦ .
(٣) ينظر: المرجع السابق، ٢/١٤٣،٣٣٦ .
(٤) ابن يعيش، شرح المفصّل، ٤/٩٥ .
(٥) ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط الثانية ١٤٠٠هـ، ص٢٩٤، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ت، ٢/٢٧٢ .
(٦) أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت- لبنان ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م ٥/١٧٦
(٧) المرجع السابق ٧/٢٧٧ .

الباء إتباعًا لحركة الكاف في قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وبكيا﴾ [مريم: ٥٨].

ويعد من التأثير الرجعي أيضًا كل فعل أمر ضمّت عينه في المضارع مثل: اُخرُج، واُنْظُر، واُسْجُد، واُشْكُر، فقد ضمت ألف الوصل إتْباعًا لعين الفعل المضمومة، ليحدث التناسب الصوتي بينهما، مع الرغم من وجود فاء الفعل بينهما، فالجوار محقق لسكون الفاء، والساكن لا يمنع من إتباع الحركات لضعفه، وكذلك تضم ألف الوصل فيما كان ثالثه مضمومًا عند بنائه للمجهول مثل: اُسْتُخرج، اُسْتُعمل، اُنْطُلق.

يقول ابن جني في همزة الوصل: «واعلم أن هذه الهمزة أبدا في الأسماء والأفعال مكسورة، إلا أنّها قد ضمت من الأفعال في كل موضع كان ثالثها مضمومًا ضمّا لازمًا وذلك نحو: اُقْتُل، اُخرُج، اُنطُلق بزيد، اُستُخرج المال.

وحكى قطرب على طريق الشذوذ: اِقتُل، جاء على الأصل، وإنّما ضمّوا الهمزة في هذه المواضع كراهية الخروج من كسر إلى ضمّ، بناء لازمًا، ولم يعتدوا الساكن بينهما حاجزًا، لأنه غير حصين»(١).

فالتناسب الصوتي بين ضمة همزة الوصل وعين الكلمة في الأمر من الثلاثي مضموم العين، جعل التزام الأصل - وهو كسر الهمزة- شذوذًا، كما حكاه قطرب في قوله: اِقْتُل.

والتناسب الصوتي لازم هنا؛ لأن الانتقال من كسر إلى ضمّ مكروه

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/١٢٨.

عند العرب؛ لأنه يناقض السليقة اللغـوية وعلة التناسب والتشاكل هنا هي قرب الجوار بين أحرف الكلمة، وهو المتمثل في ضم همزة الوصل والحرف الثالث من نفس الكلمة، مع أن هناك فاصلاً بينهما، إلا أنه فاصل ضعيف لسكونه، لا يقوى على منع التناسب الحركي بين الحرفين.

وقـد يكون التأثيـر الصوتي في نـوع الحركـة في حرفين من كلمـتين منفصلتين، فيـأتي الجوار بين الحرف الأخيـر من الكلمة الأولى، والحرف الأول من الكلمة الثانية، مـثال ذلك قراءة إبراهيم بن أبي عبلة بضم الدال واللام في الحمدُ لُلّه، بإتباع اللام حركة الدال، فالتأثير هنا تقدّمي.

وروي أيضًا عن زين بن علي والحسن البصـري بكسر الحرفين: الحمدِ لِلّه، بإتباع الدال حـركة اللام، فالتـأثير هنا رجعي. وقـد حكى القراءتين الفراء. والضم لغة بعض بني ربيعة، أما الكسر فهو لغة تميم(١).

ويرجع الإتباع إلى كثـرة الاستعمال، وصعـوبة الانتقال من ضم إلى كِسر.

ويرى ابن جني أن ضم اللام والدال في «الحمدُ لُله» أسهل من كسرها لسببين:

«**أحدهما**: أنه إذا كان إتْباعًـا، فإنّ أقيس الإتباع أن يكون الثـاني تابعًا للأول، وذلك أنه جار مـجرى السبب والمسبَّب، وينبـغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب، فتكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال...

(١) أبو جعـفر النحاس، إعـراب القرآن، تحقـيق: د. زهير غـازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م. ١/ ١٧٠.

والآخر: أن ضمة الدال في «الحمدُ» إعراب، وكسرة اللام في «للّه» بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا قلت: الحمدُ لُله، فقريب أن يغلب الأقوى الأضعف»[1] .

فقد اعتمد ابن جني في ترجيحه حالة ضم الحرفين اللام والدال في «الحمدُ لُله» على كسرهما، وجعل الأولى أسهل من الثانية على أساسين بعيدين عن روح اللغة وهما:

١- القوة والضعف المتمثل في الإعراب والبناء، وحرمة الأول وهو الإعراب على الثاني وهو البناء.

٢- السبب والمسبّب، بمعنى أن يكون الثاني تابعًا للأول؛ لأنه نتيجة له. وهو هنا يمنطق اللغة، ويجعل عناصرها تخضع للعلة والمعلول، وكان عليه أن يبعد عن المعيارية في وصف ظاهرة صوتية تعتمد على التلقائية والعفوية في إطلاق الحركات في بعض اللغات كلغة بني تميم.

ولقد وصف أبو جعفر النحاس حالة الاتساق الصوتي، وتوافق الحركات بالخفة والسهولة، لحدوث التناسب التنغيمي بينهما فقال: «والكسرة مع الكسرة أخف، وكذلك الضمة مع الضمة فلهذا قيل: الحمدُ لُلّه»[2] .

وقد يتأثر الحرف قبل الأخير بحركة الحرف الأخير فيشاركه الضمة في حالة الرفع، والفتحة في حالة النصب، والكسرة في حالة الجر، حتى

---

(١) ابن جني، المحتسب، ١/ ٣٧-٣٨ .

(٢) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ١/ ١٧٠ .

يحدث التوافق الحركي، والتجانس الصوتي بينهما، وذلك في كلمتين هما: «امرؤ» و«ابنم». يقول سيبويه: «هذا باب ما يكون الاسم والصفة بمنزلة اسم واحد ينضم فيه قبل الحرف المرفوع حرف، وينكسر فيه قبل الحرف المجرور، الذي ينضم قبل المرفوع، وينفتح فيه قبل المنصوب ذلك الحرف، وهو «ابنُم» و«امرُؤ» فإن جررت قلت: في ابنِمٍ وامرِيءٍ، وإن نصبت قلت: ابنَماً وامرَأً، وإن رفعت قلت: هذا ابنُمٌ وامرُؤٌ»[1].

فالراء في الأمثلة السابقة جاءت تابعة للهمزة التي هي حرف الإعراب؛ لأن الإعراب يكون في الحرف الأخير من الكلمة، وهو تأثير رجعيّ، فقد أثر الحرف الثاني في الأول. وإنما اتفقت حركة الراء مع الهمزة ليحدث التجانس الصوتي بينهما تقول:

«هذا امرُؤٌ، ومررت بامرِيءٍ، ورأيت امرَأً، فتكون الراء تابعة للهمزة»[2].

فالراء والنون في كلمتي «امرؤ وابنم» يتبعان الهمزة والميم في حركتيهما في أنواع الإعراب الثلاثة، وهذا الإتباع بين الحرف الأخير وما قبله خاص بهاتين الكلمتين، فلا «ثالث لهما في إتباع العينُ اللامَ»[3].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٢/٢٠٣.

(٢) المبرِّد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٨هـ، ٤/٢٣١.

(٣) السيوطي، الأشباه والنظائر في النّحو، ١/١٦.

القلب:

وبسبب علاقة الجوار تتأثر النون الساكنة بالباء التالية لها سواء أكان هذا الجوار في كلمة واحدة، أم كان في كلمتين منفصلتين بحيث تكون النون الساكنة، أو التنوين في نهاية الكلمة الأولى، والباء في بداية الكلمة الثانية، وينتج عن هذا التأثر قلب الباء إلى حرف آخر هو الميم، والعلة هنا هي اتفاق المخرج بينهما، فهما حرفان شفويان «وهذا ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب»(١) .

ويقول السيوطي: «والإقلاب عند حرف واحد هو الباء نحو: (أنبئهم) (من بعدهم) صمّ بكم) بقلب النون والتنوين عند الباء ميمًا خاصة»(٢) .

وأمثلة ذلك القلب في القرآن قوله تعالى:

- ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ﴾ [سورة الفتح/ من الآية ٢].
- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [سورة يس/ من الآية ٦٩].
- ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب/ من الآية ٢٠].
- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة فاطر/ من الآية ٨].
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [سورة البقرة/ من الآية ٥٦].
- ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الواقعة/ من الآية ٢٤].

---

(١) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مكتبة الخانجي، دار الرفاعي بالرياض، ط. الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، ص٣٥ .

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، د. ت، ١/ ٩٦ .

وفي قلب النون مع الباء ميمًا يقول سيبويه: «وتقلب النون مع الباء ميمًا؛ لأنها من موضع تعتل فيه النون، فأرادوا أن تدغم هنا إذْ كانت الباء من موضع الميم، وذلك قولهم: مَمْبك، يريدون: مَنْ بك»[1] .

فسبب قلب النون مع الباء ميمًا هو اتفاق المخرج بين الباء والميم، فأبدلوا النون حرفًا يشبهها وهو الميم، ويبيِّن سيبويه لماذا لم تقلب النون باء، فيذهب إلى أن السبب هو بعد[2] المخرج بين النون والباء، وخُلوّ الباء من الغنَّة، فعدم قرب المخرج بين الحرفين يمنع حدوث القلب.

وبسبب علاقة الجوار تتأثر السين لمجاورتها الطاء، فتقلب السين صادًا، كما في بعض القراءات، مثل قوله تعالى:

- ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور/ ٣٧].
- ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [سورة الغاشية/ ٢٢].

فقد قرأ[3] بعض القراء (المصيطرون، بمصيطر) بالصاد، وقرأ ابن كثير المسيطرون (بالسين) و«بمصيطر» بالصاد[4] .

وبسبب تأثير الجوار، قلبت الواو ياء في قولهم: قِنْية، وصِبْية، والقياس قِنْوة، وصِبْوة، لأنهما من قَنَوْت، وصَبَوْت، فقد تأثرت الواو

(١، ٢) سيبويه، الكتاب ٤/ ٤٥٣ .

(٣) وهم: نافع، وعاصم، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة، إلا أن حمزة يشمها الزاي. ينظر: ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص٦١٣ .

(٤) المرجع السابق والصفحة نفسها.

بالكسرة، مع وجود فاصل بينهما، إلا أنه ساكن «ولم يُعْتَدّ الساكن حاجزًا لضَعْفه»[1] .

والقاعدة الصرفية تقول: إذا تطرفت الواو أو الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة مثل: **كساو ← كساء**

بناي ← بناء

وإذا جاورت الواو الطرف قلبت أيضًا همزة مثل قولهم: أوائل[2]، والأصل أواول، فقرب الجوار هنا من الطرف ساعد على القلب، فإذا بعدت الواو عن الطرف لا تقلب همزة مثل: طواويس، فالجوار هنا هو سبب قلب الواو همزة.

الإدغام:

من أثر الجوار إدغام حرف في حرف آخر ليحدث نوع من المماثلة Assimilation، والسبب في هذا الإدغام هو قرب المخرج بين الصوتين المتماثلين.

والإدغام ينقسم إلى قسمين: إدغام كامل، وإدغام ناقص. والإدغام الناقص لا يتم فيه «فناء أحد الصوتين، بل يترك الصوت بعد فنائه أثرًا يُشعر به، كما هو الحال في الإدغام مع الغنّة»[3] .

---

(١) ابن جني، المنصف لكتاب التصريف للمازني، تحقيق: محمد عبد القادر، وأحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص٢٨٨ .

(٢) ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، القسم الأول، ص٤٢٣ .

(٣) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م، ص١٨٦ .

ويحدث الإدغام الناقص حين تلتقي النون المشكّلة بالسكون بالياء أو الواو مثل:

من يقول ← ميّقول.

من وال ← موّال.

فالجوار هنا الواقع بين الحرف الأخير من الكلمة الأولى، والحرف الأول من الكلمة الثانية، أدى إلى نوع من التأثير، فأدغم الحرف الأول في الثاني، وهو تأثير رجعي. أما الإدغام الكامل فلا يلحظ معه أثر للصوت المدغم.

ومن التأثير الرجعي، إدغام لام هل وبل في حرف الراء، نحو قولك: هرّأيت.

«لأنها أقرب الحروف إلى اللام، وأشبهها بها، فضارعتا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد، إذ كانت اللام ليس حرف أشبه بها منها ولا أقرب... وإن لم تدغم فقلت: هل رأيت فهي لغة أهل الحجاز وهي عربية جائزة»[١].

«فالراء صوت لثوي مجهور مكرر، واللام صوت أسناني لثوي مجهور جانبي»[٢] فهما حرفان من مخرج واحد، ويتفقان في صفة الجهر، لذلك فالراء أقرب الحروف إلى اللام، وقد ساعد التقارب في المخرج،

---

(١) سيبويه، الكتاب، ٤/٤٥٧.

(٢) د. كمال محمد بشر، علم اللغة العام، القسم الثاني الأصوات، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م، ص١٢٩.

وقرب الجوار في حدوث الإدغام وهو فناء الحرف الأول في الثاني، حتى صارا حرفًا واحدًا هو الراء، فالتأثير هنا تأثير رجعي.

ويرى سيبويه أن لام هل وبل يجوز إضغامهما مع الطاء والدال والتاء والزاي والسين والصاد، ولكن ليس ذلك بكثير مثل الراء، ويجوز إضغام لامهما أيضًا مع الظاء والثاء والذال، ولكن لا يحسن كحسنه مع الطاء وأخواتها، يقول: «وإنما جعل الإضغام فيهن أضعف، وفي الطاء وأخواتها أقوى؛ لأن اللام لم تسفل إلى أطراف اللسان، كما لم تفعل ذلك مع الطاء وأخواتها، وهي مع الضاد والشين أضعف، لأن الضاد مُخرجها من أول حافة اللسان والسين من وسطه»[1] .

فالقوة والضعف في الإدغام يرتبطان عند سيبويه بقرب المخرج أو بُعده بين الحرفين المدغمين. فاللام لا تسفل عند طرف اللسان حال النطق بها، بل تكون قريبة من اللثة فهي صوت أسناني لثوي، لذا فهي تتفق مع الطاء وأخواتها، فالإدغام هنا قوي.

أما أحرف الظاء والثاء والذال، فيسفل اللسان حال النطق بها، لذلك فهي أبعد مخرجًا من اللام بالقياس مع الطاء وأخواتها، وكذلك بُعد مخرج كل من الشين والضاد عن مخرج اللام، أدى إلى وصفهما بالضّعف عند سيبويه حال إدغامهما في اللام. فكلما اقترب مخرج الحرفين قوي الإدغام، وكلما بَعُد المخرج بينهما أدى هذا إلى وصف الإدغام بالضعف.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ٤٥٨ .

وقد مثّل سيبويه لإدغام لام هل وبل مع الشين، والثاء والتاء ببيت من الشعر، وببعض القراءات القرآنية وذلك على النحو التالي[1] :

قول طريف بن تميم العنبريّ:

تقول إذا استهلكتُ مالاً لِلذّة

فكيهةُ هَشَّئُ بكفيك لائق

يريد: هل شيء؟ فأدغم اللام في الشين.

وقراءة أبي عمرو: «هَثُّوبَ الكفّار» يريد: هل ثوّب الكفّار. فأدغم في الثاء. وقد قرئ بالتاء: «بتّؤثرون الحياة الدنيا» فأدغم اللام في التاء.

ونذكر هنا بعض الأمثلة من القرآن الكريم لتجاور لام «بل» مع بعض الأحرف التي تدغم فيها وهي: الطاء، والزاي، والسين، قوله تعالى:

- ﴿**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**﴾ [سورة النساء/ ١٥٥].
- ﴿**بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ**﴾ [سورة الرعد/ ٣٣].
- ﴿**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا**﴾ [سورة يوسف/ ٨٣].

وهذا الإدغام ما كان يحدث لولا تجاور الحرفين المدغمين، فقرب الجوار، وكذلك قرب المخرج والصفة، كل ذلك ساعد على حدوث الانسجام الصوتي بين الحرفين، وبالتالي في حدوث الإدغام.

كما تدغم لام التعريف في ثلاثة عشر حرفًا، ويرجع هذا الإدغام أيضًا إلى الجوار بين لام التعريف والحرف التالي لها.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ٤٥٨-٤٥٩ .

يقول سيبويه: «ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفًا، لا يجوز فيها معهنَّ إلا الإدغام، لكثرة لام المعرفة في الكلام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان، وهذه الحروف أحد عشر حرفًا منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان. . . والأحد عشر حرفًا: النون والراء والدال والتاء، والصاد والطاء، والزاي، والسين، والظاء والثاء والذال. واللذان خالطاها: الضاد والسين؛ لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء، وذلك قولك: النّعمان والرّجل، وكذلك سائر هذه الحروف»(١).

فسبب الإدغام عند سيبويه - في النص السابق- يرجع إلى أمرين:

الأول: كثرة استعمال لام التعريف.

الثاني: اتفاق المخرج أو قربه بين لام التعريف والحروف التي أُدغمت فيها.

فمن هذه الحروف ما يخرج من بين الأسنان مثل: ذ، ظ، ث، ومنها ما يخرج من الأسنان مع اللثة، مثل: د، ض، ط ، ت، ز، س، ص.

ومنها ما هو لثوي، مثل: ل، ر، ن ، ش .

ويضاف إلى اتفاق المخرج أو قربه عامل مهم آخر هو قرب الجوار، فلولا تجاور اللام لهذه الحروف ما تم الإدغام بينها وبين ما يجاورها من الحروف اللسانية أو اللسانية اللثوية.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ٢٥٧ .

مثال ذلك: **الرّجل**.

فقد أدغمت اللام في الراء، أي أن الراء أثرت في اللام، فالتأثير هنا تأثير رجعيّ.

والإدغام يتمثل هنا كتابة عن طريق الشدّة (ّ) التي توضع على الحرف المدغم فيه اللام، و«مصطلح التشديد تعبير عن تلك العلاقات التي توضع في الكتابة فوق الحرف فتفيد تكراره، أو بمعنى أدق أنه يستغرق ضعف الزمن الذي يستغرقه نفس الصوت مفردًا دون تشديد»[1] .

وللجوار أيضًا أثر واضح في إدغام الحرفين المتفقين في المخرج. يقول سيبويه: «وممّا يدغم إذا كان الحرفان من مُخرج واحد وإذا تقارب المخرجان قولهم:

يطّوعون في يتطوعون.

ويذّكرون في يتذكرون.

ويسّمعون في يتسمعون»[2].

فالإدغام تم هنا بين التاء وكل من الطاء والذال والسين والأحرف الثلاثة التاء والطاء والسين مخرجها واحد، فكل منها صوت لساني لثوي، والذال تقترب في مخرجها مع الحروف الثلاثة السابقة، فهي حرف أسناني، والفرق بين الحروف الأربعة السابقة ينحصر فقط في صفة من الصفات.

---

(١) د. محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص١٨ .

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/ ٤٧٤ .

فالفرق بين التاء والطاء يكون في الترقيق والتفخيم، «فالتاء صوت لثوي شديد مهموس مرقّق، والطاء صوت لثوي شديد مهموس مفخّم»(١).

والفرق بين التاء والذال يكون في الهمس والجهر، فالأولى مهموسة والثانية مجهورة، والفرق بين التاء والسين في الشدة والرخاوة، فالأولى حرف شديد يحدث عند نطقة انفجار بعد الانحباس، والثاني حرف رخو يسمح بمرور الهواء عند النطق به.

والفرق بين الحرفين المدغمين في صفة من الصفات لا يمنع من حدوث الإدغام، فالأساس في الإدغام هو الاتفاق في المخرج أو التقارب فيه، بالإضافة إلى ذلك قرب الجوار، فالجوار عامل أساسي أيضًا في حدوث المماثلة الصوتية.

ولقرب المخرج بين كل من النون والميم، تدغم الأولى في الثانية إذا تجاورتا، ففي نحو:

أمّا أنت منطلقا انطلقت

المحذوف هنا هو «كان» وحدها، وأصل التركيب:

انطلقت لأن كنت منطلقا

فقدّمت اللام للاختصاص، فصار التركيب: لأن كنت منطلقا انطلقت يقول ابن هشام: «ثم حُذفت اللام للاختصار، ثم حُذفت «كان»

(١) د. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. الثانية ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٦١.

لذلك، فانفصل الضمير، ثم زيدت «ما» للتعويض، ثم أُدغمت النون في الميم للتقارب»[1] .

فقرب المخرج وكذلك قرب الجوار ساعدا على حدوث إدغام النون في الميم.

فقد حدثت بعض العمليات التحويلية، التي أدت في النهاية إلى حدوث الإدغام، وهي تحويل:

١- عن طريق التقديم، فقد قدمت اللام وما بعدها للاختصاص.

٢- عن طريق الحذف، فقد حُذفت اللام للاختصار، ثم حذفت كان كذلك.

٣- عن طريق الزيادة، فقد زيدت «ما» عوضًا عن كان المحذوفة.

٤- عن طريق الإدغام، فقد أُدغمت النون في الميم للتقارب في المخرج والموضع.

الإبدال:

تبدل تاء «افتعل» حرفا يناسب فاء الكلمة، وذلك في موضعين:

الأول: تقلب التاء طاء، إذا كانت فاء «افتعل» صادًا أو ضادًا، أو طاء أو ظاء، نحوه: اضطهد.

الثاني: تقلب التاء دالاً، إذا كانت فاء «افتعل» ذالاً أو زايًا أو دالاً، نحو: ازدهر.

---

(١) ابن هشام، أوضح المسالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط الخامسة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ١/ ٢٦٤ .

والغـرض من الإبـدال في الموضع الأول يرجع إلى تقـارب الحـرفين المتجاورين في صـفة الإطباق، فإذا صُـغنا «افتعل» من الفعل «صـبر» كان الأصل والقياس «اصـتبر» وهنا يلاحظ أن الصاد حـرف مطبق (مفخّم) أي يرتفع طرف اللسـان - عند الـنطق به- إلى الحنك الأعلى، والتـاء حـرف مـرقّق، لا يرتفع طرف اللسـان نحـو الحنك حـال النطـق به. ولكي يتم التقارب الصوتي بين الحرفين، وتسهل عـملية النطق، تبدل التاء إلى صوت يقاربها في المخرج، ويتفق في نفس الوقت مع «الصاد» في صفة الإطباق، حتى يكون عمل اللسان من وجه واحد، والبديل هنا هو حرف الطاء؛ لأن الطاء أخت التاء في المخرج، وأخت الصـاد في التفخيم، فتتحـول الصيغة إلى «اصطبر».

فالأصل اصتبر (ص + ت)

(مطبق + مرقق)

تحول إلى اصطبر (ص + ت)

(مطبق + مطبق)

ومثل ذلك:

اضطرب من ضرب

و اطّرد من طرد

و اظطلم من ظلم

وأصل ذلك: اضـترب، واطترد، واظتلـم، والتاء هنا صـوت مرقّق،

وقد سبق بصوت مطبق (مفخّم) «فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه»[1] .

وهنا لابد من إبدال التاء بحرف يناسب ما قبله في صفة الإطباق، حتى يتم التجانس والتقارب الصوتي بينهما.

يقول ابن جني: «وأما "اضطرب" فأصله "اضترب" فقربوا التاء من الضاد، بأن قلبوها طاء، لتوافقها في الاستعلاء، فقالوا: اضطراب»[2] .

والقلب هنا واجب عند ابن جني يقول: «إنّ تاء "افتعل" إذا كانت فاؤه صادًا أو ضادًا أو طاء أو ظاء يقلب طاء البتة لابدّ من ذلك»[3] .

أما سبب الإبدال في الموضع الثاني، فيرجع إلى الخلاف بين الهمس والجهر المتمثل في تاء «افتعل» وفائها في نحو:

ازتان	من	زان .
و ازدجر	من	زجر .
و ادتكر	من	دكر .

والتاء صوت مهموس لا تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به، ولكي يتم التقارب الصوتي بين التاء وفاء الكلمة تقلب التاء إلى حرف يقاربها في المخرج، ويتفق مع ما قبلها في الجهر، ليحدث نوع من

(١) ابن يعيش، شرح المفصّل ١٠/ ٤٧ .
(٢) ابن جني، المنصف، ص٥٤٣ .
(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/ ٢٢٩ .

التجانس الصوتي، فتقلب التاء دالاً؛ لأن التاء تشارك الدال في كل خصائصها النطقية عدا الجهر، فإذا نطق المتكلم بحرف من حروف الجهر مثل: الذال أو الزاي أو الدال، واستمر توتر الأوتار الصوتية، نتج عن هذا قلب التاء دالاً، فالتاء المهموسة حين تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بها تصير دالاً، فينطق المتكلم الكلمات السابقة على هذا النّحو:

ازدان ، ازدجر ، ادّكر

فالأصل ازتان	**(ز + ت)**
	(مجهور + مهموس)
تحول إلى ازدان	**(ز + د)**
	(مجهور + مجهور)

والغرض هنا من تقارب الحرفين هو حدوث الخِفّة، وسهولة النطق، يقول سيبويه: «وكما أنّهم إذا أدنَوْا الحرف من الحرف كان أخفّ عليهم، نحو: ازدان، واصطبر»[1] .

فسيبويه لم يتمسك بالقياس في صوغ «افتعل» في النص السابق، بل ربط الصيغة بالواقع اللغوي، والتجربة الذاتية عند المتكلم، ووصف الصيغة المنطوقة «اصطبر» بالخفة وسهولة الأداء، فتفسير سيبويه هنا «يستقيم في مجموعه مع البحث اللغوي الحديث»[2] .

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ٣٣٥ .

(٢) د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٨م، ص٥١، وعلم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص٣٨ .

وهناك امتداد لتأثير الحرفين المتجـاورين في صيغة «افتعل» يحدث عن طريق الإدغام في نحو:

ظلم ← اظتلم ← اظطلم ← اظّلم
أو اطّلم

ذكر ← اذتكر ← اذدكر ← اذّكر
أو ادّكر

صلح ← اصتلح ← اصطلح ← إصّلح

كقراءة عاصم الجحدريّ «أن يصّلحـا». أراد يصطلحا أي يفتعلا، فآثر الإدغام، فأبدل الطاء صاداً، ثم أدغم فيها الصاد[1] .

ويحدث هذا الإدغام نتيجة لقرب موضع الحرفين، يقول سيبويه:

«... كمـا أن الحرفين إذا تقارب مـوضعهـما، كـان رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم فـيدغمونه»[2] ، وقد حكى أبو عـمرو[3] عن العرب: اذدكر وهو مذدكر بدون إدغام.

وقد تبدل تاء «افـتعل» حرفا من جنس فاء الكلمـة، ثم يدغم الحرفان مثل: «اصبّر». يقول المازني: «ومن العرب مـن يبدل التاء على ما قبلها، فيقولك اصبّر، واصلّح، واضرّب»[4] .

والأصل اصتـبر، واصتلح، واضـترب، والتاء حـرف مهمـوس سبق

---

(١) ابن جني، المحتسب ٢٠١/١ .

(٢) سيبويه، الكتاب ١٢٩/٤ .

(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٩٩/١ .

(٤) ابن جني، المنصف ص٥٤٣ .

بحرف مطبق، فأبدلوا التاء الزائدة حرفا من جنس ما قبلها، ثم تم إدغام المثلين.

ويلاحظ أن الإبدال في الحالة الثانية، وهي إبدال التاء دالاً لتناسب ما قبلها في الجهر، ليس بلازم، فقد سُبقت التاء بحرف مجهور في أمثلة أخرى، ومع ذلك بقيت التاء في صيغة «افتعل» دون إبدال، مثل:

ابتسم، اجتمع، ارتحل، اعتور، اغتصب، التحم، امتنع، انتصر.

فبرغم أن التاء المهموسة سبقت في المثل السابقة بأحرف مجهورة، إلا أنّها لم تبدل بحرف مجهور يناسب ما قبله، إلا أنه سُمع إبدال التاء دالاً بعد الجيم[1] في نحو:

اجتمع ← اجدمع

اجتز ← اجدزّ

إلا أن هذا الإبدال سماعي، ولا يجوز القياس عليه، يقول ابن جنيّ: «وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات قالوا: اجدمعوا في اجتمعوا، واجدزّ في اجتزّ، وأنشدوا

فقلت لصاحبي لا تحسبانا ... بنزع أصوله واجدَزّ شِيحَا

---

(١) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٨٧-١٩٦٧م، ص٣١٢.

ولا يُقاس ذلك إلا أن يسمع، لا تقول في اجترأ: اجدرأ، ولا في اجترح: اجدرح»[1] .

فالجهر والهمس صفتان تؤثّران في عملية الإبدال، فإذا تجاور في كلمة حرفان أحدهما مجهور والآخر مهموس، فلا يحدث التأثر بينهما إلا إذا اختلفا في صفة أخرى اختلافًا كبيرًا، فيؤثّر أحدهما في الآخر، وغالبًا ما يؤثر الصوت المجهور في المهموس؛ لأن الجهر أقوى من الهمس.

ففي صيغة «ابتسم» نجد أن الباء صوت مجهور، والتاء صوت مهموس، ولم يؤثر أحدهما في الآخر، وبقيت الصيغة دون إبدال؛ لأنّهما لم يختلفا في صفة أخرى، فكلاهما صوت شديد مرقّق.

وفي صيغة «اغتصب» نجد أن الغين صوت مجهور، والتاء صوت مهموس، وقد اختلفا في الرخاوة والشدة، فالغين صوت رخو، والتاء صوت شديد، إلا أن رخاوة الغين قليلة، لذلك بقيت الصيغة دون إبدال.

أما الزاي والذال، فتبدل معهما التاء قياسًا؛ لأن رخاوتهما كبيرة، فالاختلاف واضح في الرخاوة والشدة بينهما، وبين التاء الشديدة، وربما يكون هذا هو السبب «في اقتصار التأثر المألوف في صيغة «افتعل» على المبدوء بالزاي والذال»[2] .

كما تتأثر التاء بما يجاورها من صوت مفخّم في صيغة «فعلتَ» فالتاء

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/١٩٨ .

(٢) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص١٨٤ .

هنا تشغل وظيفة الفاعل، وتعد جزءاً من الكلمة والحرف المتقدّم عليها هو لام الفعل، وتبدل التاء طاء هنا في نحو:

فحَصْتَ ← فحَصْطَ

حِصْتَ ← حِصْط

وفي إبدال التاء طاء، إذا وقعت بعد حرف مطبق مثل الصاد والطاء في صيغة «فعلتَ» يقول سيبويه: «وقد أبدلت الطاء من التاء في فعلتَ... وهي لغة تميم: قالوا: فحصط برجلك، وحِصْط، يريدون: حِصتَ، وفحصتَ والطاء كالصاد»[1].

ومثال ذلك من الشعر، قول الشاعر:

في كل حيٍّ قد خَبَطَّ بنعمةٍ　　　فحُقّ لشأسٍ من نداك ذَنُوبُ

فقد أراد الشاعر: خَبَطْتَ. وقد رُوي البيت بالتاء في لسان[2] العرب. ويرى ابن جنيّ أن الرواية بالتاء «خبطت» هي أقيس[3] اللغتين، وذلك لأن التاء هنا ليست متصلة بما قبلها اتصال تاء افتعل.

وتاء «فعلتَ» قد شبّهها بعض العرب بتاء «افتعل» ووجه الشبه أنها اسم الفاعل «والفاعل وإن كان منفصلاً من الفعل، فإنه قد أجرى في مواضع مجرى بعض حروفه»[4].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ٢٣٩-٢٤٠.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة «شأس».
(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣١.
(٤) ابن جني، المنصف ص٥٤٧، وينظر: سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣١.

وسبب الإبدال هنا هو الخلاف الواقع في صفة الإطباق وعدمه بين لام الفعل، وتاء الفاعل، فلام الفعل صوت مفخّم، وتاء الفاعل صوت مرقّق، ولحدوث التجانس الصوتي، يقلب حرف التاء طاء، لتتم المماثلة الصوتية بينهما، والمماثلة الصوتية نوع من «التغيّرات الصوتية المشروطة. . . تحدّدها طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغيّر»[1].

* * *

(١) د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص٥١ .

المستوى الصرفي:

هناك تأثير آخر للجوار يرتبط بالمستوى الصرفي ، أي يتعلق بوزن الكلمة ، فنرى توافقًا في الوزن بين الكلمتين المتجاورتين، ليحدث نوع من التناسب الوزني، كما في الإتباع «وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورويِّها إشباعًا وتوكيدًا»[١] .

فمثال الإتباع قولهم:

- أسوان أتوان .	في الحزن	القالي، الأمالي ٢/٢٠٨، ٢١٠
- كثير بثير .	فالبثير هو الكثير	
- ضئيل بئيل .	فالبئيل هو الضئيل	
- شيطان ليطان .		
- ساغب لاغب .		الثعالبي، فقه اللغة ص ٤١٣
- جائع نائع .		
- عطشان نطشان[٢] .		

فقد أتبع العرب الكلمة الثانية الأولى «لأنهم أرادوا أن يؤكدوا الكلام، فكرهوا إعادة اللفظة بعينها، فغيّروا بعض حروفها، وتركوا الأكثر، ليعلموا أنهم في توكيد الأول»[٣] .

---

(١) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص٤١٣، وابن فارس، الصاحبي، تحقيق: أحمد صقر، عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة، د.ت ص٤٥٨ .

(٢) عطشان نطشان. إتباع له لا يفرد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «عطش».

(٣) ابن جني، المنصف ، ص٥٤١ .

ففي الأمثلة السابقة غُيِّر الحرف الأول من الكلمة الثانية، وتركت باقي الأحرف، ليحدث نوع من التوافق الوزني بين الكلمتين، ولتكون الثانية مؤكدة لمعنى الأولى، بدلاً من إعادتها مرة ثانية، فقد رُوي «أنّ بعض العرب سُئل عن هذا الإتباع فقال: هو شيء نتد به كلامنا»[1] أي نثبته ونؤكّده.

ومن باب اتفاق الكلمتين في الوزن قولهم:

الغدايا والعشايا

فقد جاءت كلمة الغدايا موازية لكلمة العشايا، وهو ما أطلق عليه ابن فارس المحاذاة، يقول: «معنى المحاذاة: أن يجعل كلام بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظًا، وإن كانا مختلفين، فيقولون: «الغدايا والعشايا» فقالوا: «الغدايا» لانضمامها إلى «العشايا»[2].

فالجوار بين الكلمتين السابقتين كان سببًا في حدوث المحاذاة اللفظية بينهما. فكلمة «غداة» لا تجمع على الغدايا، وإنما تجمع جمع مؤنث على «غدوات» ولكنهم كسّروه على «الغدايا» «ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا، فإذا أفردوه لم يكسّروه»[3].

فجوار كلمة «الغداة» لكلمة العشايا، هو الذي أباح تكسيرها على

---

(١) ابن فارس، الإتباع والمزاوجة، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د. ت ص٢٨، والصاحبي ص٤٥٨.

(٢) ابن فارس، الصاحبي، ص٣٨٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة «غدا».

الغدايا، ليحدث بينهما المحاذاة اللفظية، والازدواج، فلو أفردت لا يقال فيها إلا غداة وغدوات.

ومن التناسب الوزني قولهم:

رِجْس نِجْس

وأصل: نِجْس: نَجِس [بفتح النون وكسر الجيم]، ولكن لما جاورت رِجْسا، صارا على وزن واحد هو «فِعْل» فالتغيّر في حركات بنية كلمة «نجس» جاء ليحدث نوعًا من التوافق الوزني (الصوتي).

ويرى ابن هشام أن كلمة «نجس» يمكن أن تأتي منفردة على وزن «فِعْل» بكسر فسكون؛ لأنه يقال «فِعْل بكسرة فسكون في كل فَعِل بفتحة فكسرة، نحو كَتِف ولَبِن ونَبِق»[1].

ومنه قولهم: **هنأني ومَرأني**.

فإذا لم يتم التجاور يقولون: أمرأني، فكلمة مرأني جاءت لتحدث نوعًا من التوافق الوزني عن طريق الإتباع. وهو اتفاق الكلمتين في الإيقاع الموسيقي، كما يحدث ذلك في القافية، والسجع.

فللجوار أثر واضح في حدوث التناسب الوزني بين الكلمتين مثل قولهم أيضًا: خبيث نبيث، القياس أن يقال: «خبيث نابث، فقيل نبيث لمجاورته لخبيث»[2].

---

(١) ابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٧٩٠.

(٢) أبو علي القالي، كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت ٢/٢٠٩.

فعلاقة المجاورة هي التي ساعدت على حدوث المزاوجة بين الكلمتين.

وقد تتم بعض التغيرات في وزن الكلمة استجابة للقوانين الصوتية التي تحكم هذه التغيرات، ومع هذا يبقى الوزن الصرفي كما هو، لا يتأثر بما حدث من تغيير.

فعند اشتقاق صيغة «مفعال» من الفعل «وزن» يكون الأصل هو مِوْزان. وهنا تجاور الواو الساكنة حرفًا مكسوراً قبلها، فتقلب الواو ياء، فتتحول الصيغة إلى ميزان.

يقول سيبويه: «وقلبوا الواو ياء؛ لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة»[1].

فعلة قلب الواو ياء هنا هي مجاورتها لحرف مكسور، يقول السيوطي: «والواو إنما تقلب ياء للكسرة التي تجاورها من قبلها، فإذا كان بينها وبينها حرف حاجز لم تقلب، لأنها لم تَلِها»[2].

فالجوار شرط في تأثّر الواو بالكسرة قبلها، ومن ثم تقلب ياء.

* * *

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ١٩٥ .

(٢) السيوطي، الأشباه والنظائر في النّحو ١/ ٣٢٩-٣٣٠ .

المستوى النحوي:

يرتبط الجوار في المستوى النحوي بعدد من الظواهر النحوية هي:

- ظاهرة الإعراب.
- ظاهرة العامل.
- ظاهرة المطابقة في النوع [إلحاق الفعل تاء التأنيث].

أولاً: ظاهرة الإعراب:

لقرب الجوار أثر واضح في اتفاق الحركة الإعرابية بين الكلمتين المتجاورتين، وارتباط ذلك بحالة إعرابية معينة، وخصوصًا في باب التوابع [النعت، والتوكيد، وعطف النسق]. وظهر ذلك التأثير في كل من النثر والشعر ونتناول هنا أثر الجوار في التوابع:

أ- النعت:

١- **في النثر**: روي عن بعض العرب أنّهم جرّوا كلمة «خرب» لقربها في الجوار من كلمة «ضبّ» في قولهم:

«هذا جحر ضبٍّ خربٍ».

يقول سيبويه: «وقد حملهم قربُ الجوار على أن جرّوا: هذا جحر ضبٍّ خربٍ»(١).

ويرى سيبويه أنّ الجرّ هنا مخالف للقياس، فليس هو الوجه الصحيح؛ لأن الوجه هو رفع كلمة «خرب»؛ لأنها صفة لمرفوع هو

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ٦٧.

الجحر، فجـرّوها على الجوار. يقول سيبويه في مـوضع آخر: «ومّما جرى نعتًا على غـير وجه الكلام «هذا جحر ضبٍّ خربٍ»، فالوجـه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم وهو القياس؛ لأن الخرب نعت الجحر، والجحر رفع، ولكنّ بعض العرب يجـرّه، وليس بنعت للضبّ، ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضبّ، فجرّوه لأنه نكرة كـالضبّ، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضبّ، ولأنه صار هو والضبّ بمنزلة اسم واحد»[1].

فقد علل سيبويه جرّ كلمة «خرب» بعلل ثلاث هي:

١- اتفاقها في حالة التنكير مع ما قبلها «ضبّ».

٢- وقوعها في موضع الصفة لما قبلها.

٣- صيرورتهـا مع ما قبلها وحـدة لغوية واحدة في التنغيـم الموسيقي عن طريق اتفاق حركة الكسرة بينهما.

فالذي دعا بعض العرب إلى جرّ كلمـة «خرب» هو قرب الجوار بينها وبين كلمة «ضبّ» وإن كانت الصفة قـد جرت على غير من هي له، وهو المضاف إليه «ضبّ» في المعنى، فإنّها جرت مِن الناحية الصوتية «الإعرابية» على المضاف إليه للقـرب الموقعي، وهذا القرب يساعد على اتفـاق الحركة الإعرابية بين الكلمتين، ليتم التجانس الصوتي بينهما.

فكلمة «خرب» في القـول السابق جاءت مجـرورة بالكسرة، والكسرة هنا ليست كسرة إعراب، بل هي كسرة مماثلة صوتية مع كسرة ما قبلها فلا

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٣٦/١ .

يوجد عامل نحوي أحدث هذه الكسرة، بل هي نتيجة التناسب الصوتي بين المتجاورين.

فهناك تفسيران لجر كلمة «خرب».

الأول: يرتبط بالمستوى الصوتي، الذي يتمثل في اتفاق الحركة الإعرابية بين المتجاورين، «ضبّ، وخرب».

الثاني: يرتبط بالمستوى الدلالي، وهو وقوع كلمة «خرب» نعتًا في المعنى لكلمة «جحر» لأنّها لا تصلح دلاليًا أن تكون صفة لما جاورها وهو كلمة «ضبّ» لأن الضبّ لا يوصف بالخراب.

وقد أنكر السيرافي وابن جني الخفض على الجوار، في المثال السابق وتأولا قولهم: «خرب» بالجر على أنه صفة لضب، فقال السيرافي «الأصل خربٍ الجحرُ منه، بتنوين خرب ورفع الجحر، ثم حذف الضمير للعلم به، وحُوِّل الإسناد إلى ضمير الضبّ وخفض الجحر، كما تقول: «مررت برجل حسن الوجه» بالإضافة، والأصل حسنٍ الوْجهُ منه، ثم أتى بضمير الجحر مكانه، لتقدم ذكره فاستتر.

وقال ابن جني: الأصل خربٍ جحرُه، ثم أنيب المضاف إليه عن المضاف فارتفع واستتر»[1].

ورَأْي كل من السيرافي وابن جني بجعل كلمة «خرب» صفة لـ «ضبّ» ومخالفة المعنى المراد، لا يقلّل من أهمية اتفاق النغمة الإيقاعية عند الناطق العربي بهذه الجملة؛ لأن التناسب الصوتي هو العامل

---

(١) ابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٧٩٠.

الأساسي في جرّ كلمة «خرب». أما التأويل من قبل كل من السيرافي وابن جني فهو بمثابة تصحيح للقاعدة النحوية عن طريق حذف مضاف، أو اعتبار كلمة «خرب» صفة للعنصر الثاني من التركيب الإضافي.

والتركيب الإضافي وحدة لغوية واحدة تتكون من عنصرين هما: مضاف + مضاف إليه.

والوجه أن تأتي الصفة متفقة في حركتها الإعرابية مع المضاف وهو الأكثر[1]، لكونه يتفق مع المعنى، إلا أن بعض الناطقين باللغة راعى جانب المضاف إليه المجرور من الناحية اللفظية (الإيقاعية) فجرّ الكلمة التالية له، لقرب الإيقاع الصوتي بينهما في الأذن.

وكما يتأثر النعت الحقيقي بما يجاوره، يتأثر أيضًا ما سمى بالنعت السببي، ففي نحو: مررت برجلٍ عجوزٍ أمّه».

تجرّ كلمة «عجوز» لأن ما قبلها وهو السببي لها جاء مجرورًا مع أن كلمة «عجوز» في الحقيقة نعت للأمّ.

يقول الخليل: «قولهم: مررت برجل عجوز أمّه... خفضت «عجوزًا» وليس من نعت «الرجل» إلا أنه لما كان من نعت الأم خفضته على القرب والجوار»[2].

---

(١) يقول ابن هشام في خفض كلمة «خرب» في قولهم: «هذا جحر ضبٍّ خربٍ» وإنما كان حقه الرفع؛ لأنه صفة لمرفوع، وهو الجحر، وعلى الرفع أكثر العرب. ينظر: شرح شذور الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٣١١، ومغني اللبيب ٢/ ٧٨٨.

(٢) الخليل بن أحمد، كتاب الجمل في النّحو، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت ط الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص١٧٣.

فقد تأثرت كلمة «عجوز» في المثال السابق بما قبلها ليحدث الانسجام الصوتي بينهما، وذلك بسبب علاقة المجاورة، مع أنها ليست صفة له، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار مثل كلمة «عجوز» ليس من النعت في شيء، يقول: «الحقّ أن مثل قولنا: زارني رجلٌ كريمٌ خلقُه، ليس من النعت في شيء، وأن الاتفاق في الإعراب لم يقم على أساس من كونه نعتًا تابعًا لما قبله؛ لأنه ليس صفة له، ولكنه يقوم على أساس من الإتباع للمجاورة، وما تقتضيه موسيقى الكلام من انسجام في الحركات»[١].

فكل ما أطلق عليه نعتًا سببيًّا تأثر بما قبله من الناحية اللفظية، أي الإيقاع الموسيقي بسبب قرب الجوار، مع أنه في الحقيقة يقع صفة لما بعده. وقد وعى النحاة هذه الحقيقة، ولهذا أطلقوا عليه اسم النعت السببي، لارتباطه بسبب ما، بما قبله.

فشرط تأثر الكلمة هنا بما قبلها أن تأتي صفة لما بعدها، وأن تطابق ما قبلها في الحالة، أي التعريف أو التنكير، أما إذا جاءت الكلمة اسمًا، فلا تتأثر بما قبلها من الناحية الإعرابية، لبعدها عن الوصفية، ففي نحو:

مررت برجل زيدٌ أبوه

لا تجر كلمة «زيد» لأنّها ليست صفة، يقول الخليل: «فإذا كان الجوار اسمًا... لم يجز الجوار، ولم تَخْفِض، تقول: مررت برجلٍ زيدٌ

(١) د. مهدي المخزومي، في النّحو العربي، قواعد وتطبيق، مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر، ط. الأولى ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، ص١٨ .

أبوه... رفعت «زيدًا» على الابتداء والخبر، ولم تخفض؛ لأنه اسم وليس بنعت»[1] . **وقد جاء الخفض على الجوار في باب النعت في القرآن الكريم للتناسب الصوتي بين المتجاورين**، وأمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ [الذاريات/ آية ٥٨].

- قوله تعالى: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾ [البروج/ آية ١٥].

ففي سورة الذاريات «قرأ يحيى[2] بن وثاب (المتين) بالخفض جعله من نعت القوة، وإن كانت أنثى في اللفظ، فإنه ذهب إلى الحبل» أو على أنه صفة للقوة على تأويل الاقتدار[3] .

ويرى ابن جني[4] أن قراءة الجر هي قراءة الأعمش أيضًا، وتحتمل أمرين: **أحدهما**: أن تكون كلمة «المتين» وصفًا للقوة على معنى الحبل، وهو ما ذهب إليه الفراء .

الآخر: أن يكون أراد الرفع وصفًا للرزاق، إلا أنه جاء مجرورًا على لفظ القوة لجوارها إياها، على قولهم: هذا جحر ضبٍّ خربٍ.

وقد رأى أبو حاتم رأي ابن جني، فذهب إلى أن الخفض هنا جاء على قرب الجوار، ويرفض أبو جعفر النّحاس الجر على الجوار، فيقول: «والجوار لا يقع في القرآن ولا في كلام فصيح، وهو عند رؤساء النحويين غلط ممن قاله من العرب»[5] .

---

(١) الخليل بن أحمد، كتاب الجمل في النحو، ص١٧٤ .

(٢) الفراء، معاني القرآن، ٣/ ٩٠ .

(٣) الزمخشري، الكشاف، دار الكاتب العربي، بيروت- لبنان. د.ت ٤/ ٤٠٦ .

(٤) ابن جني، المحتسب ٢/ ٢٨٩ .

(٥) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ٤/ ٢٥٢ .

والجر عند أبي جعفر النّحاس[1] على تأويل القوة بالاقتدار؛ لأن تأنيث القوة هنا تأنيث غير حقيقي، والاقتدار والقوة معناهما واحد.

وفي سورة البروج «قرأ الحسن، وعمرو بن عبيد، وابن وثاب، والأعمش، والمفضل، عن عاصم والأخوان[2] «المجيد» بخفض الدال، وحجّتهم أنه صفة للعرش[3]، ومعنى «المجيد» الرفيع.

ويقول النّحاس: إن «بعض النحويين يستبعد الخفض؛ لأن المجيد معروف من صفات الله جلّ وعزّ... ولكن القراءة بالخفض جائزة على غير الجوار، على أن يكون التقدير إنّ بطش ربّك المجيد»[4].

ففي سورة البروج، والذاريات «خفض» المجيد، و«المتين» بالقرب والجوار»[5].

فالقارئ هنا راعى العنصر الثاني من التركيب الإضافي، وهو المضاف إليه المجرور، ليحدث نوعًا من الانسجام الصوتي بين المتجاورين، مع أن الصفة هنا ترتبط بالعنصر الأول من التركيب الإضافي وهو «ذو» المرفوع، لذلك قرئ أيضًا «ذو العرش المجيدُ» بالرفع على أنه صفة لـ «ذي العرش».

---

(١) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ٤/ ٢٥٢.
(٢) أبو حيان، البحر المحيط ١٠/ ٤٤٦.
(٣) ينظر: الفراء، معاني القرآن ٣/ ٢٥٤، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الثاني ص١٢٨٠، الزمخشري، الكشّاف ٤/ ٧٣٣، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع ص٣٦٧.
(٤) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ٥/ ١٩٥.
(٥) الخليل بن أحمد، كتاب الجمل في النّحو ص١٧٥.

والقول بالجر على الجوار - في الآيتين السابقتين- من الناحية الإعرابية يغنينا عن التأويل مثل: تأويل القوة بمعنى الحبل، أو بمعنى الاقتدار في سورة الذاريات، وخصوصًا أن الجر على الجوار في القرآن الكريم جاء في مواضع كثيرة[1] .

ومن أمثلة الخفض على الجوار أيضًا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [سورة يوسف/ من الآية ١٨]، فقد خُفضت كلمة «كذب» في الآية السابقة- على القرب والجوار؛ لأنها جاورت كلمة مجرورة، ليحدث الانسجام الصوتي بين الكلمتين المتجاورتين. «ومجازه "كذبًا" على معنى: وجاؤوا كذبًا على قميصه بدم»[2] .

فلا يمكن أن يوصف الدم بالكذب، والمعنى - والله أعلم- أنهم جاءوا على قميصه كون حالهم كاذبين بدم، ويؤكد ذلك قول الزمخشري، «وقرئ "كذبا" نصبًا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين»[3] .

فكلمة «كذب» تصف حالتهم وقت مجيئهم، ولكنها عندما جاورت كلمة «دم» المجرورة، راعى القارئ حالة قرب الجوار، التي تبيح الاتفاق الحركي بين المتجاورين، لتحدث المماثلة الصوتية بينهما.

٢- في الشعر:

وكما ظهر أثر الجوار في باب النعت في النثر، جاء أيضًا في الشعر، وأمثلة ذلك:

---

(١) ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول، ص٤٢٢ .

(٢) الخليل بن أحمد، كتاب الجمل في النّحو ص١٧٥ .

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢/ ٤٥١ .

- قول امرىء القيس:

كأنّ ثبيرا في عرانين وبْلِه   كبيرُ أناس في بجاد مُزمَّلِ[(١)]

فقد جاءت كلمة «مزمّل» مجرورة لمجاورتها كلمة «بجاد» ليحدث نوع من الانسجام الصوتي بينهما، مع أن كلمة «مزمّل» نعت لـ «كبير»، وكان حقّها الرفع إتباعًا لحركة المنعوت، إلا أنّها جاءت تابعة لما يجاورها في حركة الجر.

ويرى ابن جني- في البيت السابق- أن الجر ليس على الجوار، والأصل عنده «مزمّل فيه، فحذف حرف الجر، فارتفع الضمير، فاستتر في اسم المفعول»[(٢)] .

وما ذهب إليه ابن جني يتضح فيه التكلف والبعد عن الواقع اللغوي لما فيه من القول بالحذف والاستتار؛ لأن الشاعر آثر الجانب الإيقاعي للغة، والذي يحرص عليه أكثر من حرصه على قواعد اللغة، فجاءت كلمة «مزمّل» منسجمة مع ما يجاورها في التوافق الحركي الذي يساعد على انسجام الأداء الموسيقي للكلام.

وإذا كان الجر على الجوار ظاهرة لغوية جاءت في المستوى النثري للكلام، فالأَوْلَى أن تظهر في الشعر؛ لأن الشعر يعتمد على الإيقاع الموسيقي في بنائه.

---

(١) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة ص٣٤٧، والخليل بن أحمد، كتاب الجمل في النّحو ص١٧٦، وابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٧٨٨، ورواية البيت عنده «كأن أبانا».

(٢) ابن جني، الخصائص ٣/ ٢٢١ .

- وقول الحطيئة:

فإيّاكم وحيّة بطن وادٍ   هموز النّاب ليس لكم بِسِيٍّ(1)

فكلمة «هموز» نعت لـ «حيّة» وكان حقّها النصب، إلا أن الناطق راعى هنا حرمة الجوار، وفضّل التشاكل اللفظي بين المتجاورين «وادٍ وهموز»، فنطق الكلمة مجرورة، ليحدث نوعًا من الانسجام الصوتي بينهما؛ لأن النصب لا يكسر البيت. وإنّما اختار الجر هنا رعاية لقرب الجوار ورغبة في تحقيق التوافق الحركي بين المتجاورين.

- وقول الشاعر:

كأنَّما ضربَتْ قُدّام أعيُنها   قطنًا بمُسْتَحْصَدِ الأوتارِ مَحْلُوجِ(2)

فكلمة «محلوج» نعت لـ «قطنًا» وكان حقها النَّصب؛ لأنها نعت لمنصوب، إلا أنّها جُرّت على الجوار، لتناسب ما قبلها من الناحية اللفظية، وليتم الانسجام الصوتي بينهما.

- وقول الشاعر:

كأنَّ نسجَ العنكبوت المُرْمل.(3)

فخفض الشاعر كلمة «المُرْمل» لمجاورتها كلمة «العنكبوت» المخفوضة

(1) ابن جني، الخصائص ٣/ ٢٢٠، والمنصف ص٢٨٩ .

(2) ابن الأنباري، الإنصاف، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ت ٢/ ٦٠٣-٦٠٤. المسألة ٨٤، والخليل بن أحمد، كتاب الجمل في النّحو ص١٧٦ . وفيه «كأنّما خالطت».

(3) ينظر: ابن جني، الخصائص ٣/ ٢٢١، وابن الأنباري، الإنصاف ٢/ ٦٠٥، المسألة ٨٤ .

ليحدث نوعًا من التوافق الحركي، وكان حق الكلمة طبقًا للقواعد النحوية أن تنصب، فيقال: (المُرملا)؛ لأنها نعت لمنصوب هو «نسج»، إلا أن الشاعر راعى هنا التشاكل اللفظي، المتمثل في كسرة العنصر الثاني من التركيب الإضافي وهو العنكبوت.

- وقول الشاعر:

أطوف بها لا أرى غيرها كما طاف بالبيعةِ الراهبِ(1)

فقد جُرَّت كلمة «الراهب» في البيت السابق، لمجاورتها لمجرور، ليتحقق الانسجام الصوتي بين المتجاورين، وكان حقها أن تُرفع؛ لأنها تشغل وظيفة المسند إليه للفعل «طاف» إلا أن الشاعر راعى هنا حالة الجر لعلاقة المجاورة، ليحدث نوعًا من المماثلة الصوتية بين المتجاورين.

- وقول الشاعر:

فيا معشر العُزَّاب إن حان شُرْبُكم

فلا تشربوا ما حجَّ للّهِ راكبِ(2)

فخفضَ الشاعر هنا كلمة «راكب» لمجاورتها لمجرور، ليتم الانسجام الصوتي بينهما، وكان حق كلمة «راكب» الرفع؛ لأنّها فاعل للفعل «حجّ»، وقد راعى الشاعر حق الجوار، ففضّل حالة الجر التي تُحدث الانسجام الصوتي على حالة الرفع التي تحافظ أيضًا على صحة الوزن.

---

(1) الخليل بن أحمد، كتاب الجمل في النّحو ص١٧٤-١٧٥ .

(2) المرجع السابق ص١٧٦ .

ب- التوكيد:

جاءت حالة الجر على الجوار في باب التوكيد المعنوي، في قول الشاعر:

يا صاح بلّغ ذوي الزوجات كُلِّهم

أن ليس وصلٌ إذا انحلّت عُرى الذَّنَبِ[1]

فكلمة «كلِّهم» توكيد معنوي لـ «ذوي» وكان حقّها النّصب؛ لأن ذوي منصوب على المفعولية، إلا أنّها جاءت مجرورة، لتناسب ما جاورها في حركة الجر، ولو كانت «كلِّهم» توكيد لـ «الزوجات» لقال الشاعر: كلهنّ، فجاء الجر هنا، ليتم التوافق الحركي بين المتجاورين.

ويقول الفراء في البيت السابق «أنشَدَنيه أبو الجراح بخفض كلِّهم، فقلت له: هلا قلت: كُلَّهم- يعني بالنّصب- فقال: هو خير من الذي قلته أنا، ثم استنشدته إياه، فأنشَدَنيه بالخفض»[2].

فالانسجام الصوتي بين المتجاورين «كُلِّهم، والزوجات» هو الذي سيطر على سمع أبي الجراح. فالأحسن نصب التوكيد المعنوي «كلّهم» ليتفق مع العنصر الأول من التركيب الإضافي وهو «ذوي» المنصوب على المفعولية.

لكن عندما طلب الفراء من أبي الجراح أن يعيد قراءة البيت نطق

---

(١) ابن هشام، شرح شذور الذهب ص٣١١ .

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٧٨٩ .

بالتوكيد مجروراً، وهذا يدل على مدى قوة الانسجام الصوتي واتفاق التنغيم الموسيقي بين المتجاورين عند المتكلم.

فالحوار الذي دار بين الفراء وأبي الجراح يدل على غلبة الإيقاع الموسيقي بين التوكيد المعنوي وما قبله «المضاف إليه» على الوجه النحوي الذي يتطلب نصب الكلمة «كلّهم» لتتفق في اللفظ والمعنى مع المضاف المنصوب.

ج- عطف النسق:

في القرآن الكريم:

ظهر أثر الجوار في بعض القراءات القرآنية، ومنه حالة الجر على الجوار في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة/ من الآية ٦]، فقد جرت كلمة «أرجلكم» في قراءة[1] أبي عمر، وابن كثير وحمزة ويحيى عن عاصم، وأبي جعفر، وخلف.

وجاء الجر هنا بسبب المجاورة، ليحدث الانسجام الصوتي بين المتجاورين عن طريق حرف العطف، ولأن الأرجل لا تمسح بل تغسل، رأى بعض المفسرين أن الوجه هو النّصب بالعطف على الوجوه والأيدي، لأنها الأعضاء التي تغسل عند الوضوء.

ويرى الزمخشري[2] أن المسح- في الآية السابقة- معناه مراعاة عدم

(١) ابن الأنباري، الإنصاف ٢/٦٠٣، المسألة ٨٤.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ٢/٧٨٩.

الإسراف في استعمال الماء، ووجوب الاقتصاد في صبّه على الأعضاء المغسولة، فكلمة «أرجلكم» مجرورة بالعطف على رءوسكم.

وهناك وجه آخر لجر كلمة «أرجلكم» هو أن يكون الجر بحذف جار محذوف «تقديره: وافعلوا بأرجلكم غَسْلاً، وحذف الجار وإبقاء الجر جائز»(1).

والوجه السابق يتضح فيه التكلف، والقول بالحذف، أما الأخذ بالرأي الأول في الجر، وهو الحمل على الجوار، فيبعدنا عن القول بالتقدير وكذلك بحذف حرف الجر، فهو أقرب إلى الواقع اللغوي لعدم حاجته إلى التأويل.

ويرى ابن خالويه أن كلمة «أرجلكم» مجرورة بالعطف على «رءوسكم» لأن القرآن بيّن أن المسح على الرأس والرجل، ثم عادت السنّة للغَسْل، ولا يوافق على الجر يقول: «ولا وجه لمن ادّعى أن الأرجل مخفوضة بالجوار؛ لأن ذلك مستعمل في نظم الشعر للاضطرار وفي الأمثال، والقرآن لا يحمل على الضرورة، وألفاظ الأمثال»(2).

والإعراب الذي يعتمد فيه على الجر على الجوار «ليس بممتنع في القرآن لكثرته، فقد جاء في القرآن والشعر»(3).

فالجر على الجوار استعمال لغويّ عرفه العرب، وقد جاء في كلامهم شعرًا ونثرًا، ولم يكن هناك ضرورة للقول بالجر على الجوار في بعض

---

(1) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول، ص٤٢٤.

(2) ابن خالوية، الحجة في القراءات السبع، ص١٢٩.

(3) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص٤٢٢.

الأبيات، وكان الانسجام الصوتي بين المتجاورين هو الدافع إلى وجود حالة الجر، مثال ذلك قول «زهير»:

لعب الرّياح بها وغيرها بعدي سوافي المُورِ والقَطْرْ[1]

ومن العطف بالنصب على الجوار قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [سورة يونس/ من الآية ٧١]، فقد عطفت كلمة «شركاءكم» على «أمركم» بالنصب ليحدث نوع من الانسجام الصوتي بين المتجاورين؛ لأن الفعل «أجمع» لا يتسلط إلا على المعطوف عليه «أمركم» ولا يتسلط على المعطوف «شركاءكم»؛ لأنه لا يقال: أجمعت شركائي بل يقال: جمعت شركائي، فبدلاً من تقدير فعل يصح وقوعه في المعنى على كلمة «شركاء» يمكن أن يكون العطف قد روعي فيه قرب الجوار حتى لا نحتاج إلى القول بالتقدير.

فالعطف بالنصب في الآية السابقة إنما جاء للمجاورة[2].

في النثر:

هناك مواضع في العطف يجوز فيها وجهان هما:

- الحمل على اللفظ.
- الحمل على الموضع.

ومن هذه المواضع العطف على خبر ليس المجرور بحرف جر زائد، أو خبر «ما» العاملة عمل ليس. مثال ذلك قولك:

ليس زيد بجبانٍ ولا بخيلاً

---

(١) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٦٠٣، المسألة ٨٤.

(٢) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص٣٤٧.

بالعطف على موضع خبر ليس، ولقوة الانسجام الصوتي والمزاوجة بين المعطوف والمعطوف عليه، يرى سيبويه أن التشاكل في اللفظ واتفاق المعنى هو الوجه في العطف على خبر الناسخ المجرور بحرف جرّ زائد.

فمع جواز النصب بالعطف على الموضع لاتفاق المعنى إلا أن هذه الحالة تفقد التشاكل اللفظي الذي يحدث عن طريق الانسجام الصوتي بين المعطوف والمعطوف عليه.

يقول سيبويه: «هذا باب ما يجري على الموضع لا على الاسم الذي قبله، وذلك قولك: ليس زيد بجبان ولا بخيلاً... والوجه فيه الجرّ؛ لأنك تريد أن تشرك بين الخبرين، وليس ينقض إجراؤه عليك المعنى، وأن يكون آخرُه على أوّله أولى، ليكون حالهما في الباء سواء كحالهما في غير الباء، مع قربه منه»[1].

ومما يجوز فيه وجهان أيضًا، المعطوف على الاسم المخفوض بالمصدر في نحو: عجبت من ضرب خالدٍ وعمر [أو وعمرا].

فيجوز هنا في المعطوف وجهان:

الأول: الجر على اللفظ، والثاني: النصب على المعنى؛ لأن خالدًا مضروب، فهو مفعول به، والوجه الجر للجمع بين التشاكل في اللفظ بين المتجاورين، واتفاق المعنى، «وإذا حصل اللفظ والمعنى كان أجود من حصول المعنى وحده»[2].

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ٦٦-٦٧.

(٢) ابن يعيش، المفصّل ٦/ ٦٥.

فحالة الجر في المثال السابق هي الوجه؛ لأنّها تحقق الانسجام الصوتي بين المتجاورين، وفي الوقت نفسه تتفق مع المعنى المراد من الكلام، والذي ساعد على حدوث الجر هنا هو قرب الجوار.

ولقرب الجوار أثر في تحديد الوظيفة النحوية، وبالتالي الحالة الإعرابية في باب العطف.

فإذا وقع الاسم المشتغل عنه بعد جملة فعلية، فالوجه نصبه على المفعولية، حتى يحدث نوع من التشاكل والتوافق في عطف الجمل، والسبب في ذلك يرجع إلى قرب الجوار، ففي قولك:

رأيت زيداً وعمراً كلمته

ورأيت عبد الله وزيداً مررت به

يقول سيبويه: «وإنّما اختير النصب ههنا؛ لأن الاسم الأول مبنيّ على الفعل، فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم، إذ كان يبنى على الفعل، وليس قبله اسم مبني على الفعل ليجري الآخِر على ما جرى عليه الذي يليه قبله، إذ كان لا ينقض المعنى لو بنيته على الفعل. وهذا أولى أن يحمل عليه ما قرب جواره منه»(١).

ففي المثال الأول السابق:

رأيت زيداً وعمراً كلمته. نجده يتكون من:

فعل + فاعل + مفعول + عاطف + مفعول + فعل + فاعل + مفعول

(مبني عليه) (مبني) (مبني) (جملة مفسِّرة)

(١) سيبويه، الكتاب ١/٨٨-٨٩.

وهنا يختار سيبويه، نصب الاسم الواقع بعد حرف العطف مع جواز رفعه، وسبب اختيار النصب عنده يرجع إلى المحافظة على التشاكل بين الجملتين، حتى تُعطف جملة فعلية على أخرى فعلية، وهنا يحدث نوع من التناسق والتشاكل في العطف بين جملتين من نوع واحد، وهو ما عبّر عنه سيبويه بقوله: «فكان أن يكون الكلام على وجه واحد أقرب في المأخذ»[1] .

مما تقدّم نلاحظ أن سيبويه قد أولى أهمية كبيرة لظاهرة القرب والمجاورة، وأنها شغلت حيّزاً كبيراً من تفكيره عند تقعيده للقواعد النحوية من خلال التراكيب المتعدّدة، وأنه كان يفاضل بين حالتين من الإعراب بسبب المجاورة، وكذلك لإحداث نوع من التوافق والتشاكل بين الجمل بعضها ببعض، مع أن المحافظة على التشاكل ألجأه إلى تقدير عنصر أو أكثر خارج نطاق التركيب المنطوق، أي البنية السطحية للكلام. وهذا التقدير كان بعيداً في التفسير عن روح اللغة وطبيعتها، والسبب في القول بالتقدير يرجع إلى الاهتمام الشديد بنظرية العامل.

والذي ساعد على حدوث التشاكل بين الجملتين في نحو:

قام زيد وعمراً كلمته

هو المجاورة بين الاسم المشغول عنه، والجملة المتقدمة عليه، يقول العكبري في المثال السابق: «استحسنوا النصب بفعل محذوف لمجاورة الجملة اسماً قد عمل فيه الفعل»[2] .

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ٨٩ .

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص٤٢٣ .

في الشعر:

وللجوار أثر أيضًا في باب عطف النسق في المستوى الشعري للكلام، كما في قول زهير:

لعب الرّيـــاحُ بهـــا وغيّـرها بعدي ســـوافي المُورِ والقَطْرِ[1] .

فكلمـة «القطر» في البيت السـابق، معطوفـة على سوافي المرفـوعة، وكان حـقّهـا الرفع، إلا أنّها جاءت مـجرورة مـراعاة للجوار بيـنها وبين «المور»، ليحدث التوافق الحركي بينهما، فالانسجام الصوتي بين المتجاورين هو الذي أدّى إلى جرّ كلمة «القطر».

ولا يجوز عـند الكوفيين أن تكون كلمـة «القطر» معطوفـة على المور وهو الغبار، «لأنه ليس للقطر سوافٍ كالمور حتى يعطفه عليه»[2] .

ويرى ابن الأنباري أن كلمة «القطر» مـعطوفة بالجر على «المور»، ولا حجة للكوفـيين عنده في قولهم: لا يجوز أن تكون كلمة الـقطر معطوفة على «المور»؛ لأنه ليس للقطر سواف، ويجـوز عند ابن الأنباري «أن يكون قد سـمى ما تسفيـه الريح منه وقت نزوله سوافي، كمـا يسمى ما تسفـيه الريح من الغبار سوافي»[3] .

ولو أخذنا بـحق الجوار في التوافـق الحركي بين المتجـاورين، لأرحنا أنفسنا من عنت التأويل وغرابة التكلف.

---

(١) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٦٠٣، المسألة ٨٤ .
(٢) المرجع السابق ٢/٦٠٤، المسألة ٨٤ .
(٣) المرجع السابق، ٢/٦١٥، المسألة ٨٤ .

- وقول الفرزدق:

ولكنَّ نصْفًا لو سَبَبْتُ وَسَبَّنِي

بَنُو عبد شمس من منافٍ وهاشِمِ[1]

فقد جرّ الفرزدق كلمة «هاشم» لمجاورتها «مناف»، وكان حقّها الرفع؛ لأنّها معطوفة على مرفوع هو كلمة «بنو» ولكن الخفض هنا جاء بسبب قرب الجوار، حتى يحدث نوع من الانسجام الصوتي بين المتجاورين.

ومن أثر الجوار في العطف بالنصب قول الشاعر:

يا ليت شيخك قد غدا   متقلِّدًا سيفًا ورمحا[2]

فقد عطف الشاعر في البيت السابق كلمة «رمحا» بالنصب على كلمة «سيفا» حتى يحدث التوافق الحركي بينهما عن طريق الفتحة و«الرمح لا يُتَقلَّد، وإنّما قال ذلك لمجاورته السيف»[3].

فالرمح هنا لا يصح تسليط العامل عليه؛ لأن الرّمح لا يُتقلَّد، بل يُتَقلَّد السيف، فالقول بالعطف بالنصب على الجوار يغنينا عن البحث عن عامل يصح تسليطه على الرمح أو القول بالتضمين ليصح تسليط العامل المقدّر على الكلمتين معًا.

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ٧٧، والمبرِّد، المقتضب ٤/ ٧٤، وابن الأنباري، الإنصاف ١/ ٨٧، المسألة ١٣ .

(٢) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية ص٣٤٧، وابن الأنباري، الإنصاف ٢/ ٦١٢، والمسألة ٨٤ . وفيه يروي الشطر الأول: يا ليت بعلك في الوغى.

(٣) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية ص٣٤٧ .

وعدم إمكان تسليط العامل على المعطوف، وضرورة البحث عن عامل يعمل في المعطوف جاء في بعض الأبيات الشعرية التي لو قلنا فيها بأثر الجوار، لأغنانا هذا القول عن التأويل والإغراق في التكلف.

مثال ذلك قول الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يومًا وزجّجن الحواجب والعيونا(١)

فلا يمكن تسليط العامل زجّجن على العيون، لعدم صحة المعنى، وهنا يُحتاج إلى تقدير عامل آخر يصح تسليطه على المعمول «العيون» والعامل المقدّر هنا خارج عن نطاق بنية الجملة مثل «كحّلن»، ولو قلنا هنا بتأثير الجوار، وأن العيون نُصب لمجاورته الحواجب، لما احتجنا إلى القول بالتقدير.

ومثل قول الشاعر:

علفتها تبنًا وماءً باردًا حتى شتت همّالةً عيناها(٢)

والماء في البيت السابق لا يُعلف بل يُسقى، وهنا يقدر عامل يصح وقوعه على المعمول «ماءً» أو يُضَمَّن الفعل الأول فعلاً آخر يصح تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه معًا مثل: «أعطيتها» وإذا أخذنا بتأثير الجوار، وأن النصب جاء نتيجة للمجاورة حتى يحدث التوافق الحركي، لأغنانا هذا عن التقدير، والبحث عن التضمين.

فالناطق بمثل الجمل السابقة لا يعنيه في المقام الأول اتفاق المعنى بين

---

(١) ابن الأنباري، الإنصاف ٢/ ٦١٠، والمسألة ٨٤ .

(٢) المرجع السابق ٢/ ٦١٣، المسألة ٨٤ .

المعطوف والمعطوف عليه، أي صحة تسلط العامل الواحد المتفق في المعنى على كل منهما، بل كل ما يعنيه هو الاتفاق الحركي بين المتجاورين «المعطوف والمعطوف عليه» أي اتفاق النغمة الموسيقية، أما مرحلة التأمل وتحكم القواعد، فهي مرحلة تالية لتلقائية النطق باللغة، وهذه المرحلة يقوم بها المحققون من أهل اللغة، فيذهبون إلى تقدير عامل يصح تسلطه على المعطوف، أوتضمين العامل الموجود عاملاً آخر يصح تسلطه على كل من المعطوف والمعطوف عليه حفاظًا منهم على نظرية العامل.

ويرى ابن هشام أن حركة كل من المعطوف والمعطوف عليه ليست أثرًا للمجاورة «لأن العاطف يمنع من المجاورة»[(١)] .

ويذهب إلى أن المحققين يرون «أن الخفض على الجوار لا يحسن في المعطوف؛ لأن حرف العطف حاجز بين الاسمين، ومبطل للمجاورة»[(٢)] .

د- تنوين الممنوع من الصرف:

صُرفت بعض الكلمات الممنوعة من الصرف، لتماثل ما جاورها من الناحية الصوتية، فكانت وحدة النغمة الموسيقية بين المتجاورين هي الدافع لصرف الكلمة، وقد ساعد قرب الجوار على ذلك.

من ذلك، قراءة نافع والكسائي[(٣)] وعاصم:

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً ﴾ [سورة الإنسان/ من الآية ٤].

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، ٢/ ٧٨٩ .

(٢) ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص٣١٢ .

(٣) ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات ص٦٦٣، والصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة، د.ت ٣/ ٢٧٥ .

بصرف كلمة «سلاسل» لتتناسب[1] صوتيًا مع كلمة «أغلالاً» المجاورة لها.

«فالحجّة لمن نوّن أنه شاكل به ما قبله من رؤوس الآي؛ لأنها بالألف، وإن لم تكن رأس آية»[2]، وحجّة أخرى أنه لما جاور جمعًا ينصرف أتبع الأول الثاني[3].

ومنه قراءة الأعمش[4] بن مهران، بتنوين كلمتي «يغوث» و«يعوق» في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثًا وَيَعُوقًا وَنَسْرًا** ﴾ [سورة نوح/ آية ٢٣].

فَصَرْف كلمتي يغوث ويعوق- في الآية السابقة- جاء لتحقيق المماثلة الصوتية بينهما وبين ما قبلهما وما بعدهما، ليحدث الانسجام الصوتي بين الكلمات عن طريق التنوين.

ويرى الزمخشري أن قراءة التنوين هنا قراءة مشكلة لوجود سبب منع الصرف، ويقول: لعل الأعمش «قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودًّا وسواعًا ونسرًا»[5].

---

(١) ابن هشام، أوضح المسالك، ٤/ ١٣٦.

(٢) ابن خالويه، الحجّة في القراءات السبع، ص٣٥٨.

(٣) ينظر: النحاس، إعراب القرآن ٥/ ٩٧، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الثاني ص١٢٥٧.

(٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف ٤/ ٦١٩، وأبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ٥/ ٤١، وابن هشام، أوضح المسالك ٤/ ١٣٦، والصبان، حاشية الصبّان على شرح الأشموني ٣/ ٢٧٥.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٤/ ٦١٩.

ويرى أبو جعفر النحاس[1] أن القراءة بالتنوين لحن عند الخليل وسيبويه، وهي مخالفة للسواد الأعظم، وكذلك يرى ابن عطية أن قراءة الأعمش بالتنوين وهْم لوجود سبب منع الصرف، وهو التعريف ووزن الفعل، ويردّ عليه أبو حيان[2] قائلاً: أن ذلك ليس بوهم، وقد وافق الأشهب العقيلي ما ذهب إليه الأعمش، والتنوين هنا جاء لسببين:

١- «أنه جاء على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف عند عامة العرب، وذلك لغة حكاها الكسائي وغيره.

٢- أنه صُرف لمناسبة ما قبله وما بعده من المنوّن، إذ قبله «ودًّا ولا سواعًا» وبعده «نسرًا».

فالعلة التي قال بها الزمخشري، وهي أن التنوين جاء للازدواج بين الكلمات، وكذلك ما قاله أبو حيان من أن ذلك التنوين يرجع إلى المناسبة الصوتية بين الكلمات المتجاورة هو وصف للواقع اللغوي، فالتنوين هنا جاء للتناسب الصوتي، وذلك مراعاة لقرب الجوار.

ومن التناسب الصوتي بين المتجاورين أيضًا تنوين كلمة قوارير في قراءة عاصم في رواية أبي بكر ونافع والكسائي[3] في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان/ آية ١٥،١٦]. ففي قوارير الأولى قرأها المدنيان وابن

---

(١) ينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ٥/٤١ .

(٢) أبو حيان، البحر المحيط ١٠/٢٨٦-٢٨٧ .

(٣) ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص٦٦٣ .

كثير وخلف وأبو بكر بالتنوين، وفي قوارير الثانية، قرأها المدنيان والكسائي وأبو بكر بالتنوين[1] أيضًا.

فقد نونت كلمة «قوارير» الأولى لتناسب رءوس الآي ونونت كلمة «قوارير» الثانية، لإتباعها[2] الأولى، ولقربها منها، وكراهية للمخالفة بينهما[3].

فقرب الجوار بين الكلمتين، ساعد على تنوين كلمة قوارير الثانية ليحدث بينهما نوع من الانسجام الصوتي.

ومن خلال ظاهرة الإعراب نجد أثراً للجوار في تحديد وظيفة الكلمة داخل الجملة، ففي نحو: ضرب موسى عيسى

يفتقد الاسمان في الجملة قرينة الإعراب، وبالتالي لا تتضح وظيفة الفاعلية من المفعولية، وعندئذٍ تساعد علاقة الجوار على تحديد الوظيفة الخاصة بكل اسم، فالاسم القريب من الفعل هو الذي يشغل وظيفة الفاعل، والتالي له هو المفعول أي عن طريق الرجوع إلى أصل تركيب عناصر الجملة الفعلية.

يقول الرازي، في نحو: **ضربت سلمى سعدى**: «إنه ليس في إعراب اللفظ ولا في معناه، ما يجعل أحدهما بالفاعلية أولى من الآخر، فاعتبروا المجاورة، فقالوا: الذي يلي الفعل أولى بالفاعلية»[4].

---

(١) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٩٥.

(٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف ٤/ ٦٧١.

(٣) ينظر: ابن خالوية، الحجّة في القراءات السبع، ص٣٥٨.

(٤) فخر الدين الرازي: المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق د. جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت ٣/ ٤٩.

وفي نحو: **أعطى زيد خالدًا بكرًا**

لا يوجد في اللفظ ما يساعد على تحديد المفعول الأول من الثاني، وهنا يتدخل عامل قرب[1] الجوار، لتحديد أيِّهما يكون المفعول الأول، فما جاور الفاعل هو المفعول الأول.

ثانيًا: نظرية العامل:

تأثر النحاة بالعلة الفلسفية التي ترتبط بالمعلول، وأخضعوا التراكيب اللغوية لهذا المنهج الفلسفي الذي يهتم بالعلة.

«وكما أنه لا تجتمع علتان على معلول واحد، لا يجتمع عاملان على معمول واحد»[2].

إن فكرة العمل فكرة جاءت عن طريق تأثر النحويين بمنهج الفلسفة والمنطق، فهي فكرة بعيدة عن طبيعة اللغة، وقد أثرت أثرًا بالغًا في تحليل عناصر الجملة، وأخضعتها لفكرة العلة والمعلول والتي نابت عنها فكرة العامل والمعمول. وراح النحاة يبحثون عن أثر هذا العامل، ورأوا أنّ العلة تسبق المعلول وجودًا، وكذلك العامل قبل المعمول.

وقد قامت بعض الأبواب النحوية على فكرة العمل، والبحث عن المعمول لكل عامل، ومن هذه الأبواب بابا التنازع والاشتغال.

وقد ظهر أثر الجوار في تحديد العامل في المعمول المتنازع عليه.

---

(١) فخر الدين الرازي: المحصول في علم أصول الفقه، ٣/ ٤٩.

(٢) د. مهدي المخزومي، في النّحو العربي قواعد وتطبيق، ص٢٢٩-٢٣٠.

والتنازع هو أن يتقدم عاملان فصاعداً، ويتأخر عنهما معمول فصاعداً، كل واحد منهما يطلبه من جهة المعنى.

فإذا تنازع عاملان على معمول واحد، كان العامل عند البصريين منهما الثاني لقرب جواره من المعمول، ولسلامته من الفصل بين العامل ومعموله، فللجوار أثر واضح في تحديد العامل في لفظ المعمول، ففي قولهم:

ضربت وضربني زيد.

وضربني وضربت زيداً

يقول سيبويه: «وإنما كان الذي يليه أولى لقرب جواره، وأنّه لا ينقض معنى، وأن المخاطب قد عرف أن الأوّل قد وقع بزيد»(١).

ويذهب سيبويه(٢) إلى أنه لا يعمل في اسم واحد نصب ورفع.

فالمثال الأول السابق وهو:

ضربت وضربني زيد يتكون من:

فعل + فاعل + ... + عاطف + فعل + مفعول + فاعل

{المفعول هنا في الجملة الأولى، هو ضمير الفاعل في الجملة الثانية}.

والمثال الثاني السابق وهو:

ضربني وضربت زيداً يتكون من:

فعل + مفعول + ... + عاطف + فعل + فاعل + مفعول.

{الفاعل في الجملة الأولى هو ضمير المفعول في الجملة الثانية}

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ٧٤.

(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها.

فالتنازع هنا يقوم أساسًا على فكرة العمل، لذلك سُمّى باب الإعمال[1] ، غير أن سيبويه يولي المعنى اهتمامًا كبيرًا في جواز حذف أحد عناصر الجملة، وكذلك لعلم المخاطب بظروف الكلام وملابساته.

والفعل لا يعمل في اسم واحد عملين مختلفين كالنّصب والرفع، والاسم لا يؤدي وظيفتين مختلفتين في وقت واحد.

والقول بالتنازع واللجوء إلى التقدير يرجع إلى التمسك بنظرية العامل، والبحث عن عامل لكل معمول في التركيب اللغوي.

ومن ثم اتفق الفريقان [البصريون والكوفيون] على جواز أحد العاملين واختلفا في أيِّهما يقوم بوظيفة العمل، فاختار البصريون الثاني لقرب الجوار، ولأنه لا ينقض المعنى، فقد ربط سيبويه بين العمل وعدم نقض المعنى، كما أشار أيضًا إلى أهمية وضوح المعنى لدى المخاطب، والذي عن طريقه يجوز حذف أحد عناصر الكلام، واختار الكوفيون الأول لسبقه.

وقد عبّر المبرِّد عن رأي البصريين في أنّهم يرون إعمال الآخر لقربه من المعمول، فقال في باب من إعمال الأول والثاني:

«وذلك قولك: **ضربت وضربني زيد**

ومررت ومرّ بي عبدُ الله

... فهذا اللفظ هو الذي يختاره البصريون، وهو إعمال الفعل الآخِر

---

(١) ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك ٢/١٨٦ .

في اللفظ. وأما المعنى فقد يعلم السامع أن الأول قد عمل كما عمل الثاني، فحذف لعلم المخاطب... وإنما اختاروا إعمال الآخِر؛ لأنّه أقرب من الأول»(١) .

وقد أيّد بعض النحويين رأي البصريين في إعمال العامل الثاني منهم ابن يعيش الذي يرى أن إعمال الثاني هو «مقتضى القياس»(٢) لقربه من المعمول ومحافظته على المعنى.

وكذلك ابن مالك الذي يرى أن العامل الثاني الأقرب هو الأحق(٣) بالعمل.

ويرى الكوفيون أن العامل الأول أولى بالعمل لتقدّمه، ولسلامته من تقديم مضمره على مفسِّره، إلا أن الفراء من الكوفيين يرى أن الاسم المتأخر يمكن أن يكون معمولاً للعاملين جميعًا، إن اتفقا في الإعراب المطلوب، مثل: «قام وقعد زيد»(٤) فجعل «زيد» مرفوعًا بالفعلين.

وما ذهب إليه الفراء يتفق مع روح اللغة، ومع المنهج الوصفي للظاهرة اللغوية؛ لأنه يصف الواقع اللغوي المنطوق.

ويبيِّن سيبويه أهمية الفاعل في الجملة، وعدم احتياجها للمفعول، فيقول: «وكذلك تقول: ضربوني وضربتُ قومَك، إذا أعملت الآخِر، فلابّد في الأول من ضمير الفاعل لئلا يخلو من فاعل، وإنّما قلت:

---

(١) المبرِّد، المقتضب ٤/ ٧٢-٧٣ .

(٢) ينظر: ابن يعيش، المفصّل ١/ ٧٨، ٧٩ .

(٣) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص ٨٦ .

(٤) المرجع السابق والصفحة نفسها .

ضربتُ وضَرَبَنِي قَومُك: فلم تجعل في الأول الهاء والميم؛ لأن الفعل قد يكون بغير مفعول، ولا يكون الفعل بغير فاعل»[١] .

فسيبويه يرى - في النص السابق- أنه عند إعمال العامل الثاني، فإن العامل الأول يظهر فيه ضمير المعمول الثاني، فإن كان فاعلاً فلابد من وجوده مضمرًا، حتى لا يخلو الفعل من فاعل، وإذا كان مفعولاً جاز حذفه؛ لأنه فضلة يمكن الاستغناء عنها بنائيًا.

فسيبويه يفرّق هنا بين عنصرين من عناصر الجملة، الأول منهما هو العنصر العمدة، والثاني هو الفضلة، فالأول أساسي؛ لأنه ركيزة هامة في البنية الأساسية للجملة، لا غنى عنه في دائرة الإسناد، أما الثاني فهو فضلة يمكن الاستغناء عنه لخروجه من دائرة الإسناد، والتي عن طريقها يتم معنى البنية الأساسية للجملة.

فقد اختار سيبويه في باب التنازع إعمال العامل الثاني لقربه من المعمول، ولسلامة الفصل بين العامل والمعمول، بشرط ألا يؤدي هذا العمل إلى نقض المعنى.

مما تقدّم يتضح اهتمام سيبويه في التنازع ببعض الأمور وهي:

١- العناية بعناصر نظرية العامل، وذلك عن طريق إعمال العامل المجاور للمعمول.

٢- الاهتمام بصحة المعنى المراد من الكلام.

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ٧٩ .

٣- جواز حذف أحد عناصر التركيب اعتماداً على وضوح المعنى من خلال السياق، وعلم المخاطب.

وكما ظهر أثر الجوار في إعمال العامل الثاني في النثر، ظهر أيضًا في الشعر، وأمثله ذلك:

- قول الفرزدق:

ولكنّ نَصْفا لو سببتُ وسَبَّني

بنو عبد شمس من منافٍ وهاشِمِ[(١)]

فقد أعمل الفرزدق العامل الثاني لقربه، وحُذف معمول العامل الأول لفهمه من السياق؛ لأنه فضلة يمكن الاستغناء عنها، ولو أعمل الأول لقال: سببت وسبوني بني عبد شمس.

وهنا يكون قد فصل بين العامل «سبَّ» ومعموله«بني» بجملة سبوني، وهذا قبيح[(٢)] عند سيبويه.

- وقول طفيل الغنوي:

وكُمْتًا مُدَمَّاةً كأنَّ مُتونَها

جَرى فوقها واستشعرتْ لَوْنَ مُذْهَبِ[(٣)]

---

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ٧٧، والمبرِّد، المقتضب ٤/ ٧٤، وابن الأنباري، الإنصاف ١/ ٨٧ المسألة ١٣ .

(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ٧٦ .

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ٧٦ ، وابن الأنباري، الإنصاف ١/ ٨٨ المسألة ١٣ .

فقد أعمل الشاعر في البيت السابق العامل الثاني لقربه، ولو أعمل الأول لقال: جرى فوقها واستشعرته لونُ مذهب، وقد فُصل هنا بين الفعل والفاعل بجملة «واستشعرته».

- وقول رجل من باهلة:

ولقد أرَى تَغنى بـه سيفانـةٌ تصبي الحليم ومثلُها أصباه[1]

فقد أعمل الشاعر في البيت السابق العامل الثاني «تغني» لقربه من المعمول.

ودليل البصريين على أن العامل الثاني أولى بالعمل من الأول، النقل، والقياس[2] . أما النقل، فقد جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وكلام العرب نثرًا وشعرًا، كما ذكرنا من قبل. وقد سبق ذكر بعض الأمثلة من كلام العرب شعراً ونثرًا، ونذكر هنا بعض الأمثلة من القرآن الكريم، ومثالاً من الحديث النبوي الشريف.

• أمثلة من القرآن الكريم:

وردت بعض نصوص من القرآن الكريم التي تشتمل على صورة التنازع، وقد أُعمل فيها العامل الثاني[3] لقربه، مثال ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [سورة الكهف/ من الآية٩٦].

فتنازع هنا فعلان «آتوني وأفرغ» معمولاً واحدًا هو «قطرًا»، وقد أعمل

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب ١/ ٧٧ ، وابن الأنباري، الإنصاف ١/ ٨٩ المسألة ١٣ .
(٢) ابن الأنباري، الإنصاف ١/ ٨٧ المسألة ١٣ .
(٣) ربّما يكون هذا هو ما دفع البصريين إلى القول بإعمال العامل الثاني.

الفعل الثاني «أُفرغ» ولو أعمل الأول لقال: «آتوني أُفرغه عليه قطرًا»، لأنه لو أُعمل الأول ذُكر في الثاني كل ما يحتاج إليه حتى ولو كان فضلة.

- وقوله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [سورة الحاقة/ من الآية ١٩].

فقد تنازع في الآية السابقة، اسم الفعل «هاؤم» وفعل الأمر «اقرءوا» معمولاً واحد هو «كتابيه» وأُعمل العامل الثاني «اقرءوا» ولو أُعمل الأول لقال: «هاؤم اقرءوه كتابيه».

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ [سورة المنافقون / من الآية ٥].

فقد تنازع الفعلان «تعالوا» و«يستغفر» معمولاً واحدًا هو «رسول الله»، وأعمل الثاني، فرُفع «رسول» على الفاعلية، ولو أُعمل الأول لقال: «تعالوا يستغفر لكم إلى رسول الله»؛ لأن الفعل «تعال» فعل لازم يتعدى بحرف الجر «إلى».

- وقوله تعالى:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [سورة النساء/ من الآية ١٧٦].

فقد تنازع الفعلان «يستفتونك، ويفتيكم» معمولاً واحد هو «في الكلالة»، وقد أعمل الفعل الثاني، فأضمر في الأول المعمول المتعلق، ويرى الكوفيون[١] أن «في الكلالة» متعلق بـ «يستفتونك»، وهذا ضعيف؛ لأنه لو كان كذلك لقال: يفتيكم فيها في الكلالة. فالعامل هنا هو الثاني، ولو أعمل الأول لقال: «يستفتونك قل الله يفتيكم فيها في الكلالة».

---

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٤١٣.

لأنه عند إعمال الأول يُذكر كل ما يحتاج إليه العامل الثاني، حتى ولو كان فضلة.

• **ومثال الحديث الشريف:**

قول الرسول ﷺ : « **ونخلع ونترُك مَنْ يَفْجُرُك**»[1] .

فقد تنازع فعلان هما «نخلع، نترك» معمولاً واحداً هو «مَنْ»، وقد أعمل العامل الثاني «نترك» في المعمول «منْ» وأضمر ضمير المعمول في العامل الأول؛ لأنه فضلة يمكن الاستغناء عنها، ولو أعمل الأول لقال: «ونخلع ونتركه من يفجرك».

ومن **أثر قرب الجوار في العمل** قولهم:

خشنت بصدره وصدر زيد.

فيجوز هنا في كلمة «صدر» المعطوفة وجهان من الإعراب:

الأول: الجر لمجاورته لمجرور بالباء الزائدة.

الثاني: النصب على المفعولية بالفعل «خشّن» لأن الباء هنا زائدة.

ويرى سيبويه أن وجه الكلام هو جرّ كلمة «صدر» المعطوفة لقربها من المجرور يقول في: خشنت بصدره وصدر زيد.

أن الجر هو «وجه الكلام، حيث كان الجر في الأول، وكانت الباء أقرب إلى الاسم من الفعل، ولا ينقض معنى»[2] .

---

(١) ابن الأنباري، الإنصاف ١/ ٨٧ المسألة ١٣ .
(٢) سيبويه، الكتاب ١/ ٧٤ .

فسيبويه يبحث في الكلام عن عامل للمعمول، ويحدّده بأنه الثاني لقربه من المعمول، مع اهتمامه في الوقت نفسه بالمحافظة على المعنى المراد من الكلام. فمادام المعنى لا يُنقض، ولا يتغيّر مع إعمال العامل الثاني، فهو الأولى لجانب القرب وحرمة الجوار.

ويرى المبرِّد رأي سيبويه فيقول: إنّ الوجه أن تقول: خشنت بصدرك وصدرِ زيد، فتعمل الباء؛ لأنها الأقرب»(١) .

ويرى ابن يعيش أن الأجود هو جرّ كلمة «صدر» يقول: «ومن الدليل على مراعاة القرب والمجاورة قولهم: خشّنت بصدره وصدرِ زيد. فأجازوا في المعطوف وجهين أجودهما: الخفض فاختير الخفض ههنا حملاً على الباء، وإن كانت زائدة في حكم الساقط للقرب والمجاورة»(٢) .

وللجوار أثر في جزم جواب الشرط عند الكوفيين، فهو مجزوم عندهم لمجاورته فعل الشرط، فهو لازم له «لا يكاد ينفك عنه. فلما كان بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم، فكان مجزومًا على الجوار»(٣).

كقوله تعالى:

﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ [سورة الجن/ من الآية ١٣].

وقوله تعالى:

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [سورة الروم/ من الآية ٣٦].

---

(١) المبرِّد، المقتضب ٤/ ٧٣ .

(٢) ابن يعيش، شرح المفصّل ١/ ٧٩ .

(٣) ابن الأنباري، الإنصاف ٢/ ٦٠٢ المسألة ٨٤ .

فجزم جواب الشرط على الجوار هو رأي الكوفيين، أما البصريون فلهم ثلاثة[1] مذاهب هي:

١- أن العامل في فعل الشرط وجواب الشرط هو حرف الشرط.

٢- أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان في جواب الشرط.

٣- أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط، وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط.

ثالثًا: ظاهرة المطابقة [تأنيث الفعل مع الفاعل المؤنث].

يجب إلحاق الفعل تاء التأنيث إذا كان الفاعل مؤنثًا في حالتين هما:

١- إذا كان الفاعل اسمًا ظاهرًا حقيقي التأنيث ولم يفصل بينه وبين الفعل.

٢- إذا كان الفاعل ضميرًا مستترًا يعود على حقيقي التأنيث أو مجازي التأنيث.

ففي نحو: **قامت هند.**

لا يجوز حذف تاء التأنيث؛ لأن الفاعل الحقيقي التأنيث جاور الفعل، فوجوب التأنيث هنا يرجع إلى قرب الجوار بين الفعل والفاعل.

وفي نحو: **الشمس طلعت** **وهند قامت**

يجب ذكر تاء التأنيث؛ لأن الفاعل الضمير جاور الفعل، فإلحاق الفعل تاء التأنيث هنا يرجع إلى قرب الجوار بين المسند والمسند إليه، لذلك إذا فُصل بين الفعل والفاعل المؤنث الحقيقي بفاصل، أي زال الجوار

(١) ابن الأنباري، الإنصاف ٢/ ٦٠٢ المسألة ٨٤ .

بينهما، جاز إلحاق التاء ولم يعد واجبًا، بسبب عدم الجوار، مثل:

ما حضر ندوة الشعر اليوم إلا فاطمة.

يقول أبو البقاء العكبري في أثر الجوار بين الفعل والفاعل في وجوب إلحاق الفعل تاء التأنيث: «ألا ترى إلى قولهم: الشمس طلعت، وأنه لا يجوز فيه حذف التاء، لّما جاور الضمير الفعل، وكذلك قامت هند، لا يجوز فيه حذف التاء، فلو فصلت بينهما جاز حذفها، وما كان ذلك إلا لأجل المجاورة»[1].

ويقول العكبري أيضًا: «ومما راعت العرب فيه الجوار قولهم: قامت هند، فلم يجيزوا حذف التاء إذا لم يفصل بينهما؛ فإن فصلوا بينهما أجازوا حذفها، ولا فرق بينهما إلا المجاورة وعدم المجاورة»[2].

وقد يراعى في إلحاق الفعل تاء التأنيث علاقة الجوار بين المضاف والمضاف إليه، فالتركيب الإضافي وحدة لغوية واحدة تنشأ أصلاً عن علاقة المجاورة؛ لأن الأصل ألا يفصل بين المضاف والمضاف إليه، لشدة الارتباط التركيبي بينهما.

هذه العلاقة التجاوريّة تجعل كلاً من المضاف والمضاف إليه يتأثر كل منهما بالآخر «من حيث تأنيث الفعل مع فاعله أو نائبه وتذكيره»[3].

ففي قوله تعالى:

---

(١) السيوطي، الأشباه والنظائر في النّحو، ١/٣٢٧-٣٢٨.

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٥٧٥.

(٣) د. عبد الفتاح أحمد الحمّوز، الحمل على الجوار في القرآن الكريم، مكتبة الرشيد، الرياض، ط. الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م ص ١٦.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف/ من الآية٥٦].

جاء خبر إنّ مذكراً، مع أن اسم «إنّ» مؤنّث، وذلك يرجع إلى اكتساب المضاف معنى التذكير من المضاف إليه «الله» وما كان هذا ليحدث لولا قرب الجوار بين المضاف المؤنث والمضاف إليه المذكر.

فعلاقة الجوار في الآية الكريمة السابقة هي التي ساعدت على مجيء الخبر مذكراً.

وقد ذكر العكبري أقوالاً كثيرة في عدم تأنيث كلمة «قريب» في الآية السابقة، فقال: «إنّما لم تؤنّث»؛ لأنه أراد المطر.

وقيل: إنّ الرحمة والترحّم بمعنى.

وقيل: هو على النّسب، أي ذات قرب، كما يقال: امرأة طالق.

وقيل: هو فعيل بمعنى مفعول، كما قالوا: لحية دَهين، وكفّ خضيب.

وقيل: أراد المكان؛ أي إنّ مكان رحمة الله قريب.

وقيل: فرّق بالحذف بين القريب من النسب وبين القريب من غيره»[1]

فالقول باكتساب المضاف التذكير من المضاف إليه عن طريق المجاورة يغنينا عن التأويلات والأقوال السابقة التي ذكرها العكبري.

وقد يلحق الفعل تاء التأنيث مراعاة لحالة الجوار بين المضاف المذكر والمضاف إليه المؤنث ففي قولهم: **ذهبت بعض أصابعه.**

«إنّما أنّث البعض؛ لأنه أضافه إلى مؤنّث هو منه»[2].

---

(١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٤٢٣ .

(٢) سيبويه، الكتاب ١/ ٥١ .

فعلاقة الجوار بين المضاف والمضاف إليه جعلت الأول يكتسب من الثاني التأنيث، ومن ثم جاز إلحاق الفعل تاء التأنيث مراعاة لقرب الجوار.

ومن إلحاق الفعل تاء التأنيث مراعاة لقرب الجوار قول الأعشى:

وتشرَق بالقول الذي أذَعْتَه كما شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ مِنَ الدَّمِ[1]

فقد ألحق الفعل «شرق» تاء التأنيث، لاكتساب الفاعل «صدر» المضاف معنى التأنيث من المضاف إليه المؤنّث «القناة» وذلك عن طريق الجوار بين المضاف والمضاف إليه.

- وقول الشاعر:

لما أتَى خبرُ الزُّبَيْر تَضَعْضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشّعُ[2]

فقد ألحق الشاعر الفعل «تضعضع» تاء التأنيث؛ لأن المسند إليه وهو كلمة «سور» المضاف اكتسب التأنيث من المضاف إليه «المدينة»، وذلك عن طريق الجوار.

وقد حذفت تاء التأنيث من كلمة «عشر» في قوله تعالى: ﴿**فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [سورة الأنعام/ من الآية ١٦٠].

مراعاة لحالة المضاف إليه «أمثالها». وكلمة أمثال مذكّرة «ولكن لما جاورت الضمير المؤنث أجرى عليها حكمه»[3].

فسبب حذف تاء التأنيث من كلمة «عشر» هو حدوث الجوار بين المضاف والمضاف إليه في كلمة «أمثالها».

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ٥٣.

(٢) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، القسم الأول ص ٤٢٣.

(٣) المرجع السابق، والصفحة نفسها.

نتائج البحث

يمكن أن نستخلص نتائج البحث في النقاط التالية:

أ- في المستوى الصوتي:

للجوار أثر واضح في المستوى الصوتي، وذلك في المواضع الآتية:

١- اتفاق حركات الحرفين المتجاورين في بنية الكلمة لغرض إحداث نوع من التناسب الصوتي، عن طريق الإتباع، وهو ما يسمى في علم اللغة الحديث بالتوافق الحركي.

٢- الإدغام بين الحرفين المتجاورين، ليحدث نوع من المماثلة Assmilation، ويرجع ذلك إلى قرب المخرج بين الصوتين المتماثلين، مثل الإدغام الناقص بين النون المشكلة بالسكون والياء في نحو: من يقول. ومن الإدغام أيضًا إبدال لام هل وبل في حرف الراء مثل:

هل رأيت ⟵ هرّأيت

٣- القلب، وهو قلب الحرف إلى حرف آخر مجاور له، مثل قلب حرف الباء إلى حرف آخر هو الميم؛ لاتفاق المخرج بينهما، والسبب في هذا الإقلاب هو علاقة الجوار بين النون الساكنة والباء التالية لها في نحو: (من بعد).

٤- الإبدال: وهو إبدال الحرف إلى حرف آخر ليتفق معه في بعض الصفات مثل : إبدال تاء الافتعال إلى صوت الطاء أو الدال، ليتفق مع فاء الكلمة في صفة التفخيم أو الجهر مثل: **اصطبر، اذدهر**.

ب- المستوى الصرفي:

ظهر أثر الجوار في المستوى الصـرفي الذي يتمثل في المحاذاة، وهو أن تكون كلمة بحذاء كلمة أخرى، فيتفقان في الوزن مثل:

- **الغدايا والعشايا** . - **جائع نائع** .

أو يكون اتفاق الوزن بين الكلمتين عن طريق تغير حركة بعض أحرف الكلمة مثل: **رِجْس نِجْس** .

جـ- المستوى النحوي:

ارتبط الجوار فـي المستوى التـركيـبي للكلام ببعض الظواهر الـنحوية وهي:

- ظاهرة الإعراب .
- ظاهرة العامل .
- ظاهرة المطابقة في النوع .

- ففي **ظاهرة الإعـراب** ظهر أثر الجـوار في اتفاق الحركة الإعـرابية بين الكلمتين المتجاورتين في بعـض الأبواب وهي: النعت، والتوكيد، وعطف النسق، وما لا ينصرف.

ولم تكن الحركة الإعرابية في الكلمة الثـانية نتيجة لعامل من العوامل بل كانت سـببًا ونتـيجة لقـرب الجوار، وقد ظهـر هذا في القرآن الكريم، وكلام العرب شعرًا ونثرًا.

- كما أن صرف الممنوع من الصرف جـاء ليحدث نوعًا من الانسجام الصوتي بين المتجاورين.

- كما ظهر أثر الجوار في تحديد وظيفة الاسم عند غياب القرينة الإعرابية، وعدم القدرة على تحديد الوظيفة الإعرابية للكلمة داخل الجملة.

- وفي **ظاهرة العامل** ظهر أثر الجوار في تحديد العامل في نقطتين:

١- في باب التنازع:

ففي باب التنازع ذهب البصريون إلى أن العامل في الاسم المتنازع فيه هو الثاني لقربه من المعمول، وقد جاء إعمال العامل الثاني في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي كلام العرب شعراً ونثراً.

٢- وفي أسلوب الشرط:

يرى الكوفيون أن جواب الشرط مجزوم بفعل الشرط بسبب علاقة قرب الجوار بينهما.

- وفي **ظاهرة المطابقة** ظهر أثر الجوار في مسألتين:

١- إلحاق الفعل تاء التأنيث وجوبًا إذا كان الفاعل اسمًا ظاهرًا حقيقي التأنيث، ولم يفصل بينه وبين الفعل بفاصل، أو كان الفاعل ضميرًا يعود على حقيقي التأنيث أو مجازيه.

٢- اكتساب المضاف التذكير أو التأنيث من المضاف إليه لقوة الجوار بينهما فهما وحدة لغوية واحدة.

ويمكن أن نقول : إن أثر الجوار لا يمكن تجاهله، فقد ظهر أثره بوضوح في مستويات اللغة المتعددة الصوتية والصرفية والنحوية.

المصادر والمراجع

- د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٧م.
- ابن الأنباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٨٢م.
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد) فقه اللغة وسر العربية، القاهرة، د. ت.
- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي)، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- ابن جني (أبو الفتح عثمان) .

* الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
* سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
* المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
* المنصف لكتاب التصرف للمازني، تحقيق محمد عبد القادر، وأحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

■ أبو حيّان (محمد بن يوسف)، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
■ ابن خالويه (الحسين بن أحمد) الحجة في القراءات السبع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط. الرابعة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
■ الخليل بن أحمد، كتاب الجمل في النّحو، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
■ الرازي (فخر الدين محمد بن عُمر بن الحسين)، المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت د. ت.
■ رمضان عبد التواب.
* التطور اللغوي، مكتبة الخانجي، دار الرفاعي بالرياض، ط الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م.
* المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. الثانية ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
■ الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، الكشاف، دار الكاتب العربي، بيروت، د. ت.
■ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
■ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر).
* الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

* الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

■ الصبّان (محمد بن علي) حاشية الصبّان على شرح الأشموني، عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة، د. ت.

■ د. عبد الفتاح أحمد الحموز، الحمل على الجوار في القرآن الكريم، مكتبة الرشيد، الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

■ العكبري [أبو البقاء عبد الله بن الحسين) التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط. الثانية ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

■ ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس).

* الإتباع والمزاوجة، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت.

* الصاحبي، تحقيق أحمد صقر، عيسى البابلي الحلبي بالقاهرة، د.ت.

■ الفراء [أبو زكريا يحيى بن زياد] معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية ١٩٨٠م.

■ القالي [أبو علي إسماعيل بن القاسم]، كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

■ د. كمال محمد بشر، علم اللغة العام، القسم الثاني، الأصوات، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.

■ ابن مالك [أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبدالله] تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

■ المبِّرد [أبو العباس محمد بن يزيد]، المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٨هـ.

■ ابن مجاهد [أبو بكر أحمد بن موسى] كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط الثانية ١٤٠٠هـ.

■ د. محمود فهمي حجازي.

* علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت .

* مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٨م.

■ النّحاس [أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل] إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

■ ابن هشام [أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد].

* أوضح المسالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. الخامسة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

* شرح شذور الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩١١م.

* مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

■ ابن يعيش [موفق الدين يعيش بن علي]، شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت، د.ت .

«التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف»

د. صبحي إبراهيم الفقي

كلية الآداب ـ جامعة طنطا

مقدمة

يعد التناص Intrtextulity ـ إن جاز التعبير ـ ظاهرة من الظواهر التى اتسم بها النص عامة، ونص الحديث الشريف خاصة؛ فالنص لابد له، بصورة أو بأخرى، أن يتفاعل مع غيره من النصوص؛ قد يكون التفاعل ايجابياً، وقد يكون سلبياً، لكنه فى نهاية المطاف تفاعل.

وهذا التفاعل الكائن بين النصوص، ليس عبر المكتوب أو المنطوق فقط، لكنه يتعدى ذلك إلى أن يكون النص متناصاً مع حادث اجتماعى أو اقتصادى... إلخ، فليس مفهوم التناص قائماً على الصلة بين النصوص المكتوبة أو المنطوقة فحسب. وهذا أمر طبيعى؛ فليس النص إلا صورة محاكية لواقع ما، هذا الواقع قد يكون ماضياً، أو حاضراً. وقد يكون النص كذلك مناقشاً لآمال يرجى تحقيقها فى المستقبل. ومن ثم فالتناص بين النصوص المنطوقة أو المكتوبة، ليس إلا صورة واحدة من صورة متعددة للتناص.

ونظراً لضرورة تحقق التناص فى أى عمل يسمى نصاً؛ فقد رأينا التناص فى تراثنا العربى؛ فى الشعر والنثر؛ وقد نوقش هذا فى قضايا مثل الاقتباس والتضمين، بل قضية السرقات الأدبية ليست ـ فيما نرى ـ بعيدة عن هذه الظاهرة؛ فقد يكون بجملة أو عدة جمل، أو بعبارة، أو بفكرة، أو بإشارة ما.

والقرآن الكريم ـ بوصفه نصاً ـ يتخلله نمطان من التناص؛ تناص داخلى، وذلك بين عدد من السور مع بعضها البعض؛ فليست السور القرآنية نصوصاً هكذا مرتبة بغير نسق أو مناسبة؛ فقد تتكرر آية بعينها فى عدد من السور، أو جزء من آية أو قصة، أو فكرة، أو فاصلة قرآنية.

أما التناص الخارجى؛ فإنه يتضح من خلال مناسبات النزول ـ على سبيل المثال؛ فالقرآن نزل مناقشاً لعدد من القضايا والمواقف، ومن ثم هناك تفاعل بين النص والواقعة أو المناسبة. وكذلك التفاعل بين القرآن والتوراة والإنجيل فى عدد من الأفكار. بل التفاعل كذلك بين لغة القرآن ولغة العرب؛ فقد نزل «بلسان عربى مبين»؛ ومن ثم وجدت فى أسلوب القرآن ظواهر كائنة فى لغة العرب؛ مثل الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والإتساع ... إلخ.

أما التناص فى موضوع الدراسة، فهو بين القرآن الكريم والحديث الشريف؛ ففى الثانى قد يكون مؤكداً كما فى القرآن، أو مفصلاً لما أجمل، أو مشيراً لما ذكر فى النص القرآنى ... إلخ. باللفظ والمعنى معاً، أو بالمعنى وحده. وبأكثر من آية، أو بآية واحدة، أو بجزء من آية، أو بإشارة إلى آية.

والتناص بينهما أمر بدهى؛ فالحديث الوارد عن الرسول ﷺ قد ورد عـمن لا ينطق عن الهـوى، إن هو إلا وحى يوحـى، والوحى هذا من الله سبحانه وتعالى، والنص القرآنى كذلك، ومن ثم فالتفاعل بينهما أمر قائم لا شك فيه.

واللافت للانتباه أن هذا الموضوع لم يدرس من قبل، خاصـة فى ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، وهذا من أهم أسباب الاتجاه نحو كتابة هذا البحث.

إذن الفرضيـة الأساسيـة التى يهدف البحث إلى مناقشتـهـا، أن الحـديث الشـريف لم يكن ـ بحـال من الأحـوال ـ بمعـزل عن النص القـرآنى؛ من حـيث اللفظ والمعنى مـعـاً، أو بالأخـيـر وحـده؛ على وجـه الخصوص أن الحديث يعد مفسراً للقرآن؛ فما أجمل فى القرآن فصل فى الحـديث؛ لكن السؤال: كـيف تم هذا التناص بين النصين؟ كـيـف وظفت الآيات فى خدمة الحديث، وتعميق دلالته؟ ما المساحة النصية التى شغلها النص القرآنى فى متن الحديث؟ ما نوع التناص بينـهما: توكيد، ترادف، تكميل، تفصيل، مـخالفة...إلخ؟ ما محاور التناص المستعملة؟ ما وظيفة المتلقى فى اكتشاف هذا التناص؟ ما نمط الإحالة من خلال هذا التناص؟

والسبب فى اختيـار مـجال التناص لكتابة هذا البـحث كذلك، غير الإجابة عن الأسئلة السالفة؛ هو أن التناص يعد مـحوراً بارزاً تدور حوله مجالات متعددة فى الحياة؛ فهو كائن بين النصوص بأنواعها وعصورها، وهو كـائن بين فكر المبـدع وأدائه اللغـوى، وهو كـائن بين المعنوى والمحسوس، وبين الوقائع الاجتماعية وغيرها والنصوص المعبرة عنها؛

فالحياة كلها قائمة على محور التفاعل بين العناصر المكونة لها؛ ومن ثم فدائرة التناص تتسع إلى درجة تجعله مجاله ـ أى التناص ـ «الحياة كلها[١]».

وطبقاً للتفاعل بين المعنوى والمحسوس؛ نجد أن الثانى تمثله العلامة اللغوية، والأول تمثله الكفاءة Competence المعبرة عن قدر الفكر الكامن لدى المنتج؛ وإذا كان علم السيميوطيقا ـ علم العلامات والإشارات ـ يقر أن «التعريف البسيط للعلامة هو أنها شىء مادى يستدعى إلى الذهن شيئاً معنوياً»[٢]، فإننا نذهب إلى أن هذا نمط من التناص؛ اللغة وما تشير إليه من مفاهيم أو وقائع أو أشياء.

وترجع قيمة هذه الدراسة كذلك إلى قلة الدراسات التى تدور حول التناص نسبياً، خاصة الدراسة التطبيقية؛ «فعلى الرغم من شيوع هذا المصطلح فى النقد الغربى المعاصر، فإن أصداءه ما تزال خافتة فى النقد العربى المعاصر...»[٣].

والتفاعل أو التناص بين القرآن والحديث، لم يكن بينهما فحسب، بل لجأ الناس، على اختلاف مستوياتهم، إلى النص القرآنى ملتمسين منه ما يؤيد آراءهم، ومن ثم كان الاقتباس ـ على حد تعبير الثعالبى ـ «للناس على اختلاف طبقاتهم، وتفاوت درجاتهم من كتاب الله عز اسمه فى خطبهم ومخاطباتهم وحكمهم وآدابهم وأمور معاشهم ومعادهم، وفى مكاتباتهم، ومحاوراتهم، ومواعظهم، وأمثالهم، ونوادرهم، وأشعارهم، وسائر أغراضهم..»[٤].

لكن السؤال: إذا كان الناس يستعينون بالنص القرآنى فى كافة تعاملاتهم بهذه الصورة؛ لإضفاء روح الصدق والقدسية على ما ينتجونه

من لغة مكتوبة أو منطوقة، إذا كان الأمر كذلك؛ فلِمَ يحدث التناص بين القرآن الكريم والحديث الشريف؟

إذا كان الباحثون يذهبون إلى أن «الأدباء يستعينون بالموروثات الدينية؛ قرآن، حديث، شخصيات، لأن هذا يضفى قوة ومصداقية على النص الأدبى الحديث، ترفعه إلى مرتبة من القداسة والتسامى؛ محدثاً فى الوقت ذاته نوعاً من الانزياح أمام النص الحديث.. متخذاً من النص التراثى غطاء أو مواجهة أو رداءً، فى حركة الاستبدالات والسياقات تدور فى فضاء النص الجديد»[٥]. فهل يعد إضفاء المصداقية للحديث الشريف عبر التناص مع النص القرآنى، سبباً من أسباب التناص؟

لا شك فى أن الرجوع إلى النص القرآنى يجيب عن هذا السؤال إذ يقول تعالى «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى»[٦]. فالحديث يعد إذن وحياً من الله، ونصاً من الرسول ﷺ، ومن ثم فليس الحديث فى حاجة إلى ما يثبت مصداقيته؛ لكن التناص قد يحدث لسبب ما يلى:

أولاً: تقريب الفكرة التى يتحدث عنها الحديث من خلال الربط بين القرآن والحديث.

ثانياً: ذكر الآية أو النص القرآنى المراد شرحه أو تفصيله.

ثالثاً: الترغيب فى الإقبال على الطاعة بذكر آيات الجنة على سبيل المثال فى الحديث.

رابعاً: الترهيب من عاقبة المعصية، بذكر بعض الآيات الذاكرة للنار.

فالسياق المحيط بنص الحديث إذن هو الذى يضفى تلك المصداقية والقدسية على نص الحديث؛ فمن عناصر السياق: المتحدث مَن هو؟ ما صفاته؟... إلخ؟ فإذا كان المتحدث بالصفات السابق ذكرها، إذن نصه لا يحتاج إلى ما يضفى عليه المصداقية؛ عكس الشعراء، أو الأدباء عامة؛ فكلامهم يخضع للتصديق والتكذيب؛ ولذا كان من الضرورى عندهم سبر أغوار النص القرآنى مقتبسين منه ما يجعل نصوصهم صادقة عليها هالة من القوة؛ ففى هذا التناص «تعزيز قوى لشاعرية الأديب ودعم لاستمراره فى حافظة الإنسان؛ وذلك لأن ذاكرة الإنسان تحرص على الإمساك بالنص الدينى أو الشعرى؛ نظراً لطبيعة شكل الكلام الدينى أو الشعرى»(٧).

واللافت للانتباه أن نص الحديث الشريف بين دفتى صحيح الإمام مسلم، تنتشر فيه ظاهرة التناص من القرآن الكريم فى مئات المواضع مما دفع الباحث إلى مناقشة هذه الظاهرة نظرية بصورة موجزة، وتطبيقاً بصورة مركزة على كتاب من كتب صحيح مسلم؛ وهو «كتاب الإيمان»، الذى يشغل الجزء الأول من ص ١٤٥ إلى ص ٢٤٥، والجزء الثانى كله من ص ٢ إلى ص ٢٣٨، والجزء الثالث من ص ٢ إلى ص ٩٨، ليبلغ عدد الصفحات المشتملة على نص الحديث الشريف ٤٣٢ صفحة.

وقد نبه الثعالبى ٤٢٩ على انتشار هذه الظاهرة فى الحديث الشريف؛ «... فهذا النبى هو أفصح العرب لهجة وأعذبهم عذبة وأحسنهم إفصاحاً وبياناً، وأرجحهم فى الحكمة البالغة ميزاناً، قد اقتبس من معانى القرآن وألفاظه فى الكثير من كلامه والجم الغفير من مقاله»(٨).

ولعل قيمة هذا الكتاب تغني عن السؤال لِمَ هذا دون غيره؟ لكن ما قاله شارح النص فيه ما يكفى: «فقد أجمع العلماء على جلالته ـ أى الإمام مسلم ـ وإمامته وعلو مرتبته وحذقه فى هذه الصنعة وتقدمه فيها وتضلعه منها، ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وروعه وحذقه وقعوره فى علوم الحديث واضطلاعه منها وتقنيته فيها كتابة الصحيح الذى لم يوجد فى كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان، والاحتراز من التحويل فى الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة ...»(٩).

وسوف يسلك هذا البحث المنهج التالى:

القسم الأول منه؛ القسم النظرى، ويناقش فيه:

ـ مفهوم التناص وطبيعته.

ـ التناص بين القدماء والمحدثين.

ـ أهمية التناص.

ـ أنواع التناص.

ـ التناص والمنتج والمتلقى والسياق.

ـ التناص والإحالة.

أما القسم الثانى؛ التطبيقى، فيتناول هذه الظاهرة عبر المحاور التالية:

أولاً: التناص بآية أو أكثر.

ثانياً: التناص بجزء من اية.

ثالثاً: بكلمة من آية أو إشارة إليها.

رابعاً: التناص بالمعنى دون الشكل.

أما مصادر الدراسة؛ فكانت:

أولاً: المصادر التراثية.

ثانياً: المصادر العربية المعاصرة/ الحديثة.

ثالثاً: المصادر الأجنبية المعاصرة، ومنها تلك المقالات من شبكة المعلومات؛ «الإنترنت».

القسم الأول

القسم النظرى

مفهوم التناص وطبيعته

فى حقيقة الأمر كلما تعاملت الدراسات اللغوية، المعاصرة بصفة خاصة، مع مصطلح من المصطلحات الحديثة، تجد نفسها أمام عدد كبير من تعدد المقابلات العربية لهذا المصطلح. وفى أغلب الأحيان تقف هذه الاختلافات فى المقابل العربى للمصطلح حائلاً دون التطبيق الصحيح لهذا المصطلح. ولا شك فى أن توحد المصطلح يوحى للوهلة الأولى أن آليات هذا المصطلح قد استقرت، وبالتالى يمكن التطبيق حينذاك.

والنظرة الدقيقة لمصطلح الدراسة الذى بين أيدينا والمقابلات المتعددة له باللغة العربية، توحى بأنه على الرغم من هذا التعدد فإنها كلها تدور حول معنى واحد لا غير؛ فالاختلاف فى المصطلح العربى ليس مثيراً للجدل بصورة كبيرة تستحق الوقوف عندها طويلاً، مع أن البعض أشار إلى أنه «لم تثر كلمة جدلاً نقدياً شغل الحداثيين قدر الجدل الذى أثارته كلمة intertextuality. ربما يكون أحد أسباب الجدل فى العربية هو غرابة المصطلح النقدى الذى نقلت إليه؛ فأحياناً تترجم إلى تناص، وأحياناً أخرى تترجم إلى بينصية التزاماً بأمانة نقل المصطلح باللغة الإنجليزية. والذى يجزئه بعض نقاد الحداثة إلى «بين ـ inter» فيكون التعبير الأكثر دقة هو «بين ـ نص»...»(١٠).

وعلى الرغم من أن هذا المصطلح واحد من الإنجليزية، فإنه متعدد فى العربية؛ فيذكر الباحثون أنه «لم يتفق المترجمون العرب المعاصرون

بعد على تعريب مصطلح «التناص»؛ فبعضهم يعربه (التناص)، وآخرون (التناصية)، وفريق ثالث بـ (النصوصية)، ورابع بـ (تداخل النصوص)، ومع ذلك فإن المصطلح الأول (التناص) هو الذى شاع وانتشر»[١١].

واللافت للانتباه أن هذا الاختلاف حول هذا المصطلح لم يكن وليداً للبحث اللغوى المعاصر فحسب؛ بل لدى القدماء كذلك: فقد استعملوا عدة مترادفات تدور حول هذا المجال؛ منها «... الموازنة، المفاضلة، الوساطة، التضمين، الاقتباس، الاستشهاد، السرقات، المعارضات، النقائض...»[١٢]. وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن القدماء قد أدركوا هذه النظرية؛ تنظيراً وتطبيقاً، بخاصة أن هذه المصطلحات كلها لا تستعمل إلا فى مجال المقابلة بين أكثر من نص، مما لا يدع مجالاً للشك فى أن هذه النظرية كانت شبه كاملة عند علمائنا القدامى؛ غير أنها لم تأخذ هذا الاصطلاح «التناص» فقط.

ويأتى آخر بمصطلح جديد؛ (جامع النص)؛ إذ يرى أن «التناص نوع من تأويل النص، أو هو الفضاء الذى يتحرك فيه القارىء الناقل بحرية وتلقائية، معتمداً على مذخوره من المعارف والثقافات، وذلك بإرجاع النص إلى عناصره الأولى التى شكلته وصولاً إلى فك شفراته، إذ إن ثقافة المبدع قد تكونت عبر دروب مختلفة، لا يستطيع تبيانها فى كل الأحوال. وبذلك يمكن القول: إن النص حصيلة ثقافية وحضارية لرحلة الأديب عبر إبداعه، بل عبر حياته كلها... فالمصطلح إضافة جديدة... بوصفه بؤرة جامعة للمعارف والخبرات والثقافات الإنسانية كلها. لهذا يستحق أن يطلق عليه (جامع النص)»[١٣] فكل من المبدع والمتلقى إذن

فى حاجة إلى التفاعل مع ماضيه الثقافى الذى يمتلكه كل منهما؛ الأول فى حاجة إليه لبناء صرحه المسمى نصاً؛ وبدون هذا الاستدعاء لا يسمى النص نصاً. أما الثانى فلحاجته إلى بيان هذه الجذور التى استقى المبدع منها قواعد نصه؛ بمعنى آخر المبدع والمتلقى فى حالة تناص؛ لكن الغاية من تناص كل منهما مختلفة؛ فالأول يقرأ نصوصاً مختلفة منها تتكون لبنات نصه، والثانى بدوره ـ لفك شفرة نص المبدع ـ يقرأ نصوصاً عديدة؛ فالأول يُرَكِّب نصاً، والثانى يفك هذا التركيب ببيان جذوره. حتى المعاجم اللغوية نفسها؛ لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادى، وأساس البلاغة للزمخشرى، والمخصص لابن سيده وغيرها، أجمعت هذه المعاجم أن «التناص» مثل تناص القوم أى «اجتمعوا»؛ والاجتماع هذه أمر محتوم على كل نص؛ فالنص يجمع شتاته من خلال نصوص أخرى عديدة، بل من خلال سياقات وتجارب وأحداث وأشخاص... إلخ.

ويذكر مارك أنجينو مصطلحات نحو: «التفاعلية (تفاعلية السياقات) (تفاعلية سيميائية) (تفاعلية اجتماعية ـ لفظية)[١٤]. ويضيف د. حمودة مصطلحات نحو: «النص اللانهائى ـ الكتاب الأكبر (نقلاً عن بارت) ـ الأرشيف (نقلاً عن فوكوه)»[١٥].

وأمام هذا الكم من المقابلات لهذا المصطلح intertextuality، يقف المحلل اللغوى لحظات كأنه يعجز عن إيجاد مفهوم موحد لهذه المقابلات، لكنه لا يلبث أن يلمح هذا الخيط الذى يجمع هذه التعددية المختلفة شكلاً المتفقة مضموناً؛ سواء أكان هذا قديماً أم حديثاً؛ لكن الغاية بل الغايات لدى القدماء تعدد من الموازنة، إلى التضمين، إلى الاقتباس،... إلخ. غير

أن الدرس الحديث، فى الغالب، غايته واحدة تُعْنى ببيان الجذور المكونة للنص، مع بيان وسائل التناص بين النص الحالى والنصوص الأخرى. فالمفهوم الموحد لهذه المقابلات إذن هو «التماس بين النص الحالى وغيره من النصوص والأحداث والأشخاص والوقائع... إلخ». ولا يذهب الباحث كما ذهب آخر إلى أن «المسألة ليست فى معرفة ماذا تعنى بالتناص، ولكن لأى شيء يصلح التناص أو يستعمل...»(١٦) إذ لعله ـ كما أسلفنا ـ من أهم معالم استقرار النظريات عامة، والنظرية اللغوية خاصة، هو الاتفاق حول المصطلح من ناحية، وما يعنيه هذا المصطلح من ناحية أخرى. والمصطلح الذى يراه الباحث مناسباً هو «التناص»؛ لأن هذه الصيغة جاءت من الجذر المعجمى «نَصَصَ» على وزن «فَعَلَ»، وتَنَاصَّ على وزن (تَفَاعَلَ)؛ وهى من الصيغ التى لا تحدث إلا بين اثنين على الأقل؛ أى: أهمية المشاركة بين أكثر من طرف، ومن ثم فهذا المصطلح يجمع بين أمرين هما:ـ

١ ـ مادة هذا التفاعل هى «النص».

٢ ـ طبيعة العلاقة بين النصوص وهى «التفاعل».

وإذا كان هذا هو المصطلح الذى ارتضته هذه الدراسة، فما مفهومه؟

لا نستطيع تقسيم الإجابة عنه إلى مفهوم هذا المصطلح عينه عند القدماء،ثم عند المحدثين؛ لأنه، بصورة بسيطة، لم يرد على صيغته هذه عند القدماء، ومن ثم نركز على مفهومه لدى المحدثين.

وإذا حاولنا البحث عن الجذور المكونة لأى نص كائن لنثبت أنه

ليس هناك ما يسمى بالنص المُنْتَج من تلقاء نفسه دون وجود فيض من مصادر أخرى تسهم فى بناء هذا النص؛ فالمنتج للنص لديه ما يسمى بالكفاءة اللغوية Competence؛ وهى مقدار ما استطاع أن يختزنه ذلك المنتج من محصول لغوى، وثقافى، وتجارب، وأحداث،... إلخ وذلك عبر الزمن. ومن ثم حينما يفكر فى إنتاج النص، فإن هذا يكون رد فعل لهذا المخزون، ولذا فالتناص يبدأ من الفكرة نفسها، إلى استعمال ألفاظ وعبارات ومعانٍ مختلفة من هذا المحصول. فالتناص إذن صورة فى كل ما يمكن أن يُسمى نصاً؛ بل يعد شرطاً من الشروط الواجب توفرها فى هذا الصرح النصى(١٧).

بل يضيف د. صلاح فضل أن النص يكتسب قوته بقدر ما يكتسبه من أعمال أخرى؛ «فأى عمل يكتسب ما يحققه من معنى بقوة كل ما كتب قبله من نصوص...»(١٨).

ويؤكد محمد عزام أن «رولان بارت يرى أن كل (نص) هو (تناص)، وأن النصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصية على الفهم. إذ فيها نتعرف نصوص الثقافة السالفة والحالية. فكل نص ـ عنده ـ ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة. و(التناصية) عند بارت هى قَدَر كل نص، مهما كان جنسه»(١٩).

ومصطلح التناص لم يكن وليد العقود الأخيرة فحسب، بل استطاع دى سوسير الإشارة إليه وتسجيله؛ «فمشكل تقاطع وتفسخ عدة خطابات دخيلة فى اللغة الشعرية قد تم تسجيله من طرف سوسير فى التصحيفات...»(٢٠)؛ ومن ثم يكن تقرير أن اقتصاص النصوص لبعضها

البعض، أو التناص نشأ فناً قبل أن ينشأ علماً بفترات زمنية كبيرة؛ فالتناص وجد يوم أن وجد ما يسمى نصاً، لكنه لم ينل هذا الاهتمام بهذه الصورة المركزة إلا فى الآونة الأخيرة.

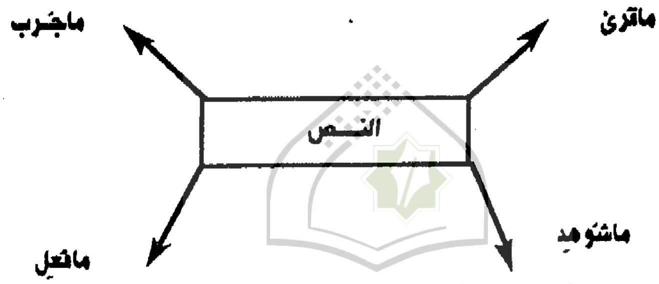
ويذكر روبرت دى بوجراند أن «التناص يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت فى حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة؛ فالجواب فى المحادثة... أو أى ملخص يُذكر بنص مابعد قراءته مباشرة... يمثلان تكامل النصوص بلا واسطة...»(٢١)، وهنا يجمع بين تعريف المصطلح، وبين طرق حدوثه، وكذلك نماذج لكل، لكن المثالين بين تعريف المصطلح وبين طرق حدوثه، وكذلك نماذج لكل، لكن المثالين المذكورين يمثلان نوعاً واحداً أو طريقة واحدة؛ وهى طريقة التناص دون واسطة. ونماذج الطريقة الثانية، منها استعمال فعل القول، أو الإشارة، أو التصريح بالمقتبس منه... إلخ.

وتعرفه كريسطيفا بأنه «ترحال للنصوص، وتداخل نصى؛ ففى فضاء النص تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى»(٢٢) وتضيف أنه يمكن أن نحدد النص من خلال تحقق التناص فيه؛ فتحدده، كجهاز عبر لسانى يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلى يهدف إلى الأخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من المفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه؛ فالنص إذن انتاجية...»(٢٣).

ويدور تعريف ليون سمفيل فى الفلك نفسه؛ بأنه «مجموعة النصوص التى لها علاقات بنص محدد»(٢٤)، ولذا فالتناص عبارة عن نص «يخبئ نصاً آخر»(٢٥). ويوسع بارت دائرة التناص أكثر بقوله «إن

النص الحاضر يحمل فى شفراته بقايا وآثاراً وشذرات من ذلك الكتاب الأكبر، وأنه جزء من كل ما تمت كتابته. إن عناصر الكتاب المشفرة، من منظور بارت، (عبارة عن شظايا متعددة لشيء قد تمت قراءته، ورؤيته، وفعله، وتجربته،...)(٢٦).

فالتناص من خلال المفهوم الأخير ليس بين عدة نصوص فحسب، بل بين النص المقروء من ناحية، وبين كل ما قُرئ، ورُؤى، وفُعِل، وجُرب... إلخ فعلاقة النص مع غيره عبر التناص يمكن أن نمثلها بالشكل:



ويضيف آخر أن التناص عملية مكررة كل يوم من ناحية، وعند كل إنسان من ناحية أخرى؛ وهذا حقيقى؛ فالأفعال والأقوال الصادرة عن الإنسان لا تكون إلا نتيجة حتمية لما يسميه بلومفليد: المثير stimulus والاستجابة Response؛ فالمتلقى يتناص مع المرسل سواء فى الأحداث أو الأقوال أو الأفكار. ومن ثم «فالتناص هو تلك العمليات التى يوجهها كل إنسان كل يوم؛ ليس فقط فى الشعر، لكن كذلك فى التواصل؛ ويحدد H. Widdowsen التناص أنه: الصدى الذى يتكرر فى كل النصوص من بعضها؛ فكل مستعملى اللغة يمتلكون التاريخ للمستعملين السابقين؛ فمهما أقول أو أكتب فإنه لا محالة استمرار لخبرتى باللغة ونوع من الارتداد فى

اتجاه معاكس. وفى الواقع نجد أن ترجمة مصطلح التناص يمكن أن تعنى فقط تلك النصوص التى تتفاعل interact مع بعضها محققة بذلك ما يسمى بالاتصال بينها. ويحدد Vincent Letch التناص بأنه «النص الذى لا يعد موضوعاً مستقلاً أو متمتعاً بالحكم الذاتى Atonomous، لكنه موضع للعلامات مع نصوص أخرى»، و «التناص كذلك يشير إلى أبعد من تأثيرات الكتاب فى بعضهم؛ إذ يشير إلى محاولة البحث عن الجذور المكونة للنص؛ البحث عن الأصالة والتجديد...»(٢٧).

ولقد ذهبت بعض النظريات مذهباً بعيداً يلقى بالنص بعيداً لاستبداله بالتناص؛ فالأول لا وجود له؛ بينما الثانى يمثل تلك الاستمرارية لحياة الإنتاج؛ «فالنصية هى أن النص الأدبى منتج مغلق، فهو نسق نهائى يمكن تحليله وتفسيره... أما البينصية/ التناص فهى نقيض ذلك تماماً؛ فالنص ليس تشكيلاً مغلقاً أو نهائياً. ولكنه يحمل آثار traces نصوص سابقة، إنه يحمل رماداً ثقافياً... فمعنى ذلك فى حقيقة الأمر أنه لا يوجد نص؛ ما يوجد هو «بين ـ نص»(٢٨).

لكن النص ليس كذلك؛ ليس منتجاً مغلقاً بأى حال من الأحوال؛ فمن الملاحظ أن بداية الرأى السابق تقر أنه ليس هناك نص أو منتج مغلق، وفى آخره ليس هناك ما يسمى بالنص، بل التناص؛ فالنص لا يمكن أن يكون مغلقاً؛ فما هو إلا نتيجة لقبسات من عوامل أخرى من النصوص السابقة، ولذا ما نرتضيه أن التناص «يعد من سمات» «النص»؛ إذ لا يمكن أن يرفض ما يمس بالنص؛ «فمفهوم النصية يقوم، عند مفكرى ما بعد البنوية، على أساس مفهوم النص المفتوح المتعددة، الذى جاء رد فعل يقابل الانغلاق البنيوى للنصوص... ويعتقد مفكرو ما بعد

البنيوية، أن أهم خصيصة للنص؛ هي أنه متناص؛ فكل نص يرجعنا بطرق مختلفة إلى بحر لا نهائي من النصوص المكتوبة من قبل»[٢٩]. فالتناص ـ كما أكد علماء النص ـ يعد شرطاً أساساً من شروط تكوين ما يسمى بالنص، بل يزول عن النص هذا الوصف (النص) إذا تخلف أحد من هذه الشروط[٣٠].

ويعرض د. عناني التطور في معنى هذا المصطلح ليفضي في النهاية إلى أن معنى التناص «كان مقصوراً في أول الأمر على تعدد الأصوات في الشعر بأبسط معنى اشتقاق له، وهو الازدواج في النظم بين الإيقاع المجرد (سواء أكان يمثل في النبر أو في توالي الحركات والسكنات) وبين أصوات الحروف نفسها، ثم تطور معناه ليدل على تشابك المعاني الداخلية للكلمات مع معانيها أو نظائرها أو «أقربائها» في نصوص أخرى خارج القصيدة، ثم اتسع معناها أخيراً في دراسة السيميوطيقا ليدل على التشابك بين النصوص على أي مستوى ـ صوتياً كان أو دلالياً أو تركيبياً[٣١].

طبيعة التناص

لا شك إذن فى أن النص لا يمكنه أن يعيش منفرداً عن التناص، ولذا نرى أن طبيعة التناص، أو طبيعة العلاقة بين النص وغيره من النصوص تخضع لأحد المعايير التالية:

١ ـ مطابقة بالمعنى دون اللفظ.

٢ ـ المشابهة فى اللفظ والمعنى.

٣ ـ المخالفة.

٤ ـ التفصيل والشرح والتوضيح.

٥ ـ الاجمال فى أحدهما والتفصيل فى الآخر.

٦ ـ استفهام كائن فى أحد النصين والإجابة عنه فى الآخر.

فالمنتج للنص لا يمكنه الدخول إلى فضاء نصه خالياً تماماً من كل المعلومات المختزنة لديه، عبر قراءته لنصوص أخرى، أو استماعه إليها. ومن ثم فلابد من وجود أثر ما فى النص الحالى، يسير على أى من الأنماط السابقة، سواء أكان بقصد أو بدونه.

ونظراً لهذه الحتمية التناصية لوحظ أن «الاتساعية النصية هى بعد عالمى... فليس هناك عمل أدبى لا يستدعى، بدرجة مختلفة وحسب القارىء، بعض الأعمال الأخرى، وبذلك تكون الأعمال كلها اتساعية نصية...»(٣٢). واللافت للانتباه أن هذا الاتساع النصى أو التناص ليس خاصاً بالنص الأدبى وحده، بل وجد كذلك وبصورة كبيرة ـ فى متن الحديث الشريف، ومنتاصاً ـ بصورة خاصة ـ مع نص القرآن الكريم.

والتناص يجعل النص غير معزول عما يحيط به متزامناً معه، أو سابقاً له، من النصوص وغيرها، ولهذا يرى بارت أن «كل نص هو تناص... فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة... والتناصية قَدَر كل نص، مهما كان جنسه... ومتصور التناص هو الذى يعطى، أصولياً، نظرية النص جانبها الاجتماعى...»(٣٣).

والتناص كذلك ـ من طبيعته ـ أنه يسمح بتوليد نصوص جديد من رحم نصوص أخرى قديمة؛ «فأى نص جديد فى أى مجال من المجالات ما هو إلا حصيلة لتفاعل خلاق بين منشئ هذا النص ونصوص أخرى سباقة عليه»(٣٤). لذلك «لا يوجد فى الواقع ـ على حد تعبير د. عبدالعزيز حمودة ـ نص أول أو نص أصل غزته نصوص سابقة»(٣٥).

والمتأمل فى النص القرآنى يستنتج أن هذا النص قد تناص مع أحداث وقصص ووقائع؛ مثل قصص الأنبياء، بل مع صور من الواقع كما فى قوله تعالى: «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح... الآية»(٣٦)؛ فلتقريب الصورة إلى ذهن المتلقى أتى ـ سبحانه ـ بهذه الصورة من الواقع.

والنصوص عامة تتمتع باحتوائها على كم كبير من النظم الإشارية التى تتطلب قراءات كثيرة غير النص الحاضر، وذلك لاستكشاف منبع هذه الإشاريات، وهذا الاستكشاف لا يتأتى دون وجود الكفاءة العالية لدى المتلقى لفك شفرة النص الذى أمامه؛ فالنص الحاضر قد يحمل إشاريات إلى نصوص تراثية تمتد فى عمق الزمان الغابر، وقد تكون نصوصاً معاصرة، وقد تكون أحداثاً أو تجارب، وهذا النظم تؤدى دور «إعادة بناء

نماذج متضمنة بشكل أو بأخر، مهما كانت التحولات التى تجرى عليها»(٣٧).

وعلاقات النص مع غيره تسير عبر محورين أساسيين «المحور الأفقى Horizontal الذى يربط المؤلف والقارىء للنص. والمحور الرأسى A vertical الذى يربط النص بنصوص أخرى»(٣٨).

فالنص الحاضر = أجزاء من نصوص أخرى + الوقائع والأحداث والتجارب. ومن هذا المنظور «يكون من الواضح أنه لا يمكن اعتبار المدلول الشعرى نابعاً من سَنَن محدد. إنه مجال تقاطع عدة شفرات تجد نفسها فى علاقة متبادلة»(٣٩).

ومن طبيعة التناص كذلك أنه لا يخص الشعر دون النثر؛ بل فيهما معاً، بل قد يتبادل النص الشعرى مع النص النثرى؛ فترى فحوى الحِكَم والأمثال فى طيات الشعر الجاهلى، على سبيل المثال. وكذلك العمل النثرى؛ لا يستقبل فيه المبدع داخل عمله الأدبى التعددية اللسانية والصوتية للغة الأدبية وغير الأدبية بدون أن يضعف عمله من جراء ذلك. بل إنه يصير أكثر عمقاً؛ لأن ذلك يسهم فى نوعيته وتفرده»(٤٠).

ولهذه الطبيعة للتناص يرى محمد عزام أن التناص تحكمه ثلاثة قوانين، ونرى أنها ليست قوانين؛ بل هى درجات التناص فى العمل/ النص؛ فهو يرى أن هذه القوانين هى:

١ ـ الاجترار، وفيه يستمد الأدبى من عصور سابقة/ ويتعامل مع النص الغائب بوعى سكونى، فينتج عن ذلك انفصال بين عناصر الإبداع السابقة واللاحقة.

٢ ـ الامتصاص، وهو أعلى درجة من سابقه. وفيه ينطلق الأديب

من الإقرار بأهمية النص الغائب، وضرورة (امتصاصه)، ضمن النص الماثل، كاستمرار متجدد.

٣ ـ الحوار، وهو أعلى المستويات. ويعتمد على القراءة الواعية المتعمقة التى ترفد النص الماثل ببنيات نصوص سابقة، معاصرة، أو تراثية[٤١].

فالتناص إذن يجعل النص كائناً حياً يأخذ ويعطى، بل يكسبه اللانهائية النصية التى تمتع النص بالجذور المتعمقة فى نصوص أخرى، وتجعله مادة لاكتساب النصوص التى تليه كذلك.

التناص نظرية تاريخية

يحفل تراثنا العربي بنظرات ثاقبة في التحليل النصي، تفضي في الغالب إلى إدراك حقيقي لمضمون هذه النظرية «التناص»، من حيث الاصطلاح أو من حيث التحليل، غير أن المصطلحات التي شاع استعمالها في التراث كلها لم تذكر مصطلح التناص، هذا المصطلح الذي أفردته الدراسات المعاصرة. ومن هنا يذهب الباحثون خلف هذه الحقيقة ليؤكدوا أن القدماء العرب قد تنبهوا» إلى ظاهرة (تداخل النصوص) أو (التفاعل النصي)، وبخاصة في الخطاب الشعري، واتخذ هذا التنبه طبيعة تحليلية نقدية، تعددت فيه مجموعة من المصطلحات التي تدقق في جزئيات التداخل، وتضعها داخل إطار اصطلاحي لتمييزها عما سواها، ورصدوا طرائق ممارستها... ومن هنا يمكن القول إن النقد العربي القديم أشار إلى (التفاعل النصي)،... تحت تسميات اصطلاحية من مثل: التضمين، الاستشهاد، الاقتباس، حتى (السرقات) كان لها من فهمها على أنها تأثر لا أخذ...»(٤٢).

والملاحظ في بعض هذه المصطلحات وغيرها مما أشرنا إليه سابقاً، أنها تسلك مسلك الأحكام أحياناً؛ فمصطلح «السرقات» يفضي إلى الحكم بأن التالي قد تفاعل في نصه مع سابقيه دون الإشارة إلى هذا السبق، وهذا النوع يسمى سرقة. لكننا على كل الأحوال نؤكد أن مصطلح التناص لا يمكن أن يطلق إلا على ذلك النص الحاضر الذي استطاع أن يصهر داخله النصوص السابقة؛ لأن التناص يعني التفاعل، والتفاعل يؤدي إلى الانصهار، أما إذا كان الحضور للنص الغائب داخل النص الحاضر عبارة عن نقل فقط دون رابط بينهما، فإن هذا لا يعد تناصاً.

ولم يقف إسهام القدماء عند حد المصطلحات أو التحليل فقط، بل تعدى ذلك إلى وضع مصنفات كاملة تدور حول هذه النظرية، «فقد وعى النقد العربى القديم أن ثمة علاقة لا يمكن إغفالها بين النصوص اللاحقة والسابقة، مثلما أن ثمة علاقة بين النصوص المتعاصرة، وهذه العلاقة تقوم على فكرة الاستيحاء والأخذ والعطاء والتاثر والتأثير... إلخ.

فلنقدنا العربى القديم شرف الرؤية الأولى، وحق الريادة فى إنجاز هذه المهمة...»(٤٣).

إذن مصطلح «التناص» هو الجزء الذى غاب فقط عن وعى القدماء، ولعل السبب فى ترعرع هذا المصطلح حديثاً يرجع إلى أن تلك المدارس التحليلية التى نشأت فى أحضانها هى المدرسة النصية، وتلك المدرسة لم تكن كائنة بهذا المسمى قديماً، مع الرغم من أن المصطلحات السابقة، وكذا المصنفات توحى كلها بالإدراك لهذا المصطلح، ولهذه المعالجة النصية.

ولعل أهمية التناص تتضح ــ قديماً ــ فى تعليق محمد بريدى. على تلك الرواية التى اشتهرت فى كتب النقد عن أبى نواس حينما استأذن خلفاً الأحمر فى نظم الشعر، فلم يأذن له. فيقول: «والحكمة التى ينطوى عليها مسلك خلف... تكمن فى أن الشاعر لا يكون كذلك إلا إذا عرف التراث، ولكنها معرفة لا تنصرف إلى حروف التراث؛ لأن الغاية منها أن ينطبع فى نفس الشاعر أثر يتوجه عنه حيث يبدأ فى النظم للشعر...»(٤٤).

ولم يقف التناص عند أهل المشرق وحدهم، بل تعداه إلى الموشحات الأندلسية كذلك؛ فتستعار أبيات كاملة تمثل خرجة، بل يسبق

هذه الخرجة وسيلة من وسائل التناص، وهى لفظ القول؛ «ففى المتأخرين مَن يعجز عن الخرجة فيستعير خرجة غيره،.. ويشترط فى الخرجة أن تكون قولاً مستعاراً على بعض الألسنة.... ولابد فى البيت الذى قبل الخرجة من: قال، أو: قلت، أو: قالت، أو: غنى، أو: غنيت أو: غنت....

ومن شواهده: ما فعل ابن بقى فى بيت ابن المعتز وهى:

علمونى كيف أسلو وإلا فاحجبوا عنى مقلتى الملاحا

فقال:

رب خصر دق منك فَراقَا

يعقد السيف عليه نطاقا

فتشكى ثقل ردف فضاقا

فلذا دق هوارى وجلا إن مات هوى استراها

لست أشكو غير هجر مواصل

مذ منعت القلب غير عذل عاذل

وتغنيت لهم قول قايل

علمونى كيف أسلو وإلا فاحجبوا عنى مقلتى الملاحا»(٤٥)

فهذا النص ـ على طوله ـ يحمل فى طياته تأكيداً للتناص بصورة تطبيقية، ويحمل مرجعية سابقة واضحة بين نص ابن بقى، ونص ابن المعتز. وكذا يؤكد ـ كما أكد ما سبقه ـ إدراك القدماء لهذه الظاهرة بصورة واضحة؛ نظرية وتطبيقاً.

وبالنسبة لعلاقة نص الحديث الشريف بنص القرآن الكريم يذكر

الثعالبى ٤٢٩هـ أن: «النبى وهو أفصح العرب لهجة وأعذبهم عذبة وأحسنهم إفصاحاً وبياناً، وأرجحهم فى الحكمة البالغة ميزاناً، قد اقتبس من معانى القرآن وألفاظه فى الكثير من كلامه والجم الغفير من مقاله»(٤٦).

فقد حدث التناص على مستويين:

الأول: الدلالى: «ما اقتبسه من معانى القرآن».

الثانى: الشكلى: «ما اقتبسه من كلامه ومقاله».

وليس هذا فحسب، بل تأكيد تفشي هذه الظاهرة في نص الحديث الشريف.

***

أما المحدثون فإنه يظهر فى أفقهم علمان بارزان يرجع إليهما فضل السبق فى هذه النظرية؛ أما أولهما فهو «ميخائيل باختين ت ١٩٧٥م»؛ إذ اكتشف هذه النظرية، من حيث انفتاح النص على غيره من النصوص؛ «فإذا كان أرسطو يتحدث عن عمل» مغلق «فإن باختين يقدم مفهومات جمالية لنص «مفتوح»(٤٧). فقد أرسى إذن الإلماحات الأولى للنظرية، غير أنه لم يعطها المصطلح المتداول الآن؛ «التناص»؛ فقد كان يسمى تلك النظرية «التفاعل السوسيو لفظى»(٤٨). ولذا يؤكد د. صلاح فضل، نقلاً عن «جريماس»، أن «باختين أول من استعمل مفهوم التناص، ولذا فقد آثار اهتمام الباحثين فى الغرب بحيوية الإجراءات التى تقوم عليها الدراسات المقارنة التى تتضمنه، والتى يمكن أن تمثل تحولاً منهجياً فى نظرية التأثيرات»(٤٩) ومن ثم تؤكد الشواهد أنه أثار المفهوم ولم يثر

المصطلح، عكس من رأى أن «كثيراً من الباحثين يرجعون الفضل فى اكتشاف المصطلح إلى باختين»(٥٠). بل انصب جل اهتمامه حول «وضع أسس جديدة لعلم يسميه (علم مابعد علم اللغة، أو علم عبر اللسان Metalinguistics التى ينقلها تودوروف إلى Translinguistics، يطمح من خلاله إلى دراسة الجانب الآخر من الظاهرة اللغوية؛ أى جانب حياة الظلمة.... وبذلك يكون باختين قد مهد لانفتاح النص على خارجه...»(٥١) ويذكر آخرون أنه «قد ظهر مصطلح التناص فى عام ١٩٦٥ على يد جوليا كريستيفيا كما بات معروفاً فى دراستها فى دويستوفسكى ورابلى، وكان أول من أشار إليه هو شكلوفسكى عندما ربط بين فهم العمل الفنى وعلاقته بالأعمال الفنية الأخرى استناداً إلى الترابطات القائمة فيما بينها، لكن الأصول الأولى تعود إلى الناقد الروسى باختين الذى أسس له نظرياً فى كتابه (شعرية دويستوفسكى) ودعاه بالحوارية، حتى جاءت كريستيفيا وصاغته بشكل متطور وجديد. وقد التقى حول هذا المفهوم فيما بعد عدد من النقاد الغربيين أمثال رولان بارت وفيليب سولرس وهارولد بلوم وآخرين، وكما هو واضح من تاريخ ظهور هذا المصطلح، وشيوع استخدامه فى السبعينيات من القرن الماضى فإن النقد العربى قياساً على استخدامه للمناهج النقدية الأخرى، كان متأخراً فى استخدامه لهذه النظرية، بل إن حجم هذا الاستخدام والتعامل معها ما يزال محدوداً وإن كثر الاهتمام بها فى الآونة الأخيرة»(٥٢).

ومن بين الإسهامات التى أفاض بها باختين فى هذا المجال، تقديمه لعدة مجالات يظهر فيها التناص بصورة جلية؛ منها:

١ ـ التناصية الروائية.

٢ ـ التناصية الإجناسية؛ فالجنس الأدبى يدخل فى حوار معلن أو خفى مع غيره من الأجناس سواء على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون...

٣ ـ التناصية النقدية (الميتالغوى)، فالكتابة النقدية... نصوص تعالج نصوصاً...

٤ ـ التناصية القرائية»[٥٣].

وقد أشار الباحثون إلى أن هناك محاولات سبقت المحاولة الباختينية، مثل مارتن هايدجر، ونورثروب فراى، ودى سوسير، وشكلوفسكى... إلخ[٥٤]. غير أنها «لم تتأصل ـ أى هذه نظريات ـ عند أحد كما تأصلت عنده ـ أى باختين ـ فقد أسس عليها نظريات انطلق منها جل نقده»[٥٥].

أما ثانيهما، فإنها جوليا كريسطيفا؛ فإذا كان الفضل لباختين فى وضع المفهوم والأنواع أو المجالات إلى حد كبير، فإن كريسطيفا أسهمت بوضع ذلك المصطلح الذى نتداوله الآن «التناص»؛ فهى أول من طرح هذا المصطلح، «وأول من طرح مفهوم التناص فى منتصف الستينيات»[٥٦]. إذ «تحدد النص كجهاز عبر لسانى يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلى يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه»[٥٧]؛ فكر يسطيفا إذن «التى أعطت للتناص التسمية النهائية»[٥٨].

التناص إذن ظاهر قديمة، على حد تعبير د. حسن حماد[٥٩]، غير أن الفضل فى اكتشاف هذه الظاهرة، فيما نرى، يرجع إلى علمائنا العرب

القدامى، كما سلف؛ فلهم السبق فى التطبيق بصفة خاصة، وفى وضع مترادفات عديدة لهذه الظاهرة. ثم آثار المحدثون الغربيون هذه القضية فى أواخر الستينيات، لتستقل بهذا المصطلح من بين مصطلحات علم اللغة النصى Textual inguistics، نظرية واصطلاحاً وتطبيقاً.

وليس هذا فحسب، بل ربط المحدثون كذلك بينها وبين التحويل Transformation؛ «فكل نص امتصاص وتحويل لنص آخر... إذ لا يكون النص محروماً من العلاقات مع الواقع الخارجى»[٦٠]. ومنهم من ربط بينهما وبين التوليد[٦١]، كما عند قدمائنا هذه النظرية تحت التضمين والاقتباس والسرقات... إلخ.

وإذا كان التناص قد احتل هذه المكانة قديماً وحديثاً، ونال هذا الاهتمام كذلك، فما أهميته؟ وقبل هذا: أيعد التناص ـ بهذه الصورة ـ ضرورة فى كل نص؟

أهمية التناص

لا شك فى أن الحياة برمتها تخضع لهذه الظاهرة، فيما يخص الإنسان، وليس على مستوى النصوص وحدها، فكونها تخضع للمثير والاستجابة فى الحياة عامة، وفى اللغة خاصة، هذا يفضى إلى الإيمان بأن أى أداء لغوى لابد أن يتمثل هذه الظاهرة؛ فلا يبدأ المبدع إبداعه من فراغ على الاطلاق؛ إذ هناك ما يسمى بالنص المنسى بصفة مؤقتة، وهو بداخل مكونات كفاءة Competence الإنسان التى تبدأ منذ نعومة أظفاره، ويظهر هذا النص إما بصورته أو مضمونه حين حاجة المبدع إليه فى إنتاجه لنص الحاضر؛ إذ يستعيد هذا النص شذرات من نصوص غائبة.

ومن هنا نستنتج أن «التناص» يعد أمراً محتوماً فى كل ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح «النص»، وكذا ضرورة انفتاح النص؛ «ففى ظل الكرنفال المفتوح الذى تتداخل فيه الأشياء، تنتفى فكرة النص المغلق، إذ إن محاولة إغلاق النص عن طريق تفسير نهائى محكوم عليها بالفشل...»(٦٢) . وذلك لأن «النص الغائب يبدو مكوناً رئيسياً للنص الماثل، ذلك أن «النص الماثل» لم ينشأ من لا شيء... وقد كان من شروط تعلم الشعر، عند العرب، أن يطلب من الشاعر، فى مرحلة التلقى، أن يحفظ كثيراً من أشعار غيره. ثم ينساها فى مرحلة العطاء الشعرى، لتدخل محفوظاته فى نسيج عطائه... وقد اصطنع ابن خلدون مصطلح «نسيان المحفوظ». ودعاه رولان بارت (تضمينات من غير تنصيص) . وهكذا ننتهى إلى أن كل (نص) ماثل إنما هو مجموعة من (النصوص) الغائبة...(٦٣) وأكد آخرون كذلك «أن التناص هو سمة كل نص...»(٦٤) وأنه «لا خلاف على أن «النص» هو «بين ـ نص»... فالنص لا وجود له

إلا «بين ـِ نصوص»، بل إن «التناص» هو الذى يضع الأسس لقيام لنص، وربما تكون تلك العلاقة بين النص والبينصية، أو القول بضرورة تحقق البينصية حتى يتحقق قيام النص، سبباً فى الاستخدام المتأخر لكلمة «نص» بمعنى «بينص»(٦٥).

فالأفكار متداولة، وكذا الكلمات، غير أن المبدع للنص الحاضر يتمثل ما سبقه، ثم يعيد توزيعه فى نصه، ومن ثم يخلق من هذه اللبنات القادمة من النصوص الغائبة، نصاً جديداً، بأسلوب يخصه؛ فالإبداع يكمن فى كيفية الإفادة من السابق لإنتاج الحاضر ليفيد منه المستقبل. ولذا «فالشاعر إذ يبتكر قصيدته من خلال الحوار الخلاق مع تراثه لا يصنع قصيدته وحده؛ بل يصنعها معه أسلافه من الشعراء... ويشكل المعنى من خلال توليد نصه من نصوص سابقة عليه...»(٦٦).

نخلص إذن إلى أن «النص» لا يكون هذا إلا إذا تداخل معه عدد من النصوص السابقة أو المعاصرة، وهذا كائن ـ بصورة واضحة ـ فى النص الخاص بالحديث الشريف؛ إذ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنص القرآن أو مقرراً لموجود فيه. وكذا إما أن يكون باللفظ والمعنى، أو بالمعنى فقط، أو بالإشارة.

وتكمن أهمية التناص فى النقاط التالية:

١ ـ يسهم فى كشف العلاقات بين النصوص.

٢ ـ يحقق ديمومة النص من الماضى إلى الحاضر ثم المستقبل.

٣ ـ الكشف عن الدلالة الكائنة فى النص عبر معرفة المرجعية النصية؛ إلى أى شىء يرجع هذا النص (النص الحاضر).

٤ ـ إماطة اللثام عن الأصول المكونة للنص.

٥ ـ يسهم فى بيان قدرة كل من المبدع والمتلقى؛ الأول فى امتصاص النصوص السابقة، وخلق نص جديد من خلالها ـ والثانى فى قدرته على فك شفرات النص الحاضر وبيان مرجعياته النصية.

٦ ـ يحقق نصية النص.

فأمر التناص إذن محتوم، وقدر لكل نص؛ «وقد كشفت البحوث السيميائية عن أن هذا التناص... كالأوكسجين الذى لا يشم ولا يرى، ومع ذلك لا أحد من العقلاء ينكر أن كل الأمكنة تحتويه، وأن الأمر، فى كل ماكتبوا للكتابات التى سبقتهم أو عاصرتهم من حيث لا يشعرون»(٦٧) فالتناص يشبه الأوكسجين من حيث الأهمية وحتمية الوجود، لكنه لا يشبهه فى عدم الإحساس به؛ فالتناص أمر ملموس محسوس، خاصة إذا كان باللفظ والمعنى معاً، بل بالمعنى كذلك يظهر التناص بصورة ملموسة.

وبلغت أهميته لدرجة جعلت البعض ينادى بأنه «ينبغى أن تحل دراسة التناص محل دراسة النص؛ لأن هذا التناص لا يستخدم إلا للاستدلال على معرفة ذلك النص... ولذا نخص التناص بالقسم الأكبر من انتباهنا»(٦٨). لكن هذا الأمر فيه مبالغة؛ فالنص ليس تناصاً فحسب، بل ـ كما سلف ـ يشتمل على العديد من القضايا، منها التناص.

فالتناص إذن يكشف عن العلاقات بين النصوص، بعد إثبات وجودها؛ فقد تكون الصلة توكيدية بين النصوص، وقد تكون حواراً من أسئلة وإجابات، وقد تكون بالتعارض، وقد تكون بالإجمال والتفصيل، وقد تكون بالتكميل، وقد تكون بالتكرار دون إبداع؛ والصلة بين نص القرآن

الكريم ونص الحديث الشريف فيها الكثير من العلاقات السابقة كما سنرى.

بل يمكن القول إن التناص يسهم فى وضع الأسس التى تتصل النصوص من خلالها. وهذا الاتصال بنقل الشكل والمعنى والفكرة من جذور الماضى فى خلق ديمومة النص؛ فما زالت الجذور اللفظية والدلالية والفكرة تمتد لتلقى بظلالها على إبداعات المعاصرين، مما يحقق للنص القديم وجوداً فى النص المعاصر»، حيث يمتد الزمن من القرون السابقة حتى اليوم، وكأن الزمن يعيش ديمومة الصراع...»(٦٩) وهذا فيما نرى يحقق تماسكاً بين القديم والحاضر والمستقبل، ويحقق بقاءً لحياة اللغة؛ «فالنص المعاصر يتداخل مع نصوص غائبة قبله، ويهيئ نفسه للدخول فى نصوص مستقبلية...»(٧٠).

وكذلك التناص يسهم فى إماطة اللثام عن الدلالة الكائنة فى النص الحاضر؛ إذ إن هناك دلالة بين الكلمات الداخلية فى النص، وبين ما تشير إليه، وهناك دلالة أخرى قائمة على العلاقة بين النص الحاضر والنصوص المتمثلة داخله؛ فالدلالة إذن تعد ـ على حد تعبير كريسطيفا «نتاجاً لـ:

أ ـ التنسيق النحوى للوحدات المعجمية باعتبارها وحدات دلالية (تفاعلاً من الكلمات).

ب ـ عملية مركبة ومتعددة الجوانب تتم بين وحدات دلالية لتلك الوحدات المعجية والآثار الفريدة للدلالة التى تثيرها الوحدات المعجمية حين يتم إعادة وضعها فى الفضاء المتداخل نصياً وتوزيعها داخل مختلف السياقات»(٧١).

فالنص ـ على سبيل المثال ـ تكثر فيه المرجعية Reference

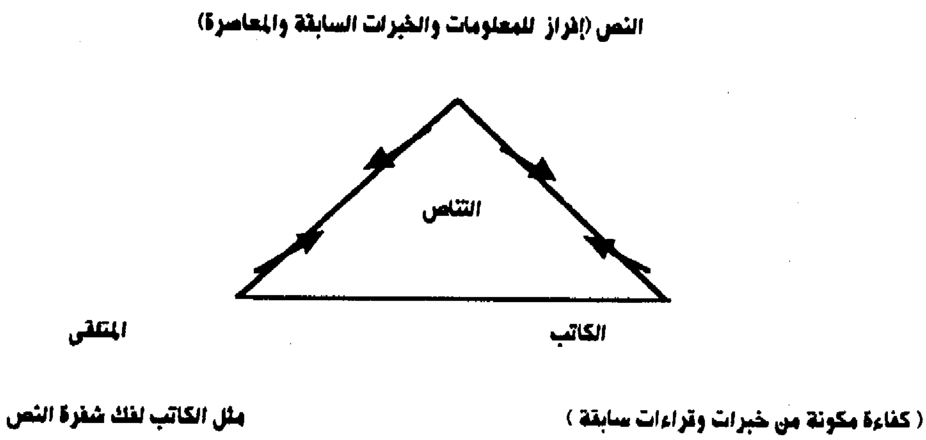
بأنواعها؛ فكل كلمة في النص تحمل إحالة إلى شيء، وفك شفرة هذه الإحالة، يسهم - إلى حد كبير - في بيان ما تشير إليه، ومن ثم الحصول على الدلالة المقصودة؛ فالدلالة تعد غامضة إلى حد ما حتى تتضح هذه الإحالات؛ ومن هنا كان الاهتمام بأسباب النزول في النص القرآني، والسياق الاجتماعي... إلخ؛ فقد تكون الإحالة إلى واقعة معينة، أو إلى شخص محدد، أو إلى نص ما... إلخ.

وكذا من مهام التناص أنه يسهم في الكشف عن الجذور المكونة للنص؛ ولعل قضية السرقات قد أثيرت نتيجة الوعي بالأصول التي أقامت بناء النص. غير أن الوصول إلى تلك الأصول يعتمد على الكفاءة المكونة للمتلقي، وعلى قدر الكفاءة تكون النتيجة دقيقة في اعتماد الأصول. ولذلك نرى أن التناص بالمعنى دون الشكل يمثل صعوبة ما لدى المتلقي في معرفة مصدر هذا التناص، وسوف يتضح هذا جلياً في المبحث الخاص بالتناص بالمعنى. ومن هذا المنطلق «ارتادت بعض تجارب العربية الروائية مستوى التأصيل عن طريق التفاعل - [التناص] - الحدس (ربما) مع مكونات الواقع العربي ومع محكيات التراث ومتخيلاته»(٧٢). والأمر نفسه بالنسبة للحديث الشريف؛ فمن أهم مقومات بناء نصه «القرآن الكريم».

فالنص الجديد - بهذا المنطلق - يعد إنتاجاً جديداً للنص القديم، على حد تعبير د. مصطفى عبدالغنى(٧٣). لكن هذا الزعم يفضي إلى نتيجة مؤداها أن النص الجديد تكرار للقديم، والحقيقة أن النص الجديد يستلهم بعضاً من بنى النص القديم، ليقيم صرحاً جديداً، القديم جزء من مكوناته فقط؛ فمكونات الجسد هي لقيمات الخبز، لكن الجسد غير الخبز تماماً، وكذا النص الجديد والقديم.

والتناص لا تقف مهمته عند هذا الحد بل تتعداه إلى العنصرين الأساسيين فى بناء النص؛ هما المنتج والمتلقى؛ فالتناص يسمح للأول ببناء النص الجديد عبر هضمه للنصوص السابقة والمعاصرة؛ إما عن قصد وعمد باللفظ والمعنى، أو بالمعنى فقط، أو من غير قصد، وذلك عبر استدعاء المحفوظ المنسى؛ فبدون هذا لا يتأتى له إنتاج ذلك النص.

أما الثانى ـ المتلقى ـ فأهمية النص عنده لا تقل عن المنتج؛ فدخول عالم النص بكفاءة خاوية، لا يؤدى إلى نتيجة غالباً، أو قد يؤدى إلى نتيجة مضللة، ومن ثم وجب احتياجه إلى تلك الكفاءة المكونة من قراءاته السابقة والمعاصرة كلها. ولذا تختلف نتائج قراءة النص من متلق لآخر نتيجة للمكون الثقافى لكل واحد؛ فالذى لا يعلم النص القرآنى، لفظاً ومعنىً، أو معنىً على الأقل، «فالكتابة تعنى ثلاثة عناصر هى: النص والكاتب والمتلقى، بالإضافة إلى عنصر (التناص) ... الذى يعد حواراً بين النص وكاتبه، وما يحمله الكاتب من خبرات سابقة. كما أنه حوار بين النص ومتلقيه، وما يملكه المتلقى من معلومات سابقة»(٧٤). ويمكننا ملاحظة هذا عبر الشكل التالى:



ويلاحظ أن التناص إذن هو العامل المشترك بين كل من النص والكاتب والمتلقى؛ «فالتناصية تجهد نفسها لتحديد الشروط المثالية لقراءة النص»[٧٥].

فالتناص يعد عنصراً مهماً من العناصر الواجب توفرها لتفكيك النص؛ خاصة حين تُؤكَد قضية انفتاح النص، فى مقابل انكماش دعوة النص المغلق، وهذا ـ على حد تعبير د. حمودة ـ «صلب استراتيجية التفكيك»[٧٦]؛ فلا يمكن أن تتم دراسة وافية للنص، دون العودة إلى الجذور المكونة له، ودون معرفة المرجعيات والإحالات الكافية فيه. بل يؤكد رولان بارت أنه «ما لم يجتمع النص بنص آخر، فإنه يقع خارج اللذة، أو خارج النقد»[٧٧]؛ فالنص ـ إن جاز التعبير ـ غير المتناص، بهذا التقرير، لا يستحق النقد، كما أنه لا يحقق اللذة.

وملخص هذه المهام كلها؛ أن التناص يحقق نصية النص؛ ولذا وضعه روبرت دى بوجراند، من بين المعايير التى يحكم بها على النص؛ وهى:

١ ـ السبك	Cohesion
٢ ـ الالتحام	Coherence
٣ ـ القصد	Intentionality
٤ ـ القبول	Acceptability
٥ ـ رعاية الموقف	Situationality
٦ ـ التناص	intertextuality
٧ ـ الإعلانية	informativity[٧٨]

ولتلك الأهمية يحتاج تراثنا النصى إلى هذه المعالجة الجديدة التى تكشف عن طبيعة العلاقة بين هذه النصوص. لكن السؤال: أكان التناص صورة واحدة بين هذه النصوص عامة، وبين القرآن والحديث بصورة خاصة، أكان على صورة واحدة، أم له صورة متعددة؟

* * *

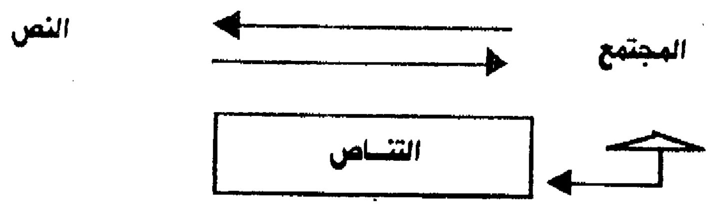
صور التناص

من البدهى الذى أكد فيما سبق أن النص لابد أن يتناص مع غيره. لكن القضية: أيعد هذا التناص ذا صورة واحدة؟ أيعد ـ على سبيل المثال ـ تناص تأكيد للنصوص الأخرى؟ إذا كانت الإجابة بالإيجاب؛ فلا شك فى أن النصوص كلها من أول نص حتى الآن، لم تقدم سوى صورة فكرية واحدة؛ فإذا كان النص الأول ـ غير المعروف فى الواقع ـ قد تحدث عن «الحكمة»، فإن ما ورد بعده من آلاف النصوص تدور كلها حول هذا المحور «الحكمة»، لكن الواقع يثبت غير ذلك؛ فيأتى النص الثانى ليؤكد الأول جزئياً، ويأتى الثانى لينفى الأول تماماً، وقد يأتى الثانى لينفى الأول جزئياً، ويأتى الثانى ليفصل مجمل الأول، ويأتى الثانى ليكمل الأول.. إلخ. ومن ثم يؤكد الواقع أن للتناص صوراً عدة.

فإذا كانت الدراسات المعاصرة تثبت أن «النص عبارة عن محورين: المحور الأفقى الذى يربط المؤلف The author والقارىء Reader للنص. والمحور الرأسى الذى يربط النص بنصوص أخرى»(٧٩)، فإنها قد أكدت أن محور التناص لا يكون إلا بين النص والنصوص الأخرى. لكن أيكون التناص بين النصوص فقط؟ ألا تعد الصلة بين النص والمجتمع الخارجى تناصاً بينهما؟

الواقع أن النص، غالباً، ما يكون متفاعلاً متداخلاً مع المجتمع المحيط به؛ فالنص ـ إلى حد كبير ـ فى حاجة إلى ما يكشف دلالاته ومرجعياته؛ ومن ثم فالصلة كائنة بينهما، ولذا نرى أن الصلة بين النص والمجتمع المحيط به تناص، وبخاصة أن النص يعد إفرازاً لهذا المجتمع؛

ولذا «يسعى بعض الباحثين إلى بلورة علم اجتماع النص؛ فيضفى على التناص مفهوماً سوسيولوجياً، ويجعله حلقة وصل بين داخل النص وخارجه، فيبعد النظر عن طريق تأويل التناص فى علاقة النص بالمجتمع. فكل واحد من هؤلاء إنما يعالج التناص فى سياق تحقيقه لمنهجه الذى يتوخاه»[٨٠]. فالتناص إذن هو الدال الفعلى للعلاقة بين النص والمجتمع؛ فكلاهما فى حالة تبادل مستمر:



وإذا كانت السنة تعبر عما ورد عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير والأحاديث الشريفة هذه، فى كثير من الأحيان، ترتبط بأحداث ووقائع اجتماعية، فإن هذا يؤكد التداخل الاجتماعى فى نص الحديث الشريف.

ويذكر الباحثون أن هناك أنواعاً أخرى للتناص؛ فيذكر محمد عزام أن «للتناص أنواعاً: فهناك التناص (العام) الذى تتجلى فيه علامة نص الكاتب بنصوص غيره من الكتاب. والتناص (المقيد) الذى تظهر فيه علاقة نصوص الكاتب بعضها البعض. والتناص (البلاغى) كالإرداف الذى يريد فيه الكاتب شيئاً، فيتجاوزه إلى ذكر ما يتبعه فى الصفة، وينوب عنه فى الدلالة...»[٨١]. ويطلق على النوعين الأول والثانى مصطلحين آخرين هما «التناص الخارجى، والتناص الداخلى»[٨٢].

ويضيف آخر نوعين آخرين هما «التناص الظاهر»، ويدخل ضمنه

الاقتباس والتضمن، ويسمى أيضاً الاقتباس الواعى أو الشعورى لأن المؤلف يكون واعياً به. فى حين أن التناص الثانى هو التناص اللاشعورى، أو تناص الخفاء، وفيه يكون المؤلف غير واع بحضور النص أو النصوص الأخرى فى نصه الذى يكتبه، ويقوم هذا التناص فى استراتيجيته على الامتصاص والتذويب والتحويل والتفاعل النصى...»(٨٣).

غير أن هناك من يرى مفهوماً آخر للتناص الداخلى يؤدى إلى أنه «ارتباط الأجزاء المختلفة للنص بعضها بالبعض الآخر». وقد لمسنا نوعين من التناص الداخلى: الأول: هو التكرار والتنغيم، وهو أن يتكرر عنصر كما هو، باختلاف بسيط، أما النوع الثانى فيمكن أن نسميه بالدوال المولدة، أى أن يظهر دال فى موضع ما من النص، ويتولد عنه كوكبة من الدوال الأخرى. وهذا التوليد يتم عن طريق آليات الاستعارة أو الكناية»(٨٤).

ونرى أن هذا المفهوم يحتاج إلى مناقشة؛ فمعنى التناص اتفق على أنه تداخل بين أكثر من نص، لكن المفهوم المذكور هذا التناص الداخلى غير صحيح؛ لأنه يعبر عن علاقات بين أجزاء نص واحد، وليس بين أكثر من نص، وهذه العلاقات يحكمها قانون آخر، مثل المرجعية، والإجمال والتفصيل، ورد العجز على الصدر، والتماسك النصى... إلخ. وهذه العلاقات على مستوى النص الواحد لا تعد تناصاً، طبقاً لمفهوم التناص المتداول.

إذن صور التناص تتمثل فى:ـ

١ ـ التناص الاجتماعى ـ إذا صح المصطلح ـ بين النص والمجتمع.

٢ ـ التناص الخارجى، أو العام، بين نص وغيره من نصوص المبدعين الآخرين.

٣ ـ التناص الداخلى، أو المقيد بين نصوص الكاتب نفسه.

٤ ـ التناص البلاغى.

٥ ـ التناص الظاهر، أو الشعورى.

٦ ـ التناص الخفى، أو اللاشعورى.

واللاشعورية هنا ـ فيما نرى ـ ليس المقصود بها هنا عدم معرفته لمصدر هذا التناص مع نصه غالباً؛ لأن كفاءة الكاتب تراكمية منذ نعومة أظفاره حتى كتابة هذا النص؛ فليس معقولاً أن يدرك مصدر ما تُكِنُّه ذاكرته من معلومات.

وتنظر كريسطيفا إلى صور التناص نظرة أخرى، ملخصها أن التناص ينحصر فى ثلاثة أنماط(٨٥):

أ ـ النفى الكلى: وفيه يكون المقطع الدخيل منفياً كلية، ومعنى النص المرجعى مقلوباً.

ب ـ النفى المتوازى: حيث يظل المعنى المنطقى للمقطعين هو نفسه.

ومن هذه الأمثلة:

ـ وَهَنُ الصداقة فى نص، والصداقة فى نص متداخل معه.

- انطفاء الصداقة فى نص، وتنافى الصداقة فى نص آخر متداخل معه.

ج - النفى الجزئى: حيث يكون جزء واحد فقط من النص المرجعى منفياً، مثل:

نحن نضيع حياتنا، فقط لو تتحدث عن ذلك. ويتناص هذا مع نص آخر.

نحن نضيع حياتنا، ببهجة، المهم ألا نتحدث عن ذلك فقط...».

وقد أفردنا تصنيف كريسطيفا وحده، لأن أنواع التناص السابقة ترد فى نص الحديث الشريف كما سنعرض، لكن النوعين (أ، ج) من تصنيفها لا يمكن أن يردا فى نص الحديث؛ إذ لا تنافى، ولا على المستوى الجزئى له. غير أن هذا التنافى الجزئى أو الكلى يرد فى النصوص الأدبية، وأبرز أمثلته تلك النقائض بين جرير والأخطل والفرزدق.

ويذكر أحد الباحثين أن هذا التناص؛ «تناص المخالفة» قد يرد بين النص الأدبى والنصوص المقدسة؛ فينقل عن أمل دنقل:

«عائدون

وأصغر إخواتهم (ذو العيون الجريئة)

ينقلب فى الجب

أجمل إخواتهم... لا يعود»

ثم يعلق على هذا النص بقوله: «وهنا نعف مع الاستدعاء القرآنى،

على ما حدث مع يوسف وإخوته عند إلقائه فى الجب، وذلك فى قوله تعالى: «قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين»(٨٦) . وقوله تعالى «فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب»(٨٧) . فإذا كانت الإشارة القرآنية تشير إلى إلقاء يوسف فى الجب، فإن السياق القرآنى يختلف هنا عن السياق الشعرى ويعارضه، وذلك فى قول الشاعر: «أجمل إخوته لا يعود» تناصاً مع قوله تعالى: «فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهم...»(٨٨) .

فنص أمل دنقل يجعل أجمل إخوته لا يعود، وهذا يعارض النص القرآنى أو يخالفه؛ إذ نجد أن أجمل الإخوة «يوسف» عليه السلام، قد عاد، بعد حياة طويلة بعيداً عن أهله.

غير أن هذا النمط ـ نمط تناص المعارضة أو المخالفة ـ يستحيل أن يوجد بين نصى القرآن الكريم والحديث الشريف؛ فالحديث دائماً يقرر، أو يؤكد، أو يفصِّل، أو يوضح ما يرد فى القرآن الكريم، ومثل هذه الأمور لا يتحقق فيها النفى أو التعارض أو المخالفة.

ونستطيع القول إن التناص ينقسم إلى قسمين أساسيين:

الأول: التناص بالشكل والمعنى معاً.

الثانى: التناص بالمعنى دون الشكل.

فالأول ـ على سبيل المثال؛ «قوله ﷺ: من باع داراً أو عقاراً فلم يجعل ثمنها فى مثلها كان (كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف)».

وكذا قوله ﷺ: « بعثنى الله على الناس كافة بإقامة الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة بحقها، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه

سبيلاً: (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فلعيها وما ربك بظلام للعبيد»[٨٩].

أم النوع الثانى فقد جعل الثعالبى (٤٢٩هـ) فصلاً تحت عنوان «فى بعض ما جاء عنه ﷺ من الكلام المقتبس معناه من القرآن» ومنه: قال عليه السلام: «علامة المنافق ثلاث: إذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب». ومعناه مقتبس من قول الله تعالى: «ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين. فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا لله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون»[٩٠].

وقال ﷺ: «من صبر على أذى جاره، أورثه الله داره». ومعناه مقتبس من قول الله تعالى: «قال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين. ولنسكننكم الأرض من بعدهم»[٩١].

ثم تأتى الصور الأخرى لتندرج تحت هذين النوعين. والملاحظ أن صور التناص كلها تحتاج إلى إعمال فكر المتلقى حتى تتسنى معرفة جذور النص، وهذا يفرض سؤالاً مؤداه: أهناك صلة بين كل من المنتج والمتلقى والسياق ومعرفة التناص الكائن فى النص؟

المتلقى والتناص

تقع على كاهل المتلقى مهمة اكتشاف الجذور المكونة للنص الحاضر؛ إذ لا يقف التناص عند حدود كاتب النص وحده، بل يعد اندماج المتلقى فى النص، نوعاً من التداخل بينهما، هذا التداخل ينتج فى النهاية قراءة ثانية للنص، وهكذا كل قراءة للنص، تنتج جديداً، ذلك كله يتوقف على مقدار اكتشاف كل قارىء للنص جذور هذا النص، ومن هنا تتعدد الدلالات التى يفرزها النص تبعاً لتعدد القراءات، وثقافة كل قارىء. وليس معنى هذا أن المبدع يصبح غائباً، بل يعد مقرأ لوجهة نظره عبر نصه، ثم يأتى المتلقى ليلقى كذلك بمفهومه حول هذا النص. ومن ثم لا نتفق مع من يقول: «إن التناص يعنى موت الفاعل وتلاشيه»(٩٢)؛ لأن المبدع يظل فى حوار دائم مع المتلقى للنص ما دام هذا النص خاضعاً للقراءة.

والنص تحكمه علاقات أساسية تتمثل فى اتجاهين أساسيين هما:

١ ـ العلاقات الداخلية.

٢ ـ العلاقات الخارجية.

وما يعنينا هنا هو العلاقات الخارجية التى تنقسم بدورها إلى:

١ ـ علاقة النص بالسياق.

٢ ـ علاقة النص بالنصوص.

٣ ـ علاقة النص بكل من المبدع والمتلقى.

والمتلقى يعد جزءاً من السياق المحيط بالنص، والسياق هو المسهم

فى اكتشاف دلالة النص، ومن ثم «يقيم المتلقى حواراً مع نص المؤلف؛ ما كان المؤلف قد بدأه مع أعمال معاصريه أو سابقيه»[٩٣]. فالنص هو حلقة الوصل بين المؤلف والمتلقى والسياق، وهذا الحوار يمكن من ناحية التناص.

وهذه الصلة من أهم الصلات فى «علم الدلالة»، بل تمثل «أهم حقوق التحليل.. إذ يتم اللقاء بين النص المقروء ونص القارىء... ويقتضى فهم أى نص أن تقدم فى البدء فرضية أو عدة فرضيات عن موضوعه.... أكثر الفرضيات ببساطة هى أننا نفترض دائماً أن هناك فى النص المقروء معرفة من قبل»[٩٤]. فالمعرفة بالنصوص الأخرى قاسم مشترك بين المؤلف والمتلقى، بل يتوقف التواصل بينهما على هذا الإدراك للتناص؛ فإذا فقد المتلقى هذا التناص، افتقد جزءاً كبيراً من دلالة النص، فإذا كان التناص يعد تقليداً من التقاليد التى ينطوى عليها النص، فإنا نتفق مع القائل إن «التواصل بين المبدع والمتلقى ينهض على معرفتهما المشتركة بالتقاليد المنظومة فى النصوص، تلك التقاليد التى تعد شرطاً لإمكان التفاهم بين المبدع والمتلقى»[٩٥].

فنص الحديث الشريف، يدرك قائله ﷺ أنه قد استمد من نص القرآن الكريم كلمة أو عبارة أو إشارة أو جملة أو أكثر، أو معنى دون اللفظ. وكذا قارىء هذا النص الشريف لا يمكنه اكتشاف هذا التناص دون علمه بنص القرآن شكلاً ومعنى. ومن هنا أكد التحويليون "Transformationals" ضرورة وجود الكفاءة "Competence" وأكد النصيون شروط الاستقبال النصى؛ أو القارى المثالى، منها:

«١ـ القارىء المعاصر ذو المطالب النفسية الجماعية.

٢ ـ القارى غير العادى، الذى يستطيع أن يفك الشفرات التى تعمد

الكاتب أن يودعها النص.. فالقارىء يوجه قدراته الخيالية للتحرك مع النص، باحثاً عن بنائه، ومركز القوة فيه، وتوازنه.....»(٩٦).

فلا يتوقف إسهام القارىء ونشاطه عند الربط بين مكونات النص الداخلية فحسب، بل يتعداه إلى الربط بين النص وما يحيط به من سياق، ونصوص أخرى؛ «فدور القارىء إذن من أهم الأدوار فى استراتيجية التفكيك»(٩٧). ومحاولة القارىء الوصول إلى جذور النص، أمر غاية فى الصعوبة؛ وبخاصة إذا علم أن التناص يكون بالشكل من نصوص مختلفة العصور، والإبداع، والأنواع، وبالمعنى أو الفكرة، لكن هذا التناص مهما دق أو اختفى فإنه «لا يمكن أن يخفى على القارىء المطلع الذى بإمكانه أن يعيده إلى مصادره»(٩٨).

إذن النص عامة يحمل مرجعية Reference، كما أن كل كلمة من كلماته تحمل مرجعية، لكن الاختلاف يكمن فى أن مرجعية الكلمات داخل النص تحتمل أن تكون خارجية، أو داخلية(٩٩). ومرجعية النص عامة، خاصة عبر التناص، ذات اتجاه واحد فقط؛ هو المرجعية الخارجية السابقة؛ فالنص هو امتصاص لنصوص أخرى سابقة أو معاصرة، حتى لو كانت النصوص المتناصة مع النص الحاضر للمؤلف نفسه، فإنها خارجية سابقة.

ويعد هذه الدراسة التأصيلية النظرية لنظرية التناص بأبعادها المختلفة من حيث مفهومه، وتطوره، وطبيعته، وأهميته، وأنواعه، وعلاقته بكل من المنتج والمتلقى. بعد هذا تتجه الدراسة إلى التطبيق من خلال كتاب «الإيمان» من صحيح مسلم.

ثانياً الدراسة التطبيقية

أنواع التناص

أولاً: بآية أو أكثر

ثانياً: بجزء من آية

ثالثاً: بكلمة من آية أو إشارة إلى آية

رابعاً: بالمعنى دون اللفظ

يركز هذا القسم من الدراسة على محورين أساسيين هما:

١ ـ بيان الواضع التى حدث فيها التناص حسب القائمة السابقة.

٢ ـ بيان الوسائل أو الطرق التى حدث بها التناص.

وفى سبيل تحقيق هذين الهدفين تجب الإشارة إلى وسائل التناص التى يمكن أن تتبع بين النص القرآنى ونص الحديث الشريف، والتى يمكن أن يضمها كذلك محوران أساسيان:

الأول: الارتباط اللغوى بين الآيات والحديث الشريف عن طريق الأدوات، أو أفعال القول ومترادفاتها، أو بالإضافة عبر التركيب الإضافى.

الثانى: الارتباط المعنوى بين الآيات والحديث عن طريق التتميم والتكميل دون أداة وصل أو ربط، أو استعمال الآية كمثل أو تشبيه، أو استعمال الآية كشرح لمفهوم سابق ووصفه له، أو ذكر الآية لتأكيد معنى أو تأييده. وكذا يمكننا أن نعد الإجمال والتفصيل نمطين ووسيلتين من وسائل التناص، كما يظهر ذلك فى عدد كبير من الأحاديث؛ فالحديث،

فى أغلب الأحيان، جاء لتفصيل ما أجمل فى القرآن، أو ما أشير إليه فقط فى القرآن(١٠٠).

ويمكن إضافة محور ثالث وهو التنوع فى التناص؛ حينما يشتمل الحديث على تداخلين من النص القرآنى؛ الأول بلفظ الآية، والثانى بمعنى آية أخرى.

أولاً: التناص بآية أو أكثر

ومن نماذجه فى عدد كبير من الأحاديث التى تتحدث عن أمارات الساعة، حدث فيها التناص بصورة المشار إليها سابقاً، ومنها ما نحن بصدده؛ «حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب جميعاً عن ابن عُلَيَّة قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبى حيان عن أبى زرعة ابن عمر و بن جرير عن أبى هريرة قال: كان الرسول ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: يارسول الله: ما الإيمان.... قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، إذا تطاول رعاء البهم فى البنيان فذاك من أشراطها فى خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا ﷺ: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير)(١٠١).

موضوع التناص واضح أنه مع آية كاملة من سورة لقمان؛ الآية الرابعة والثلاثون.

وكذلك تكرار قوله ﷺ: «فذاك من أشراطها» هذا تناص مع قوله

تعالى: «فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة، فقد جاء أشراطها. فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم»[١٠٢]، وهذا التناص بكلمة من آية مجملة، وجاء نص هذا الحديث ليفصل هذه الأشراط، كما هو وارد فى النص السابق.

ووسيلة التناص المتبعة فى هذا الحديث وسيلة شكلية؛ هى قولهﷺ: «ثم تلا ﷺ: «فـ «تلا» مرادف: قرأ أو قال؛ إذ جاءت رواية أخرى بلفظ «قرأ»[١٠٣] بدلاً من: تلا.

والمرجعية هنا واضح أنها مرجعية خارجية سابقة من نص الحديث إلى نص القرآن:



والنموذج الثانى فى باب الحث على المبادرة بالأعمال ومخافة المؤمن أن يحبط عمله. «حدثنا أبو بكر بن شيبة حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أنه قال: لمانزلت هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى، إلى آخر الآية.... إلى آخر الحديث»[١٠٤].

فهذا تناص مع آية كاملة؛ مع قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون»[١٠٥].

ووسيلة التناص فى نص الحديث «لما نزلت هذه الآية؛ «بالألفاظ» نزلت «مع اشتمالها على تاء التأنيث المشيرة إلى الآية. وكذا بلفظ الإشارة للمفرد المؤنث «ذه». ثم بلفظ «الآية» نفسها. وكلها بالطبع وسائل شكلية ملحوظة.

وكذا المرجعية هنا مثل النموذج السابق؛ خارجية سابقة. ولا شك فى أن التناص عبر هذا المستوى لا يحتاج إلى كفاءة قوية لاكتشاف مصدره؛ لأن الإشارات، أو وسيلة التناص، تؤكد أنه مع نص القرآن الكريم؛ فالتلاوة فى النموذج الأول لا تكون إلا للقرآن. وكذلك «الآية» فى النموذج الثانى، دلالتها واضح أنها ليست لشىء سوى أى القرآن الكريم.

* * *

أما التناص بأكثر من آية فنماذجه متعددة، نحو ما ورد فى نص الحديث الشريف، فى باب «فضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه»: «حدثنى محمد بن المثنى حدثنا عبدالرحمن يعنى ابن المهدى قالا جميعاً: حدثنا سفيان عن أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله قالوا لا إله إلا الله عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ: إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر»(١٠٦).

ففى هذا الحديث تناص مع آيتين من سورة الغاشية: «فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمسيطر (٢٢)». وواضح أن التناص لم يقف عند حد آية واحدة، بل أكثر. وهذا تناص بالشكل والمعنى معاً.

ووسيلة التناص شكلية ملموسة فى قوله: «ثم قرأ». غير أن القراءة هنا تفرض على المتلقى بعد سماع «ثم قرأ» سؤالاً مؤداه: ماذا قرأ؟ فتأتى الإجابة بهاتين الآيتين اللتين تتوقف معرفتهما على كفاءة المتلقى، تلك الكفاءة التى تؤدى إلى النتيجة: أن هناك تناصاً مع قوله تعالى فى هاتين الآيتين.

واللافت للانتباه أن التناص فى الموضع السابق، وما قبله، كان مع موضع من سورة واحدة، لكنه فى النموذج التالى تناص مع موضعين من سورتين مختلفتين؛ فلم يتوقف التلاحم بين الحديث والقرآن على مستوى السورة الواحدة، بل تعداه إلى أكثر من سورة، وهنا يحتاج إلى كفاءة أكثر تركيباً من الكفاءة التى استعملت فى اكتشاف مصدر التناص فى النماذج السابقة.

ورد هذا النمط فى حديث فى باب «وفاة أبى طالب وما نزل فى شأنه؛ فى حديث طويل؛ جاء فى جزء منه: «... فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عن ذلك، فأنزل الله عز وجل «ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم(١٠٧). وأنزل الله تعالى فى أبى طالب فقال لرسول الله ﷺ: (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) (١٠٨).

فهذا الحديث ـ عبر المرجعية الخارجية السابقة ـ تناص مع موضعين الأول مع آية من سورة التوبة، والثانى مع آية من سورة القصص،

سورة التوبة

سورة القصص

«مرجعية»خارجية سابقة

مرجعية سابقة

ووسيلة التناص فى الأول قوله ﷺ: «فأنزل الله عز وجل» ويلاحظ الالتحام القائم بين نص الحديث فى قول الرسول ﷺ: «والله لأستغفرن لك»، وقوله تعالى: «ما كان النبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى».

الآية	الحديث
ـ النبى	الضمير المستتر فى «استغفرن»
ـ أن يستغفروا	أستغفرن
ـ أولى القربى	أبو طالب

أما الوسيلة الثانية فتكمن فى قوله ﷺ: «وأنزل الله تعالى فى أبى طالب فقال لرسول الله ﷺ: «وكلتا الوسيلتين شكلية متمثلة فى هذه الألفاظ.

ويظهر نمط آخر من التناص؛ فإذا كان التناص السابق بآية، أوآيتين، فإنه فى الموضع التالى تناص بثمانى آيات من سورة واحدة فى حديث واحد؛ ففى باب «كفر من قال مطرنا بالنوء» جاء نص الحديث: «حدثنى عباس بن عبدالعظيم العنبرى حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة وهو ابن عمار حدثنا أبو زميل قال: حدثنى ابن عباس قال:

مطر الناس على عهد النبى ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، وقال: فنزلت هذه الآية: فلا أقسم بمواقع النجوم ... » حتى بلغ « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون،(١٠٩).

ولعل الرجوع إلى الآيات التى تناص معها هذا الحديث يفضى إلى أن المناسبة بين الحديث والآيات مجتمعة غير واضحة؛ فالآيات فى معظمها تتحدث عن القرآن الكريم وتنزيله، والحديث يتحدث عن الأنواء! فما علاقة هذا بذاك، وبخاصة أن التناص يفرض تناسباً بين النصين؛ وتناسب المماثلة وتناسب المخالفة،.... إلخ؟

وشرح هذا الموقف الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث فقال: « ... قال فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون »، فقال الشيخ أبو عمرو رحمه الله: ليس مراده أن جميع هذا نزل فى قولهم فى الأنواء؛ فإن الأمر فى ذلك وتفسيره يأبى ذلك؛ وإنما النازل فى ذلك قوله تعالى: «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون»، والباقى نزل فى غير ذلك، ولكن اجتمعا فى وقت النزول فذكر الجميع، من أجل ذلك قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله: وما يدل على هذا أن فى بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ذلك الاقتصار على هذا القدر اليسير فحسب اهـ»(١١٠).

لكن الرجوع إلى معنى الكلمة «نوء» نفسها؛ فالنوء فى أصله ليس هو نفس الكوكب؛ فإنه مصدر ينوء نوءاً أى سقط وغاب،.... وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها وهى المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين يسقط فى كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم

فى المغرب مع طلوع الفجر... وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما...»(١١١).

هذا التفسير يبرر تلك المناسبة؛ فالآيات فى أولها قسم بمواقع النجوم، وكذلك الآيات تتحدث عن تنزيل لقرآن الكريم، ـ والنوء فى الحديث إشارة إلى تنزيل المطر؛ فاشتركا معاً فى التنزيل.

ووسيلة التناص فى الحديث قوله ﷺ: «فنزلت هذه الآية»، وهى وسيلة شكلية. والتناص فى هذا الموضع والمواضع السابقة بالشكل والمعنى معاً.

ومن نماذج التناص بأكثر من آية من أكثر من سورة كذلك، ما جاء فى باب «كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج والهجرة» وذلك بعد ذكر السند كاملاً «عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذى تقول وتدعو لحسن ولو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل: والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً»(١١٢). ونزل: «يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله»(١١٣).

فوسيلة التناص فى الموضعين هى قوله: «فنزل»، والتناسب واضح تماماً، بما يؤدى إلى القول إن هذا تناص مماثلة:

الآية	الحديث
ـ لا يدعون مع الله إلهاً آخر	ناس من أهل الشرك
ـ لا يقتلون النفس	قتلوا فأكثروا
ـ لا يزنون	زنوا فأكثروا

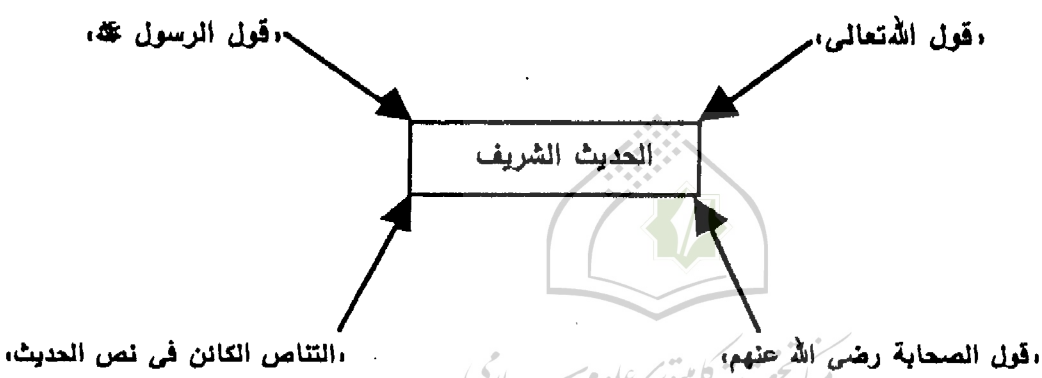
ونقف كذلك مع نمط آخر تظهر فيه قمة التفاعل بين القرآن الكريم والحديث الشريف، وكذلك فى صورة وحوار بين قول الله، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة كذلك. وجاء ذلك فى باب «تجاوز الله تعالى عن حديث النفس «بعد السند التام»: «... عن أبى هريرة قال: «حدثنى محمد بن منهال الضرير وأمية بن بسطام العيشى واللفظ لأمية قالا: حدثنا يزيد... عن أبى هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: (لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير) قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: (سمعنا وعصينا)، بل قولوا (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير). فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله فى إثرها: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفراك ربنا وإليك المصير). فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليهاما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال: نعم (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا) قال: نعم (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال: نعم (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال: نعم»(١١٤).

الحوار واضح تماماً: لما أنزلت ـ قال ـ فقالوا؛ أى الصحابة: أى رسول الله: كلفنا من الأعمال ما نطيق... وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ـــــ قال رسول الله أتريدون أن تقولوا..........

بل قولوا: سمعنا وأطعنا ـــــ قالوا: سمعنا وأطعنا

فأنزل الله فى إثرها ـــــ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى

فأنزل الله عز وجل ـــــ قال : نعم



ونرى أن هذا الحديث يعد أبرز الأنماط التى تمثل فيها التفاعل باللفظ والمعنى بينه وبين النص القرآنى؛ وكأن هناك حركة حوارية؛ فالله تعالى أنزل الآيات، الاستجابة لدى الصحابة أنهم أبلغوا رسول الله ﷺ أنهم لا يطيقون تنفيذ ما فيها، استجابة الرسول ﷺ: لا تكونوا مثل أهل الكتابين؛ استجابة الصحابة السمع والطاعة لله والرسول، استجابة النص القرآنى مرة أخرى: نسخ هذه الآية بأخرى: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

فى الأنماط السابقة للتناص واضح أن وسيلة التناص فيها شكلية؛ ألفاظ القول ومرادفاتها. لكن هناك نمطاً تختفى فيه وسيلة التناص

الشكلية، ويلتحم نص القرآن الكريم مع نص الحديث الشريف تماماً، ويبقى على كاهل المتلقى استخراج هذا النص من ذلك؛ فقد جاء فى باب «زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة» «... عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام إذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى، قال ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد، ولو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعى[١١٥]. وفى رواية أخرى «.. وفى حديث مالك ولكن ليطمئن قلبى قال ثم قرأ هذه الآية حتى جازها»[١١٦].

وحتى يتضح هذا النمط التناصى نرى:

الآية	الحديث
- «وإذا قال إبراهيم أرنى كيف تحيى الموتى نحن أحق بالشك من إبراهيم قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذة أربعة من الطير... الآية»-[١١٧].	ﷺ إذا قال ربى أرنى......
- «وقال لو أن لى بكم قوة أو أوى إلى إلى ركن شديد»[١١٨].	ويرحم الله لوطاً كان يأوى ركن شديد
- «وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع على ربك فاسأله ما بال النسوة الالتى قطعن أيديهم إن ربى بكيدهم عليم». وكذلك - «فلبث فى السجن بضع سنين»[١٢٠].	ولو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعى .

فالآيات التى حدث معها التناص كلها دون وسيلة تناص شكلية:

ـ نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام إذ قال رب..........

ـ ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد

ـ ولو لبثت فى السجن طول لبث..........

إذ حدث الانتقال من نص الحديث الشريف إلى القرآن مباشرة دون واسطة، وهذا من أدق أنواع التناص التى تحتاج إلى كفاءة عالية لدى المتلقى حتى يتبين أو يستخلص هذا من ذاك.

ومن أنماط التناص التى تتعدد فيها المرجعية ما جاء فى باب «إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى»: «... عن داود الشعبى عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقال: يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت من زعم أن محمد ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين انظرينى ولا تعجلينى، ألم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالأفق المبين)(١٢١)، و(لقد رآه نزلة أخرى)(١٢٢)، فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين؛ رأيته منهبطا من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض، فقالت: أولم تسمع أن الله يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)(١٢٣). أو لم تسمع أن الله يقول (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم)(١٢٤). قالت: ومن زعم أن الرسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله)(١٢٥).

والشاهد الأخير للتناص بأكثر من آية هو تناص مع سورة كاملة؛ فى باب «قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين»... عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرك الأقربين) ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا: من هذا الذى يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه فقال يا بنى فلان يا بنى فلان يا بنى عبد مناف يا بنى عبدالمطلب فاجتمعوا إليه فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى؟ قالوا: ما جرينا عليك كذباً، قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، قال: فقال أبو لهب: تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام فنزلت هذه السورة: (تبت يدا أبى لهب)(١٢٦). وقد تب كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة»(١٢٧).

إذن يسير التناص بأكثر من آية فى عدة اتجاهات منها:

أولاً: التناص بآيتين من سورة واحدة.

ثانياً: التناص بأكثر من آيتين من سورة واحدة.

ثالثاً: التناص بآيتين من سورتين مختلفتين.

رابعاً: التناص بأكثر من آيتين من أكثر من سورتين.

خامساً: التناص مع سورة كاملة.

ووسائل التناص تنحصر فى اتجاهين هما:

أولاً: وسائل شكلية متمثلة فى مشتقات القول ومرادفات ألفاظ القول.

ثانياً: الالتحام المباشر مع نص الآية دون وجود وسيلة شكلية ملموسة، وهذا هو الارتباط المعنوى دون أداة وصل أو فعل القول؛ وهذا بالتتميم أو التكميل(١٢٨).

وكذلك تحقق الالتحام والتناص بين النصين عبر وجود المناسبة؛ وأغلب حالات التناص فى النماذج السابقة، هو تناص المماثلة؛ إذ لا يعقل أن يكون هناك تناص المخالفة بين هذه النصين الشريفين.

وكذا انحصرت مرجعية آيات التناص فى نوع واحد هو «المرجعية» الخارجية السابقة.

ثانيا التناص بجزء من آية

يقصد بالتناص بجزء من آية ما يقل عن الآية بكلمة واحدة فأكثر، وليس المقصود به التناص بكلمة واحدة أو إشارة إلى آية؛ لأن هذا يحتل مكاناً آخر من صفحات البحث.

ويلاحظ أن أكثر أنواع التناص بالشكل دون المعنى فى الحديث الشريف هذا النوع «تناص بجزء من آية» لأنه يبدأ بالتناص بكلمتين فأكثر من الآية، وينتهى عند التناص بالآية كلها دون كلمة واحدة منها(١٢٩).

ويمكننا تقسيم التناص فى هذا الجزء إلى ثلاثة محاور:

الأول: تناص بجزء من آية من سورة واحدة.

ثانياً:

تناص بجزء من آية من سورتين مختلفتين، مع تغيير فى بعض ألفاظها.

الثالث: تناص بجزء من آية من أكثر من سورتين.

ونظراً لأن التركيز هنا على جزء من آية؛ فإن أكثر الأنماط دوراناً في الحديث الشريف، هو النمط الثالث.

* أما التناص بجزء من آية من سورة واحدة ففي باب «من لقى الله بالشهادتين لم يحجب عن الجنة» جاء: «... حدثنا عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله أى أبواب الجنة الثمانية شاء»(١٣٠).

هذا الحديث ـ على حد تعبير الإمام النووى ـ «حديث عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر...»(١٣١). بمعنى أنه يتناص مع الآيات التى تحدثت عن العقائد كلها عبر النص القرآنى، غير أنه تحدث عنها هنا إجمالاً، وتحدث عنها فى النص القرآنى تفصيلاً، بل فى الحديث الشريف نفسه هناك تفصيل لهذه العقائد. ومن ثم يمثل هذا الحديث مركزاً للتناص مع عدد كبير جداً من الآيات غير أن هذا التناص كله بالمعنى لا باللفظ.

التناص بجزء من آية من هذا الحديث فى قوله: «وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه»؛ فهذا جزء من قوله تعالى: «يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد. وله ما فى

السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً»[١٣٢].

ونظراً لاختفاء وسيلة التناص الشكلية، والالتحام بين نص القرآن والحديث دون واسطة أو فاصلة، فإن هذا النمط يخضع تحت الارتباط المعنوى بينهما؛ فالنص القرآنى يتم نص الحديث الشريف.

وشاهد آخر فى حديث من باب «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا»: «... عن العباس بن عبدالمطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»[١٣٣].

تناص مع قوله تعالى: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام، ذلكم فسق، اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً... الآية[١٣٤].

الآية	الحديث
ورضت لكم الإسلام ديناً	ورضى بالله ربا وبالإسلام دينا فكأنه قال: ورضى بالإسلام ديناً

ويلاحظ أن هذا الحديث مثل سابقه؛ الارتباط بين النص الحاضر (الحديث الشريف) والنص الغائب (القرآن الكريم) ارتباط دون واسطة شكلية، ومن ثم فهو ارتباط دلالى يعتمد على التتميم؛ وكأنه حينما قال: ذاق طعم الإيمان. سأل المتلقى: مَنْ؟

فجاء الجواب: من رضى بالله رباً.... إلخ.

ونمط آخر من التناص له دلالة خاصة تكمن فى دالة تكرار النص ثلاث مرات؛ كأن يكرر الرسول ﷺ جزءاً من آية فى حديث ثلاث مرات بما يوحى بأهمية ما يكرر»؛ «... فعن أبى ذر على النبى ﷺ قال: ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات»(١٣٥).

فهذا تناص بجزء من آية فى قوله تعالى: «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»(١٣٦).

والعلاقة التناصية بين النصين تكمن فى التكميل؛ فبينما توضح الآية نمطاً من البشر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم، هما: الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، والذين يشترون به ثمناً قليلاً، نجد نص الحديث الشريف يكمل أو يتمم أصناف البشر الذين لا يكلمهم الله فذكر ثلاثة أصناف هم: «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»(١٣٧)؛ فلا تعارض إذن؛ بل الحديث يتم النص القرآنى.

وشاهد آخر يبرز أهمية التنوين فى الربط بين النصين الحاضر والغائب، بدلاً من لفظ القول ومشتقاته ومرادفاته، وعلى وجه الخصوص تنوين العوض(١٣٨)؛ الذى يعوض عن مفرد، أو جملة أو عدة جمل؛ «... عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا تقول الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذٍ لا ينفع نفساً إيماناً لم تكن أمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً»(١٣٩).

فهذا التناص مع قوله تعالى: «هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو

يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك. يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيماناً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً. قل انتظروا إنا منتظرون»(١٤٠).

الآية	الحديث
ـ أو يأتى بعض آيات ربك.... الآية	تطلع الشمس من مغربها
ـ لا ينفع نفساً..... الآية	لا ينفع نفساً... الحديث
ـ سيوم يأتى بعض الآيات ربك... الآية	يومئذ

والمناسبة النصية التى أباحت تناص النصين هى بيان الوقت الذى لا يقبل فيه الإيمان. وكذا هذا التناص قائم على الإجمال فى النص القرآنى «بعض آيات ربك»، والتفصيل فى نص الحديث الشريف «حتى تطلع الشمس من مغربها»؛ أو علامة الغموض والتبيين.

إذن من خلال هذا الحديث يضاف إلى وسائل التناص وسيلة أخرى هى «التنوين»؛ خاصة تنوين العوض؛ فقوله ﷺ: فيومئذ لا ينفع... إلخ، تقديره: **يوم إذ تطلع الشمس من مغربها**، أو: يوم إذ تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو بعض آيات ربك، يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً... إلخ.

فالتنوين عوض عن جملتين.

١ ـ تطلع الشمس من مغربها.

٢ ـ يأتى بعض آيات ربك.

وتضاف وسيلة أخرى من وسائل الربط التناصى؛ هى وسيلة الاستفهام والإجابة عنه؛ ويظهر ذلك فى حديث «عن أبى ذر أن النبى ﷺ قال يوماً: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة .

ولا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى ارجعى من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارتفعى أصبحى طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاكم حين لا ينفع نفساً إيمانها لما تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً»[١٤١] .

الآية	الحديث
ـ والشمس تجرى لمستقر لها حتى تنتهى إلى مستقرها وذلك تقدير العزير العليم[١٤٢].	إن هذه ـ أى الشمس ـ تجرى
ـ الآية السابقة؛ الأنعام/ ١٨٥	ـ ذاكم حين لا ينفع نفساً... إلخ

فالربط بين النصين هنا هو الاستفهام: أتدرون متى ذاكم؟ والجزء الثانى من الرابط هو الإجابة عنه: ذاكم حين... إلخ.

وفى رواية أخرى لهذا الحديث: «... عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى (والشمس تجرى لمستقر لها) ؟

قال: مستقرها تحت العرش»[١٤٣] . والعلاقة التناصية هنا تبيينية؛ فالمستقر فى الآية مبهم، لكنه ورد فى الحديث مبيناً لهذا الإبهام.

ونمط الاستفهام كذلك ما ورد فى ثلاث روايات متتاليات لحديث عن «... عبدالله قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال: إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب....»(١٤٤).

ومنه: «... عن عبدالله قال: لقد رأى من آيات ربه الكبري، قال: رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح»(١٤٥).

ومنه: «... عن أبى هريرة: ولقد رآه نزلة أخرى، قال: رأى جبريل»(١٤٦).

فالغموض فى الأسئلة التى طرحها النص كما يلى:

١ ـ ما السدرة فى قوله تعالى: «عند سدرة المنتهى. إذ يغشى السدرة ما يغشى؟

وإزالة هذا الغموض فى نص الحديث الشريف: قال فراش من ذهب.

٢ ـ ما الآية الكبرى فى قوله تعالى: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى»؟

٣ ـ ما المراد بالضمير فى «رآه» فى قوله تعالى: «ولقد رآه نزلة أخرى».

إذن أضيف من خلال هذا المبحث وسيلتان لتحقيق الترابط بين النص الغائب، والنص الحاضر، هما:

أولاً: التنوين؛ خاصة العوض.

ثانياً: الاستفهام والإجابة عنه.

* * *

* أما التناص بجزء من آية في سورتين مختلفتين؛ فمثاله في الكتاب موضوع الدراسة عزيز؛ ومنه: «... عن أسامة بن زيد وهذا حديث ابن أبي شيبة قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ، قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة، قال: قال رجل: ألم يقل الله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ...»(١٥٠).

فهذا جزء من آية من قوله تعالى من سورة البقرة: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين»(١٥١). وكذا تناص مع آية من قوله تعالى في سورة الأنفال: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير»(١٥٢).

ووسيلة التناص هنا شكلية متمثلة في قوله: «ألم يقل الله».

البقرة: تناص بجزء من آية في هاتين السورتين

الأنفال: ______________ الحديث

وإذا كان التناص هنا بجزء من آية متماثل في السورتين؛ فإنه في موضع آخر تتناص مع جزء من آيتين مختلفتين في سورتين مختلفتين، كما ورد في الحديث: «... عن عبد الله قال: لما نزلت (الذين آمنوا ولم

يلبسوا إيمانهم بظلم)، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس هو كما تظنون، وإنما هو كما قال لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»[١٥٣].

تناص مع آيتين:

الأولى قوله تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»[١٥٤].

الثانية: قوله تعالى: «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»[١٥٥].

ووسيلتا التناص هما فى الأولى قائمة على قوله: «لما نزلت» ونعدها مرادفة للفظ القول؛ وكأنه قال: لِمَ نزل قول الله تعالى. أما الوسيلة الثانية فهى التشبيه الذى يمثله (الكاف) فى قوله: إنما هو كما قال لقمان. والأخيرة هذه تضيف وسيلة أخرى من وسائل تحقيق التناص؛ وهى التشبيه.

إذن وسائل التناص من خلال ما سبق تكمن فى:

أولاً: لفظ القول ومشتقاته.

ثانياً: مرادافات لفظ القول.

ثالثاً: التنوين: تنوين العوض.

رابعاً: الاستفهام والإجابة عنه.

خامساً: التشبيه.

* * *

* أما النمط الثالث والأخير، وهو أكثر هذه الأنماط دوراناً فى الحديث الشريف كما سبقت الإشارة(١٥٦)، فهو ذلك التناص بجزء من آية أو أكثر فى سورة أو أكثر من سورة، لكن مع تغيير فى بعض ألفاظ الآية بالحذف أو بالتقديم أو الإبدال... إلخ.

ومنه ما جاء فى حديث طويل عن تعريف بالإسلام والإيمان والإحسان... إلخ حينما سئل النبى ﷺ عن الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرنى عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال صدقت... إلخ الحديث»(١٥٧).

ونرى أن الحديث هنا قد تناص مع عدد ضخم من آيات الذكر الحكيم؛ وذلك أنه يتحدث عن عدد كبير من العبادات والفرائض نحو الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً. وهذه الموضوعات تحدثت عنها غالبية السور المدنية، وبخاصة أنها تعنى بأمور التشريع والعبادات.

فعلى سبيل المثال يتناص مع قوله تعالى: «لله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.. الآية»(١٥٨).. والتغير الحادث فى لفظ الحديث عن الآية فى: «حج البيت ... وتحج البيت»

«من استطاع ... إن استطعت»

ووسيلة التناص هى وسيلة الاستفهام والإجابة عنه؛ وكذا نضيف وسيلة الإجمال والتفصيل؛ فلفظ الإسلام ورد فى النص القرآنى مجملاً؛ نحو قوله تعالى: «ورضيت لكن الإسلام دينا»(١٥٩)، ولكنه جاء مفصلاً فى الحديث الشريف: الإسلام أن تشهد... إلخ(١٦٠).

وحديث آخر: «... عن جرير قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»(١٦١). فقد تناص باللفظ مع قوله تعالى: «وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة... الآية»(١٦٢). لكنه تناص مع تغيير باللفظ مع عدد كبير من الآيات منها:

- «يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة... الآية» البقرة/٣.
- «الذين يقميون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» الأنفال/٣.
- «يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية... الآية» إبراهيم/٣١.
- «والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» الحج/٣٥.
- «وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة... الآية» النور/٣٧.

وكذلك فى قوله ﷺ: «... فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال كذبتم (ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولداً)(١٦٣). فقد تناص باللفظ نفسه مع قوله تعالى: «وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً»(١٦٤). وكذلك مع عدد آخر من الآى مع التغيير فى اللفظ نحو:

- «بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة... الآية» الأنعام/ ١٠١.

فهذا تغيير في الترتيب من : من صاحبة ولا ولد ←——— أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة.

ـ «ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه... الآية» مريم/ ٣٥.

فهذا التغيير بالتحويل من الماضي إلى المضارع، وبالنقص بحذف الصاحبة.

ـ «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله... الآية» المؤمنون/ ٩١. بحذف صاحبة، وإضافة «وما كان معه من إله»‹

ـ «وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك... الآية» الإسراء/ ١١١ (١٦٥).

ثالثاً ـ التناص بكلمة من آية أو إشارة إلى آية

مما لا شك فيه أن السنة، ومنها الحديث الشريف، مفسرة للقرآن، ومن ثم يكون من البدهى أن تأتى كلمات الحديث الشريف ـ فى أغلبها ـ مثل كلمات النص القرآنى؛ فكلمات ـ على سبيل المثال ـ نحو: الإيمان، الإسلام، الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج... إلخ واردة بصورة كبيرة فى النصين.

ومن ثم يكون من الصعب وضع الأحاديث الشريفة التى تحتوى على الكلمات الواردة فى النص القرآنى كلها فى إطار التطبيق، ولكن يمكن القول إن الأحاديث الشريفة مشتملة على الكلمات الواردة فى النص القرآنى باللفظ نفسه، أو بالمعنى دون اللفظ ـ ولذا نقصر التطبيق هنا على عدد من الشواهد المشتملة على كلمات وردت فى النص القرآنى بلفظها ومعناها معاً.

ومن الأحاديث الجامعة لألفاظ كثيرة، وكثر ورودها بالنص القرآنى، إما مفردة، أو مصاحبة لألفاظ أخرى ملازمة لها ليتحقق فيها ما يسمى بالمصاحبة اللغوية Collocation مثل: الصلاة والزكاة، والسموات والأرض، والإيمان والعمل... إلخ. من هذه الأحاديث ذلك الحديث الذى ذكر فى عشر صفحات من صحيح مسلم؛ حينما سئل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان... إلخ، فقال: «... الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً...»(١٦٦).

فهنا مصاحبة لغوية بين الشهادتين؛ وتقريباً الآيات التى تحدثت عن الإيمان بالله، وأغلبها لزمت بين الإيمان بالله ورسوله معاً، وليس

الإيمان بهما فقط، بل الآيات التى تعرضت لأحكام أو أوامر أو نواه،... إلخ فيها كلها ملازمة بين الله ورسوله(١٦٧).

وكذا مصاحبة فى الحديث بين «الصلاة والزكاة»، وفى النص القرآنى أغلب الآيات التى تحدثت عن الصلاة تلتها بالزكاة أو الإنفاق نحو قوله تعالى:

- «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» البقرة/٣.

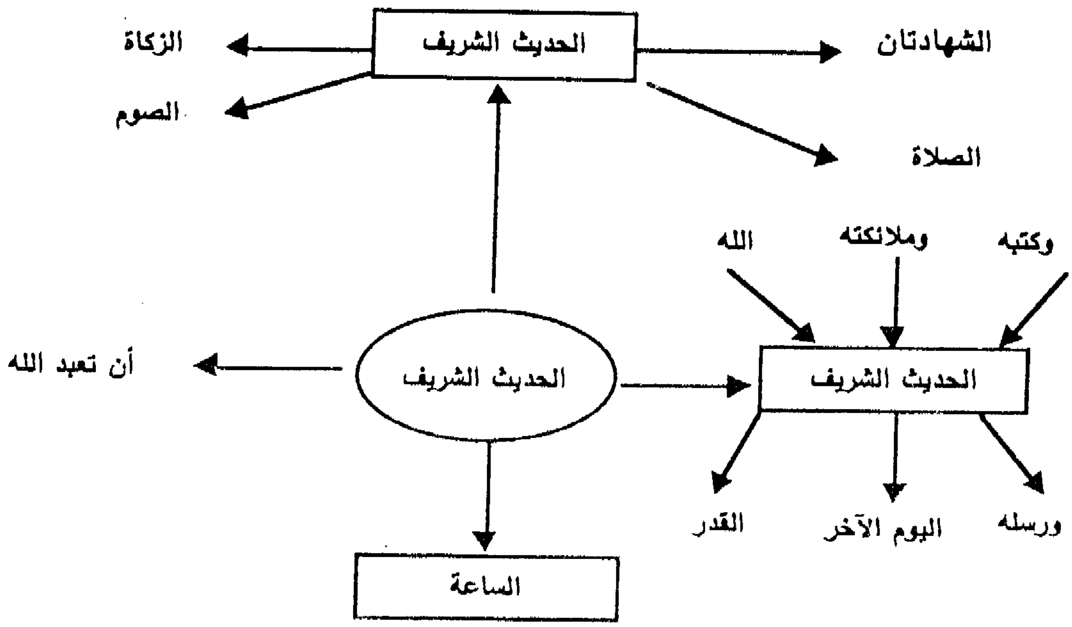
- «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة... الآية» البقرة/٤٣، ١١٠، ٨٣.

- «وأقام الصلاة وآتى الزكاة... الآية» البقرة/ ١٧٧.

- «وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة... الآية» البقرة/٢٢٧(١٦٨).

أما «وتصوم رمضان» فتناص مع قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام.. إلخ الآية»(١٦٩).

وقوله: «وتحج البيت» سبق عرض الآيات التى تناص معها فيما سبق(١٧٠). ويمكن تمثيل تناص هذا الحديث مع معظم سور القرآن الكريم وآيه الكريمة كما يلى:



وشاهد آخر: «... عن سفيان بن عبدالله الثقفى قال: قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، وفى حديث أبى أسامة: غيرك، قال: قل آمنت بالله فاستقم»(١٧١).

فهذا التناص مع قوله تعالى: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا... الآية»(١٧٢).

وكذا قوله تعالى: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(١٧٣).

و«استقم» نفسها وردت باللفظ نفسه فى قوله تعالى: «فاستقم كما أمرت... الآية»(١٧٤).

و«فلذلك فادع واستقم كما أمرت... الآية»(١٧٥).

واللافت أن المناسبة بين الحديث والنصين غير كائنة؛ لأن المخاطب فى الحديث هو ذلك الصحابى الذى سأل رسول الله، لكنه فى هاتين الآيتين رسول الله ﷺ، وإن كان الحكم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فالاستقامة ليست خاصة به وحده، بل له وللمسلمين عامة.

وفى حديث آخر «... عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره...»(١٧٦).

فكلمة «حواريون» فى الحديث الشريف تناصت مع قوله تعالى:

- «فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله... الآية»(١٧٧).

- «إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم... الآية»(١٧٨).

- «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله الحواريون نحن أنصار الله... الآية»(١٧٩).

والمعنى عام فى الحديث؛ إذ إن لكل نبى حواريين، لكنه فى نص الآيات السابقة، وهى الآيات التى ذُكِر فيها الحواريون فقط فى النص القرآنى، خصص بحوارى عيسى عليه السلام فقط. وتلك علاقة التناصية بين النصين «علاقة العموم والخصوص».

وإذا كان التناص فى الشواهد السابقة باللفظ والمعنى؛ فإنه أحياناً يكون باللفظ دون المعنى؛ نحو قول الرسول ﷺ: «... عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفاً بغير حساب...»(١٨٠).

فهذا التناص بكلمة «حساب» بالشكل والمعنى مع قوله تعالى: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»(١٨١).

لكنه تناص بالشكل فقط مع قوله تعالى:

«فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب»(١٨٢).

فالحساب فى الحديث يعنى السؤال ونصب الميزان، أما الحساب فى الآية الأخيرة فيعنى الإحصاء؛ والله أعلم.

ومن التناص بإشارة ما جاء «... عن ثابت قال: قال النبى كنا نهينا فى القرآن أن نسأل رسول الله ﷺ عن شىء...»(١٨٣).

والسؤال: عن أى شىء نهى الصحابة فى القرآن الكريم عن السؤال فيه؟ هل هذا تناص، أو إشارة إلى قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور رحيم»(١٨٤).

فالنهى هنا غير واضح أى شىء وبخاصة أن هذا الحديث ورد فى سياق الأحاديث التى تتحدث عن أركان الإسلام. فهل هذا يعد من قبيل غموض مرجعية التناص؟

رابعاً: التناص بالمعنى دون اللفظ

لا شك فى أن هناك صلة تربط بين كل من القرآن والحديث الشريف، وثبت من خلال الصفحات السابقة أن هناك وسائل للربط بين هذين النصين. لكن الملاحظ أن التناص كان بالشكل والمعنى معاً إما بالكلمة المفردة أو الإشارة أو بجزء من آية أو آية كاملة أو أكثر من آية؛ وهذا أمر بدهى؛ فطالما وجد اللفظ وجد معه المعنى المرتبط به.

أما فى هذا المبحث فسوف نعرض تناصاً آخر يختفى فيه اللفظ القرآني، ويبقى معناه، وهذا ـ فيما نرى ـ من أدق أنواع التناص، وبخاصة حين التعامل مع نصين من هذا القيل من القدسية، وذلك خشية الوقوع فى شرك التأويل الخاطىء للنص.

ونظراً لأن الحديث الشريف ـ بوصفه جزءاً من أجزاء السنة ـ يعد مفسراً للنص القرآنى؛ فإن هناك نتيجة ضمنية مؤداها أن الحديث الشريف كله تناص مع القرآن الكريم بصورة أو بأخرى؛ فموضوعات الحديث هى موضوعات القرآن، مع اختلاف فى الإجمال والتفصيل؛ ويمكن تسميته «التناص الموضوعى».

ولهذه الحقيقة وجد الباحث أن أكثر أنواع التناص دوراناً فى الحديث الشريف هو هذا النوع ـ التناص بالمعنى دون اللفظ ـ(185).

ومن نماذج هذا النوع ما جاء فى باب «كَفَرَ من نَفَى القدر».

«... فقلت: يا أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤن القرآن ويتقفّزون العلم فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم براء منى، والذى يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مِثْلَ أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»(186).

فقوله هذا يتناص مع قول الله تعالى: «لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم»[١٨٧].

وكذا قوله تعالى: «للذين استجابوا لربهم الحسنى، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به، أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد»[١٨٨].

والمناسبة التناصية هنا تكمن فى أن الإنفاق مهما كثر، فإنه لا يغني عن الاستجابة لأمر الله والإيمان به وبقدره.

الحديث		الآية
مثل أحد ذهباً	تناص بالمعنى	ما فى الأرض جميعاً
ما قبل الله منه	ـــــــــــــــ	ما تقبل منهم

ومنه قوله ﷺ حينما سئل: «... أخبرنى عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل»[١٨٩].

ـ «ويسألون عن الساعة أيان مرساها، قل إنما علمها عند ربى، لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت فى السموات والأرض، لا تأتيكم إلا بغتة.. يسألونك كأنك حفى عنها، قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[١٩٠]. وقوله تعالى: «يسألونك عن الساعة أيان مرسها، فيم أنت من ذكرها، إلى ربك منتهاها»[١٩١].

الحديث		الآية
ـ أخبرنى عن الساعة	ـــــــــــــــ	يسألونك عن الساعة

ما المسئول عنها بأعلم من السائل

← قل إنما علمها عند ربى، لا يجليها لوقتها إلا هو.

← ـ قل إنما علمها عند الله

← ـ فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها

والربط التناصى والدلالى؛ هو السؤال عن الساعة، والإجابة بعدم العلم عنها، وكأن سؤالاً طُرِح على الرسول ﷺ: فمَنْ يعلمها؟ فجاءت الآيتان لتفصيل هذا العلم؛ إذ ورد الحديث عنها فى الحديث مجملاً، وجاء فى الآيتين مفصلاً.

ومنه ما جاء عن «... ابن عباس أن معاذاً قال: بعثنى رسول الله ﷺ قال: إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعو لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(١٩٢).

الحديث		الآية
ـ افترض عليهم خمس صلوات	←	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة(١٩٣).
ـ افترض عليهم صدقة	←	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها(١٩٤).

ـ فإياك وكرائم أموالهم ←—— فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين(١٩٥).

ـ فإن هم أطاعوا ←—— ومن يطع الله ورسوله...(١٩٦).

وكذا قوله ﷺ: «... من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(١٩٧). فالأمر فى الحديث بتغيير المنكر، ويتناص هذا الحديث، مع اتفاق فى الأمر، مع قوله تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر... الآية»(١٩٨)، ومع قوله: «ولتكن منهم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر... الآية»(١٩٩).

والبحث عن وسيلة التناص فى هذا النوع من أنواع التناص غير ذى جدوى لأنه ليس هناك نص شكلى تم التناص معه، بل بالمعنى؛ فلا ينبغى هنا استعمال وسيلة من وسائل التناص التى استعملت فى أنواع التناص السابقة.

والتناص بالمعنى من أبرز أنماط التناص التى يتفاعل فيها نص الحديث الشريف مع أكثر من آية فى أكثر من سورة؛ فالشاهد الأول من هذا المبحث تناص الحديث مع آيات من سور: المائدة، والرعد، والحاقة، والزمر، والمعارج.

الشاهد الثانى تناص مع آيات مع سورتى: الأعراف والنازعات.

والشاهد الثالث تناص مع آيات من سور: البقرة، والتوبة، والنساء.
والشاهد الرابع تناص مع آيات من سورتى آل العمران والتوبة.

وتتحقق هذه النتيجة أيضاً فى حديثه ﷺ حينما سئل عن: «... أى الأعمال أفضل؟ قال الصلاة لوقتها؛ قال: قلت ثم أى: قال: بر الوالدين، قال: قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله...»(٢٠٠).

فالصلاة لوقتها «تناص مع قوله تعالى: «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»(٢٠١) ... و(بر الوالدين) تناص مع قوله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً... إلخ»، الآيات عن التعامل معهما(٢٠٢).

وقوله تعالى: «ووصينا الإنسان بوالديه.. إلخ الآيات»(٣٠٣).. وقوله (الجهاد فى سبيل الله) تناص مع قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله... إلخ(٢٠٤).

فقد تناص الحديث هذا مع أربعة مواضع مختلفة فى أماكن مختلفة من النص القرآنى.

وكذلك: «.. سألت رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل له ندا وهو خلقك، قال: قلت له: إن ذلك لعظيم. قال: قلت ثم أى؟ قال: ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال: قلت ثم أى؟ قال: ثم أن تزانى خليلة جارك..»(٢٠٥).

إذ تناص مع ثلاثة موضوعات، أو ثلاثة معانٍ هى:

١ ـ الشرك بالله، وتندرج تحته الآيات التى تتحدث عن الشرك بالله، ومن أبرزه هذه الآيات قوله تعالى: «وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»(٢٠٦).

٢ ـ قتل الأولاد وخشية الفقر؛ تناص بصفة عامة مع عدم قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق[٢٠٧]، وبصفه خاصة مع قوله تعالى:

ـ «ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم»[٢٠٨].

ـ «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم»[٢٠٩].

٣ ـ عظم ذنب الزانى؛ فى الحديث نهى ضمنى عن فعل هذا الذنب العظيم، وهذا تناص بالمعنى مع قوله تعالى: «ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً»[٢١٠]، و: «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة»[٢١١].

فهذا تناص مع سور متعددة منها: لقمان، الأنعام، الإسراء، النور. مع ملاحظة أن تناص المعنى يمكن أن يطلق عليه تناص موضوعى؛ «بمعنى حديث القرآن الكريم والحديث الشريف عن موضوع واحد، مع اختلاف فى اللفظ دون المعنى حول هذا الموضوع. والمناسبة الجامعة لهذا التناص فى هذا الحديث هى عظم هذا الصنف من الذنوب؛ فهو إذن تناص المشابهة الدلالية.

وكذلك تظهر علاقة الإجمال والتفصيل بين النصين؛ إذ جاءت هذه القضايا مجملة فى نص الحديث، ومفصلة فى نص القرآن. هذا إضافة إلى علاقة التضمين؛ فالقضية الأولى فى الحديث سيقت فى صورة خبرية، لكن فحواها إنشائى للنهى، وفسره النص القرآنى: «لا تشرك بالله». وكذلك فى القضية الثانية؛ بأسلوب خبرى يتضمن معنى إنشائياً أو أسلوباً إنشائياً، وفصل هذا التضمين فى نص القرآن: «ولا تقتلوا أولادكم». وكذلك القضية الثالثة.

وقد تناص الحديث السابق نفسه فى نهاية بالشكل والمعنى مع نص القرآن الكريم جامعاً القضايا الثلاث؛ فقال ﷺ بعد قوله: «حليلة جارك»: «فأنزل الله عز وجل تصديقها (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون. ومن يفعل ذلك يلق آثاماً»(٢١٢).

ونستطيع القول إن التناص بالمعنى، فيما سبق كان بالتضمين أحياناً، وبالإجمال والتفصيل أحياناً أخرى، وبالترادف أحياناً ثالثة؛ لكن الملاحظ أن الترادف لم يكن على مستوى الكلمة المفردة ومرادفها؛ بل على مستوى الجملة، أو على مستوى الموضوع.

الخاتمة والنتائج

أولاً: نستنتج أن التناص بين الحديث الشريف والقرآن الكريم بأكثر من آية له خمسة أنواع:

١ ـ التناص بآيتين من سورة واحدة.

٢ ـ التناص بأكثر من آيتين من سورة واحدة.

٣ ـ التناص بآيتين مختلفتين من سورتين مختلفتين.

٤ ـ التناص بأكثر من آيتين من سورتين.

٥ ـ التناص مع سورة كاملة فى حديث واحد.

ثانياً: انحصار وسائل التناص بين نصى القرآن الكريم والحديث الشريف فى وسيلتين هما:

١ ـ وسيلة شكلية ممثلة فى ألفاظ القول ومرادفاتها، وهى وسيلة محسوسة.

٢ ـ وسيلة معنوية يلتحم فيها النصان دون وجود رابط شكلى، وذاك بالتتميم أو التكميل، أو الإجمال والتفصيل أو الاستفهام والإجابة عنه... إلخ.

ثالثاً: أغلب النصوص ـ نصوص الدراسة ـ وجدت بينها المناسبة، ولذلك توصل الباحث إلى أن التناص الكائن بين نصى القرآن والحديث هو تناص المماثلة فقط؛ إذ لا يعقل وجود المخالفة بين الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: اتجاه المرجعية بين النص الحاضر ـ الحديث ـ والنص

الغائب ـ القرآن، مرجعية خارجية سابقة من الأحاديث إلى القرآن.

القرآن ⟵ الحديث

مرجعية خارجية سابقة

خامساً: أكثر أنواع التناص دوراناً فى الحديث الشريف التناص بالمعنى دون الشكل؛ وذلك بدهى؛ لأن الحديث إما أن يكون مؤكداً للنص القرآنى أو مفصلاً... إلخ، والأحاديث الشريفة كلها لا تخرج عن مثل هذه الأنماط؛ ومن ثم نخرج بنتيجة مؤداها أن الحديث الشريف يتناص كله مع النص القرآنى بالمعنى.

سادساً: أقل أنواع التناص دوراناً هو التناص بسورة كاملة فى نص الحديث الشريف؛ وهذا لم يرد إلا فى موضع واحد من هذه الدراسة.

سابعاً: استنتاج أن التنوين يعد وسيلة أو رابطاً تناصياً شكلياً غير لفظ القول ومشتقاته ومرادفاته؛ على وجه الخصوص تنوين العوض.

ثامناً: إثبات تناص حديث واحد مع موضوع كامل فى النص القرآنى كما حدث فى تناص الحديث: «... من قال أشهد أن لا إله إلا الله... إلخ»(٢١٣)؛ حيث اشتمل على الشهادتين، والإيمان بالأنبياء، وبالجنة، والنار. وهذا مفصل بصورة واسعة فى عدد كبير من سورة القرآن الكريم.

تاسعاً: الاستفهام والإجابة عنه ثبت أنهما يمثلان رابطاً قوياً من الروابط المحققة للتناص القرآنى فى الحديث الشريف؛ فالإجابة تشتق أصلاً من نص السؤال؛ فحينما نقول:

مَنْ صاحب كتاب المزهر فى علوم اللغة؟

تكون الإجابة:

صاحب كتاب المزهر فى علوم اللغة هو الإمام السيوطى.

فحدث التناص بينهما بالشكل والمعنى.

عاشراً: إثبات أن التشبيه لا يقل أهمية عن غيره من الوسائل فى تحقيق التناص؛ وذلك باستعمال أدوات التشبيه المعروفة بين النص الحاضر والنص الغائب.

حادى عشر: وكذلك من العلاقات التناصية بين نصى الدراسة العموم والخصوص؛ مثلما ورد فى الحديث عن أن لكل نبى حواريين، وخُصص فى النص القرآنى بحوارى عيسى عليه السلام فقط.

ثانى عشر: استنتاج ما يمكن أن نطلق عليه «التناص الموضوعى»؛ وأدى هذا إلى نتيجة أخرى مؤداها أن الحديث الشريف كله فى تناص موضوعى مع القرآن الكريم؛ وذلك أن موضوعات القرآن تركز على العقيدة والتشريع وما يتفرع عن كل منهما من موضوعات، وكذا الحديث الشريف؛ إذ بالنظر إلى موضوعات أبوابه كلها تجدها تتحدث عن موضوعات القرآن السابقة نحو:

- الإيمان.
- الإيمان قول وعمل.
- إثبات القدر.
- أمارات الساعة.
- الصلوات.

ـ أركان الإسلام.

ـ الأمر بالإيمان.

ـ حق الله على العباد.

ـ وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ـ بيان أن الدين النصيحة.. إلخ(٢١٤).

ثالث عشر: التضمين يعد رابطاً تناصياً؛ إذ قد يأتي الحديث بأسلوب خبري، لكنه يتضمن معنى إنشائياً يوضحه النص القرآن، أو العكس.

الهوامش والحواشي

(١) د. عبدالعاطى كيوان، التناص القرآنى فى شعر أمل دنقل، مكتبة النهضة المصرية، مصر، طـ١، ١٩٩٨، ص ٣٤.

(٢) سيزا قاسم: القارىء والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا، عالم الفكر، مجلد ٢٣، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥، ص ٢٦١.

(٣) محمد عزام: النص الغائب «تجليات التناص فى الشعر العربى»، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص٤٠.

(٤) الثعالبى: الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق. ابتسام مرهون الصفار، و د. مجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، طـ١، ١٩٩٢، ١/٣٨.

(٥) عبدالعاطى كيوان: السابق، ص ٤٨.

(٦) سورة النجم، الآية ١ ـ ٢.

(٧) د. صلاح فضل: إنتاج الدلالة الأدبية؛ قراءة فى الشعر والقص والمسرح، هيئة قصور الثقافة، مصر، ١٩٩٣، ص ٤١ ـ ٤٢ (بتصرف).

(٨) الثعالبى: الاقتباس من القرآن الكريم، ١/٣٩.

(٩) صحيح مسلم بشرح الإمام النووى، المجلد الأول، الجزء الأول، مكتبة الغزالى، دمشق، (د.ت)، ص: ب ـ ج.

(١٠) د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة، عالم المعرفة، ع (٢٣٢)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص٣٦١.

(١١) د. محمد عزام: النص الغائب «تجليات التناص فى الشعر العربى»، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص ٣٩.

(١٢) د. محمد عزام: السابق، ص ١٠.

(١٣) د. عبدالعاطى كيوان: التناص القرآنى فى شعر أمل دنقل، ص١٧.

(١٤) مارك أنجينو: التناصية، مقال من كتاب (آفاق التناصية)، ترجمة: محمد البقاعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨، ص ٦٧.

(١٥) د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(١٦) د. حسن محمد حماد: تداخل النصوص فى الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ت، ص ١٠.

(١٧) انظر: ١ ـ د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعرى؛ دراسة فى قصيدة جاهلية، فصول، م١٠، العدد ١، ٢، يوليو ـ أغسطس ١٩٩١، ص ١٥٤.

٢ ـ د. سعيد بحيرى: علم لغة النص، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٩٣، ص ١٤١ ـ ١٤٢.

٣ ـ روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(١٨) أ ـ د. صلاح فضل: طراز التوشيح بين الانحراف والتناص، فصول، م٨، ع١، ٢، مايوم ١٩٨٩.

ب ـ د. صبرى حافظ: التناص وإشاريات العمل الأدبى، مجلة ألف، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ربيع ١٩٨٤، ص ٢٣.

(١٩) د. محمد عزام: النص الغائب، ص ٣١.

(٢٠) جوليا كريسطيفا : علم النص، ترجمة د. فريد الزاهى، دار توبقال للنشر، ـ المغرب، ١٩٩٧، ص ٧٨.

(٢١) روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، طـ١، ١٩٩٨، ص ١٠٤.

(٢٢) جواليا كريسطيفا: السابق، ص ٢١.

(٢٣) السابق، ص٢٢.

(٢٤) ليون سمفيل: التناصية، مقال من كتاب آفاق التناصية، ص١٠١.

(٢٥) السابق، ص ١١١.

(٢٦) د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٢٧) مقال من شبكة المعلومات (الإنترنت)

Danial Chandler, Semiotics for Beginers:
Intertextuality, P.1. www.lcaap.Org.com.

(٢٨) د. عبدالعزيز حمودة: السابق، ص ٣٦٢.

(٢٩) د. حسن حماد: تداخل النصوص، ص ٨.

(٣٠) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨/ ص١٠٣ـ ١٠٤.

(٣١) د. محمد عنانى: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٨٧ ـ ١٨٩.

(٣٢) جيرار جينيت: طروس: الأدب على الأدب، ترجمة د. محمد البقاعى، ص ١٤٦.

(٣٣) رولان بارت: نظرية النص، من آفاق التناصية، ترجمة د. محمد البقاعى؛ ص ٤٢ ـ ٤٣ وانظر مقال مارك انجينو: التناصية، من الكتاب السابق نفسه، ترجمة د. البقاعى، ص ٦٤ ـ ٦٦.

(٣٤) د. محمد بريدى: الملكة الشعرية والتفاعل النصى، فصول، م٨، ع٣/٤، ١٩٨٩، ص٢٢.

(٣٥) د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص ٣٦٩.

(٣٦) الكهف، آية ٤٥.

(٣٧) د. صلاح فضل: طراز التوشيح بين الانحراف والتناص، فصول، م٨، ع١/٢، ١٩٨٩، ص٧٦.

(٣٨) Daniel Chandler: Semiotics for Beginners: lntrtextuality. P.1.

(٣٩) جوليا كريسطيفا: علم النص، ص ٧٨.

(٤٠) د. صلاح فضل: طراز التوشيح بين الانحراف والتناص، ص٧٨.

(٤١) د. محمد عزام: النص الغائب، ص ٥٣.

(٤٢) د. محمد عزام: النص الغائب، ص ٤١.

(٤٣) د. مصطفى أبو شارب: مفهوم (تداول المعانى) فى النقد العربى القديم فى ضوء نظرية «التناص»، مجلة الدراسات الشرقية، ع٢٨، يناير ٢٠٠٢. ومن المصنفات التى تهتم بهذه النظرية طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٩٦ ـ عيار الشعر لابن طباطبا ٣٢٢ ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ٣٦٦ ـ الموازنة للآمدى ٣٧٠ ـ الصناعتين لأبى هلال العسكرى ٣٩٥ ـ العمدة لابن رشيد القيروانى.

(٤٤) د. محمد بريدى: الملكة الشعرية والتفاعل النصى، ص ٢٣.

(٤٥) د. صلاح فضل: طراز التوشيح بين الانحراف والتناص، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٤٦) الثعالبى: الاقتباس من القرآن الكريم، ١/ ٣٩.

(٤٧) نهلة فيصل الأحمد: التفاعل النصى «التناصية» النظرية والمنهج، كتاب الرياض، ع (١٠٤)، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، د. ت، ص ١٠٥.

(٤٨) محمد عزام: النص الغائب، ص ٣٦.

(٤٩) صلاح فضل: شفرات النص «دراسة سيميولوجية فى شعرية

القص والقصيدة»، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية؛ مصر، ط٢، ١٩٩٥، A. J. Greimas. J. Caurtes Semiotica. Trad. Madrid, 1981, P. 66.

(٥٠) د. مصطفى أبو شارب: مفهوم (تداول المعانى) فى النقد الأدبى القديم، ص ٨١.

(٥١) نهلة فيصل الأحمد: السابق، ص ١٠٥.

(٥٢) انظر: ١ ـ مفيد نجم: التناص بين الاقتباس والتضمين الواعي واللاشعور، مجلة بيان الثقافة، العدد ٥٥، يناير ٢٠٠١، ص٣٠.

٢ ـ غازى مختار طليمات: التناص وأهل التفكيك، البيان، مايو ٢٠٠٢.

٣ ـ ممدوح عزام: عن النظرية الباختينية والرواية العربية، بيان الثقافة، العدد ١٢٩، سبتمبر ٢٠٠٢، ص ٢٠.

(٥٣) نهلة فيصل الأحمد: السابق، ص ١١٧ ـ ١٨٨.

(٥٤) انظر على سبيل المثال: أ ـ نهلة فصيل الأحمد: السابق، ص ١٠١ ـ ١٠٣.

ب ـ مصطفى أبو شارب: مفهوم تداول المعانى، ص ٨٠ـ٨٢.

(٥٥) نهلة فيصل الأحمد: السابق: ص ١٠١.

(٥٦) محمد عزام: النص الغائب ص ٣٦.

(٥٧) جوليا كريسطيفا: علم النص، ص ٢١، وما بعدها.

(٥٨) د. محمد عزام: السابق، ص٣٦.

(٥٩) د. حسن محمد حماد: تداخل النصوص فى الرواية العربية، ص ٩.

(٦٠) ليون سمفيل: التناصية، ص ٩٨ ـ ١٠٠.

(٦١) مارك أنجينو: التناص، ص ٧٩.

(٦٢) د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص ٣٦٣.

(٦٣) د. محمد عزام: النص الغائب، ص ٩.

(٦٤) مقال من شبكة المعلومات: الإنترنت لـ:

Nicholas Fox: Interxtuality and The writing of Social Research, electronic Journal of sociology, P. 1

وعنوان الموقع:

http://www.Sociology. org/content/vo1001. 002/Fox. Html.

(٦٥) د. مصطفى أبو شارب: مفهوم تداول المعنى، ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٦٦) انظر فى ذلك لمزيد من التفصيل:

أ ـ د. صلاح فضل: شفرات النص، ص ١١٠ ـ ١١١.

ب ـ د. محمد بريدى: الملكة الشعرية، والتفاعل النصى: دراسة تطبيقية على شعر الهذليين، فصول، م٨، عدد ٣، ٤، ديسمبر ١٩٨٩، ص ٢٠ ـ ٢١.

C - Scholes, Robert: Semiotics And Interpretation, London,

C - Scholes, Robert: Semiotics And Interpretation, London, 1982, P. 145.

وله مؤلفات أخرى عديدة حول هذه القضية، وغيرها على موقع:

www.Text- Semiotics.org/Scholes. Html.

D - A. J. Greimas. J. Caurtes: Semiotica. Trad. Madrid, 1981, P. 66.

(٦٧) عبدالملك مرتاض: خصائص الخطاب السردى لدى نجيب محفوظ، دراسة فى زقاق المدق، فصول، الهيئة العامة للكتاب، م٩، ع٤، ٣، فبراير ١٩٩١، ص ٢١٢ ـ ٢١٣.

(٦٨) ليون سمفيل: التناصية، ص ١٠١.

(٦٩) د. مصطفى عبدالغنى: خصوصية التناص، ث ٢٧٣.

(٧٠) د. مصطفى أبو شارب: مفهوم «تداول المعانى»، ص ٨٨.

(٧١) جوليا كرسيطيفا: علم النص، ص ٨٠.

(٧٢) د. مصطفى عبدالغنى: خصوصية التناص، ص ٢٧٣.

(٧٣) السابق، ص ٢٧١.

(٧٤) د. محمد عزام: النص الغائب، ص ٣٦.

(٧٥) ليون سمفيل: التناصية، ص ١٢٠.

(٧٦) د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص ٣٦٣.

النماء الحضارى، حلب، سوريا، ١٩٩٢، ص ٤٩.

(٧٨) روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، مصر، ١٩٩٨، ص ١٠٣ - ١٠٥.

(1) Daniel Chandler, Semiotics for Beginners, intertextuality , P.1: عنوان الموقع: www.icaap.org

(٨٠) د. حسن حماد: تداخل النصوص، ص ١٢.

(٨١) د. محمد عزام: النص الغائب، ص ١٠.

(٨٢) نفسه، ص ٣٠.

(٨٣) مفيد نجم: التناص بين الاقتباس والتضمين الواعى واللاشعورى، مجلة البيان، العدد ٥٥، ٢٠٠١، ص٤٥.

(٨٤) سيزا قاسم: حول بويطيقا العمل المفتوح، مجلة فوصل، مجلد ٤، ١٩٨٤. ص ٢٣٦ ـ ٢٧٣.

(٨٥) جوليا كرسيطيفا: علم النص، ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٨٦) سورة يوسف، الآية ١٠.

(٨٧) سورة يوسف، الآية ١٥.

(٨٨) د. عبدالعاطى كيوان: التناص القرآنى فى شعر أمل دنقل، ص ٥٢ ـ ٥٣. سورة يوسف، ٣١.

(٨٩) أبو منصور الثعالبى: الاقتباس من القرآن الكريم، تحقيق د. ابتسام مرهون الصغار، ود. مجاهد مصطفى بهجت، دار

الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصور، ص، ط١، ١٩٩٢، ١/٨٥ والمزيد من الأمثلة حتى ص٨٨، وجعله التعالبى تحت عنوان: «فى بعض ما جاء عنه عليه السلام من الكلام المقتبس من ألفاظ القرآن» ١/٥٨/٨٨.

(٩٠) التوبة، ٧٥ ــ ٧٧.

(٩١) إبراهيم، ١٣٢ ـ ١٤٠.

(٩٢) مارك أنجينو: التناصية، من آفاق التناصية، ترجمة د. محمد البقاعى الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص ٦٩.

(٩٣) ليون سمفيل: التناصية، من آفاق التناصية، ص ٩٧.

(٩٤) ميشيل أوتان: سيميائية القراءة، من آفاق التناصية ص١٦٦.

(٩٥) محمد بريدى: الملكة الشعرية والتفاعل النصى، فصول، م٨٨، ع٣/٤، ١٩٨٩، ص ٢٢.

(٩٦) نبيلة إبراهيم: القارىء: فى النص، فصول، م٥، ع١، ١٩٨٤، ص ١٠٣.

(٩٧) انظر تفاصيل أهمية دور القارىء: د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة، عالم المعرفة، ع٢٣٢، المجلس الوطنى للثقافة. والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، ص ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧.

(٩٨) د. محمد عزام: النص الغائب، ص ٣٠.

(٩٩) انظر: مرجعية الضمائر ودلالتها فى شعر الخنساء، د.

صبحى الفقى، مجلة الدراسات الشرقية، العدد السابع والعشرون، يوليو ٢٠٠١، ص ٣٦٢.

(١٠٠) ففى الوقت الذى يقول تعالى فيه: «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة... الآية» البقرة/٣. إجمالاً، نجد حديثاً نبوياً يشير إلى عدد هذه الصلوات فى اليوم والليلة؛ بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف «... خمس صلوات فى اليوم والليلة» صحيح مسلم، ١٦٦/١. وكذلك الإجمال فى قوله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذه، وما نهاكم عنه فانتهوا» الحشر/٧ مجملاً، فصل فى كل الأحاديث الشريفة المشتملة على الأوامر والنواهى مباشرة ـ أو تعريضاً... إلخ.

(١٠١) صحيح مسلم، ١٦٣/١ ـ ١٦٤.

(١٠٢) سورة محمد، الآية ١٨٠.

(١٠٣) صحيح مسلم، ١٦٥/١.

(١٠٤) السابق، ١٣٣/٢ ـ ١٣٤.

(١٠٥) سورة الحجرات، آية ٢.

(١٠٦) صحيح مسلم، ٢١١/١.

(١٠٧) سورة التوبة، الآية ١١٣.

(١٠٨) سورة القصص، الآية ٥٦.

ـ صحيح مسلم، ٢١٤/١ ـ ٢١٥.

(١٠٩) سورة الواقعة من الآية ٧٥ – ٨٢.

ـ صحيح مسلم، ٢/ ٦١ ـ ٦٢ . ونص هذه الآيات من سورة الواقعة، الآيات ٧٥ ـ ٨٢: قال تعالى: «فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون. تنزيل من رب العالمين. أفبهذا الحديث أنتم مدهنون. وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون»

(١١٠) شرح صحيح مسلم للإمام النووى، ٢/٦٢.

(١١١) السابقة، ٢/٦١.

(١١٢) الفرقان /٦٨.

(١١٣) الزمر/٥٣ ونص الحديث فى صحيح مسلم ٢/١٣٩ ـ ١٤٠ وانظر صحيح مسلم، ٢/١٩٨ ـ ١٩٩ حيث تناص الحديث مع سورتين مختلفتين؛ تناص مع الأولى باللفظ والمعنى، ومع الثانى بالمعنى فقط، العلق، والمزمل.

(١١٤) صحيح مسلم، ٢/١٤٤ ـ ١٤٦ . والآيات التى تناصت مع الحديث الشريف كلها هى خواتيم سورة البقرة؛ من الآية ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .

(١١٥) صحيح مسلم، ٢/١٨٣ .

(١١٦) السابقة ٢/١٨٤ .

(١١٧) البقرة/ ٢٦٠ .

(١١٨) هود/ ٨٠.

(١١٩) يوسف/ ٥٠.

(١٢٠) يوسف/٤٢. ويقول الإمام النووى (ولو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لأجببت الداعى): فهو ثناء على يوسف عليه السلام وبيان لصبره وتأنيه والمراد بالداعى رسول الملك الذى أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال ائتونى به فلما جاءّ الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة.. فلم يخرج يوسف عليه السلام مبادراً إلى الراحة ومفارقة السجن الطويل بل تثبت وتوقر...» شرح صحيح مسلم للإمام النووى، ٢/١٨٥.

(١٢١) سور التكوير/٢٣.

(١٢٢) سورة النجم/ ١٣.

(١٢٣) سورة الأنعام، ١٠٣.

(١٢٤) سورة الشورى/٥١.

(١٢٥) سورة النمل/٦٥، والحديث الصحيح مسلم، ٣.

(١٢٦) سورة المسد/ ١. والتناص هنا مع هذه السورة كلها، ودليله قوله: (إلى آخر السورة).

(١٢٧) صحيح مسلم، ٣/٨٢ ـ ٨٣.

(١٢٨) انظر ص ٤٢ من البحث.

(١٢٩) انظر على سبيل المثال: ج١: ١٧٥ ـ ١٦٣ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـــ ج٢: ٢٧، ٣٩، ٨٣، ١٠٠ ـــ ١٠١، ١١٤، ١٤٢، ١٨٣،

١٩٤ ـ ١٩٥، ١٦٩، ١٩٩، ٢٠٣. ج٣: ٣٢، ٢٦، ٢٢، ١٧، ٨، ٥، ٣، ٢، ٩٧، ٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩. وهذا التقسيم يبدأ من كلمتين حتى قبل انتهاء الآية بكلمة واحد يُراعى فيه المساحة التى يشغلها نص القرآن الكريم داخل الحديث الشريف.

(١٣٠) صحيح مسلم، ١/٢٢٦.

(١٣١) شرح صحيح مسلم للنووى، ١/٢٢٧.

(١٣٢) النساء/ ١٧١.

(١٣٣) صحيح مسلم، ٢/٢.

(١٣٤) المائدة/٣.

(١٣٥) صحيح مسلم، ٢/١١٤.

(١٣٦) البقرة/١٧٤.

(١٣٧) صحيح مسلم، ١١٤، ٢.

(١٣٨) هناك أنواع متعددة من التنوين منها: تنوين العوض، تنوين المقابلة، تنوين الترنم، تنوين التنكير.

(١٣٩) صحيح مسلم، ٢، ١٩٤.

(١٤٠) الأنعام/ ١٥٨.

(١٤١) صحيح مسلم، ٢/١٩٥ ـ ١٩٦.

(١٤٢) سورة يس، ٣٨.

(١٤٣) صحيح مسلم، ١٩٦/٢.

(١٤٤) صحيح مسلم، ٣، ٢.

(١٤٥) السابق، ٣، ٣.

(١٤٦) السابق، ٣، ٥.

(١٤٧) النجم، ١٥، ١٦.

(١٤٨) النجم. ١٨.

(١٤٩) صحيح مسلم، ٩٩/٢ ـ ١٠٠.

(١٥١) البقرة ١٩٣.

(١٥٢) الأنفال، ٣٩.

(١٥٣) صحيح مسلم. ١٤٢/٢ ـ ١٤٣.

(١٥٤) الأنعام، ٨٢.

(١٥٥) لقمان، ١٣.

(١٥٦) انظر: ص ٥٥ من البحث.

(١٥٧) صحيح مسل، ١٥٧/١.

(١٥٨) آل عمران، ٩٧.

(١٥٩) سورة المائدة آية ٣.

(١٦٠) وفى رواية أخرى: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا
١٦٣/١. وهذا تناص مع قوله تعالى: «فليعمل عملاً صالحـ
ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» الكهف/ ١١٠، «وإذ قال لقمان

لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك بالله لظلم عظيم» لقمان/١٣ ومن هذه الوسيلة نستنتج أن هناك ست وسائل لتحقيق التناص.

(١٦١) صحيح مسلم، ٣٩/٢.

(١٦٢) الأنبياء/ ٧٣.

(١٦٣) صحيح مسلم، ٢٦/٣.

(١٦٤) الأنعام /١٠١.

(١٦٥) وانظر: البقرة/١١٦، النساء/١١٧، يونس/٦٨، مريم/٨٨، ٩٢، الأنبياء/٢٦،... والتفصيل: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٩٣٠.

(١٦٦) صحيح مسلم، ١٥٧/١.

(١٦٧) انظر على سبيل المثال: البقرة/٢٧٩، النساء/١٣، ١٤، ١٠٠، ١٣٦ المائدة/ ٥٦، ٥٥، ٣٣، الأعراف: ١٥٨٩، الأنفال: ١٣، ١، ٢٠، ٤٦، التوبة: ١٦، ٧، ٣، ١، ٢٦، ٢٤ ... إلخ.

(١٦٨) انظر على المثال: النساء/٧٧، ١٦٢، المائد/١٢ ٥٥، ٣٣، الأعراف: ١٥٦ ،، التوبة: ١١، ٥، ١٨، ٧١. الأنبياء: ٧٣. الحج/١٨، ٧١. مريم/٣١. الأنبياء: ٧٣. الحج/٧٨، ٤١، النور ٥٦، ٣٧. النمل: ٣، لقمان: ٤، الأحزاب: ٣٣، فصلت: ٧، المجادلة ١٣: المزمل ٢٠، البينة: ٥.

(١٦٩) البقرة/ ١٨٣.

(١٧٠) ص ٦٣ من البحث. التناص فى هذا الحديث مع هذا العدد الكبير من الكلمات القرآنية، هو تناص من نمط الإجمال والتفصيل؛ وهذا النمط أكثر الأنماط التى يحدث من خلالها التناص بكلمة من آية أو إشارة إلى آية.

(١٧١) صحيح مسلم، ٢/ ٩.

(١٧٢) فصلت/ ٣٠.

(١٧٣) الأحقاف/ ١٣.

(١٧٤) هود/ ١١٢.

(١٧٥) الشورى/ ١٥.

(١٧٦) صحيح مسلم، ٢/ ٢٧.

(١٧٧) آل عمران/ ٥٢.

(١٧٨) المائدة/ ١١٢.

(١٧٩) الصف/ ١٤. وانظر أمثلة هذا التناص: صحيح مسلم: ٢/ ٨٦، ٣، ٢٨، ٢٧.

(١٨٠) صحيح مسلم، ٣/ ٨٨.

(١٨١) الزمر/ ١٠.

(١٨٢) غافر/ ٤٠.

(١٨٣) صحيح مسلم، ١/ ١٧١.

(١٨٤) المائدة/ ١٠١.

(١٨٥) انظر على سبيل المثال صحيح مسلم: ج١/١٦٥، ١٥٨، ١٦٣، ١٩٦ ـ ١٩٨. ج٢/١٨، ٢٢ ـ ٢٥، ٣٩، ٤٦ ـ ٤٩، ٤٨، ٥٤، ٥١، ٦٩، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٥، ٨٠، ١١٨ ومابعدها، ١٤٧ ـ ١٤٨، ١٥٣، ١٨٦ ومابعدها، ٢٠٩ ـ ٢٢٣. ج٣/٥٥، ١٤، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١... إلخ.

(١٨٦) المائدة/٣٦.

(١٨٨) الرعد، ١٨، وانظر سورة الحاقة/٢٨، والزمر/٤٧، والمعرج ١١ ـ ١٥.

(١٨٩) صحيح مسلم، ١/١٥٨.

(١٩٠) الأعرف/١٨٧.

(١٩١) النازعات، ٤٢ ـ ٤٤.

(١٩٢) صحيح مسلم، ١/١٩٦ ـ ١٩٧.

(١٩٣) البقرة، ٤٣.

(١٩٤) التوبة، ١٠٣.

(١٩٥) التوبة، ١١.

(١٩٦) النساء، ١٣.

(١٩٧) صحيح مسلم، ٢/٢٢ ـ ٢٥ نص الحديث كاملاً.

(١٩٨) التوبة، ٧١.

(١٩٩) آل عمران، ١٠٤.

(٢٠٠) صحيح مسلم، ٧٣، ٢ ـ ٧٥.

(٢٠١) سورة النساء، ١٠٣.

(٢٠٢) سورة الإسراء، ٢٣ ومابعدها.

(٢٠٣) سورة لقمان، ١٤.

(٢٠٤) سورة الصف، ١٠، ١١.

(٢٠٥) صحيح مسلم، ٢/ ٨٠.

(٢٠٦) لقمان/١٣. وانظر الأعراف ١٩٠ ـ ١٩١، التوبة ٣١، يونس ١٨، النحل/٣، ١، المؤمنون ٥٩ ـ ٩٢ النور ٥٥، النمل ٦٣، القصص ٦٨، الروم ٤٠، الزمر ٦٧، الطور ٤٣، الحشر ٢٣؛ فيها حديث مفصل بصور متعددة عن الشرك بالله.

(٢٠٧) الأنعام ١٥٩، النساء ٢٩، الإسراء/٣٣، الفرقان، ٦٨.

(٢٠٨) الأنعام/ ١٥١.

(٢٠٩) الإسراء ٣١، وقال فيها الإمام النووى فى شرح هذا الحديث: وهو معنى قوله تعالى: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق» انظر شرح الحديث الشريف فى صحيح مسلم، ٢/ ٨٠.

(٢١٠) الإسراء/٣٢.

(٢١١) النور/ ٢.

(٢١٢) الصف/١٤ . وانظر أمثلة هذا التناص: صحيح مسلم: ٢/٨٦، ٣، ٢٨، ٢٧ .

(٢١٣) صحيح مسلم، ١/٢٢٦ .

(٢١٤) انظر: صحيح مسلم، ١/٢٤٧ ــ ٢٤٨، ٢/٢٣٩ ــ ٢٤٠، ٣/٢٣٥ ــ ٢٣٦ .

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

- أبو منصور الثعالبي: **الاقتباس من القرآن الكريم**، تحقيق د. ابتسام مرهون، و د. مجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٩٩٢.

- الإمام مسلم: **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي**، مكتبة الغزالي، دمشق، د.ت.

- جوليا كريسطيفا: **علم النص**، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٩٧.

- جيرار جينيت: طروس: **الأدب على الأدب**، من كتاب آفاق التناصية، ترجمة محمد البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨.

- حسن محمد حماد: **تداخل النصوص في الرواية العربية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.

- سعيد بحيري: **علم لغة النص**، الأنجلو المصرية، ط١، مصر، ١٩٩٣.

- روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.

- رولان بارت: **لذة النص**، ترجمة منذر عياش، مركز النماء الحضاري، حلب، سوريا، ١٩٩٢.

- رولان بارت: **نظرية النص**، من كتاب آفاق التناصية، ترجمة محمد البقاعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨ .

- صلاح فضل: **إنتاج الدلالة الأدبية ؛ قراءة فى الشعر والقص والمسرح**، هيئة قصور الثقافة، مصر، ١٩٩٣ .

- صلاح فضل: **شفرات النص «دراسة سيميولوجية فى شعر القص والقصيدة»**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، طـ١ ، ١٩٩٥ .

- عبدالعاطى كيوان: **التناص القرآنى فى شعر أمل دنقل**، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١ ، ١٩٩٨ .

- عبدالعزيز حمودة: **المرايا المحدبة**، عالم المعرفة، ع٢٣٢ ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨ .

- ليون سمفيل: **التناصية** ـ من كتاب «آفاق التناصية»، ترجمة محمد البقاعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨ .

- مارك أنجينو: **التناصية**، من كتاب «آفاق التناصية» ترجمة محمد البقاعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨ .

- محمد عزام: **النص الغائب «تجليات التناص فى الشعر العربى»**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ .

- محمد عنانى: **المصطلحات الأدبية الحديثة**، الشركة العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧ .

- مشيل أوتان: <u>سيميائية القراءة</u>، من آفاق التناصية، ترجمة محمد البقاعي.

- نهلة فيصل الأحمد: **<u>التفاعل النصى «التناصية» النظرية والمنهج</u>**، كتاب الرياض، ع (١٠٤) مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، د.ت.

ثانياً: الدوريات:-

- سعد مصلوح: <u>نحو أجرومية للنص الشعرى</u>: دراسة فى قصيدة جاهلية، فصول، م١٠، عدد ٢، ١، يوليو، أغسطس، ١٩٩١.

- سيزا قاسم: **<u>القارىء والنص من السيميوطيقا إلى الهيرمينوطيقا</u>**، عالم الفكر، الكويت، م٢٣، ١٩٩٥.

- سيزا قاسم: **<u>حول بوطيقا العمل المفتوح</u>**، مجلة فوصل، م٤، ١٩٨٤.

- صبحى الفقى: **<u>مرجعية الضمائر ودلالتها فى شعر الخنساء</u>**، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٢٧، يوليو ٢٠٠١.

- صبرى حافظ: **<u>التناص وإشاريات العمل الأدبى</u>**، مجلة ألف، القاهرة، ربيع ١٩٨٤.

- صلاح فضل: **<u>طراز التوشيح بين الانحراف والتناص</u>**، فصول، م٨، ع١، ٢، مايو ١٩٨٩.

- عبدالملك مرتاض: **<u>خصائص الخطاب السردى لدى نجيب</u>**

محفوظ، دراسة فى زقاق المدق، فصول، م٩، ع٤، ٣، فبراير ١٩٩١.

- غازى مختار طليمات: التناص وأهل التفكيك، البيان، الإمارات المتحدة، دبى، مايو ٢٠٠٢.

- محمد بريدى: الملكة الشعرية والتفاعل النصى، دراسة تطبيقية على شعر الهزليين، فصول، م٨، ع٤، ٣، ١٩٨٩.

- مصطفى أبو شارب: مفهوم (تداول المعانى) فى ضوء النقد العربى القديم فى ضوء نظرية «التناص»، مجلة الدراسات الشرقية، ع٣٨، يناير ٢٠٠٢.

- مفيد نجم: التناص بين الاقتباس والتضمين الوعى واللاشعور، مجلة البيان، العدد ٥٥، ٢٠٠١.

- ممدوح عزام: عن النظرية الباختينية والرواية العربية، بيان الثقافة، ع١٢٩، سبتمبر ٢٠٠٢.

* * *

ثالثا: المصادر الأجنبية

-- A.J. Greimas. J. Caurtes: Semiotica, Trad, Madrid, 1981.

-- Scholes, Robert: Semiotics and Interpretation London, 1982.

رابعا: مقالات من شبكة المعلومات «الإنترنت»

Danial Chandler, <u>Semiotics for Beginners: intertextuality,</u> P.1.

www. Icaap. Org. com. الموقع

-- Nicholas Fox: <u>intertextuality and the writing of social Research,</u> Electronic Journal of sociology, P.1.

www. Sociology. Org/ content/ Vogoo1/.002/ Fox. Html. الموقع

الألفاظ العامية المصرية فى (شفاء الغليل) للخفاجى
دراسة تحليلية تأصيلية

د. فتح الله أحمد سليمان ـ أستاذ العلوم اللغوية المساعد
بكلية الآداب ـ جامعة حلوان

مقدمة

يخطىء من ينظر إلى اللهجات العامية على أنها كلها انحراف عن اللغة الفصحى. إن الألفاظ العامية إما أن تكون فى الأصل ألفاظاً فصاحاً أصابها التغيير، بالتحريف أو القلب أو الإبدال، أو باستعمال بعض الألفاظ بمدلولات جديدة تخالف مدلولاتها الأصلية، أو بمخالفة ما قرره النحاة وما تعارف عليه اللغويون وما اتفق واللسان العربى، ولا يتعارض هذا مع الحقيقة التى لا يمكن إنكارها،وهى أن قدراً لا يُستهان به مما يستعمله العوام قد يكون لغةً، أو لهجة قبيلة، وإما أن تكون تلك الألفاظ العامية ألفاظاً أعجمية: تركية، أو قبطية، أو فارسية أو غير ذلك مما استوعبته هذه العامية، ويتفاوت هذا الأمر من عامية لأخرى؛ إذ تكثر، مثلاً، فى العامية المصرية الألفاظ القبطية والتركية، على حين يبدو أثر الآرامية كبيراً فى سوريا ولبنان.

وثمة ملاحظة جديرة بالنظر، وهى تشعُّب العاميات وتعددها واختلافها اختلافاً بيِّناً؛ فهناك العامية المصرية، والعامية السودانية، والعامية المغربية ... ولم يكن الأمر مقصوراً على اختلاف العاميات من قُطر لآخر، بل تعداه إلى تباين تلك اللهجات فى إطار (المحافظة) أو الولاية الواحدة، وقد أدى هذا إلى تعدد أشكال مخالفة الفصحى، وانحراف بعض الأصوات عن صورتها الأصلية.

وقد اتجهت عناية البعض إلى الدفاع عن اللهجات العامية، دفعاً لِوَهْم من يتوهم أن العوام لا يصيبون فيما ينطقون، فالف ابن الحنبلى (ت ٩٧١هـ): (بحر العَوَّام فيما أصاب فيه العوام)، وكتب يوسف المغربى (ت ١٠١٩هـ): (دفع الإصر عن كلام أهل مصر)، وقام ابن أبى السرور الشافعى (ت ١٠٨٧هـ) باختصاره فى مؤلف بعنوان (القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب).

وأدى انتشار اللحن فى كلام العوام إلى محاولة البعض إصلاح هذا الخطأ والتنبيه عليه؛ فكانت هناك مؤلفات غايتها بيان ما فى كلام العامة من أخطاء، وذِكْر الصواب مع التعليل والشرح، ومن هذه المؤلفات: (ما تلحن فيه العوام) للكسائى (ت ١٨٩هـ)، و(لحن العوام) للزُّبيدى (ت٣١٦هـ)، و(تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) لابن مكى الصقلى (ت٥٠١هـ)، الذى يصحح ما شاع من أخطاء لغوية لا بين العامة فحسب، بل بين الخاصة أيضاً، و(التكملة فيما يلحن فيه العامة) للجواليقى (ت ٥٣٩هـ)، و(المدخل إلى تقويم اللسان) لابن هشام اللخمى (ت ٥٧٧هـ)، وهو رد على كتابى (لحن العوام) للزبيدى، و(تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) لابن مكى الصقلى. ويعد كتاب (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) للصفدى (ت ٧٦٤هـ) أكبر مؤلف فى لحن العامة.

ولم تكن العامية وحدها التى نالت عناية الباحثين والكتاب قديماً، تنبيهاً على ما بها من أخطاء؛ إذ كانت لغة الخاصة من الأدباء والمؤلفين موضوعاً للعديد من المصنفات التى كانت غايتها تخليص لغتهم مما لحق بها من تحريف أو خطأ أو انحراف عن الصواب. ومن الكتب التى عُنيت بهذا الأمر: (إصلاح المنطق) لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، و(أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وفيه بيان لأخطاء الكتّاب والمشتغلين بالأدب، إضافة إلى بعض ما يجرى على ألسنة العوام من تصحيف، أو خطأ، أو تغيير حركة الكلمة، أو ما يعدى والعامة لا تعديه، أو ما لا يعدى والعامة تعديه. وقد اختصر (إصلاح المنطق) أبو القاسم الحسين بن على المغربى (ت ٤١٨هـ) فى مؤلف بعنوان (المنخّل)، وتصدى له الخطيب التبريزى (ت ٥٠٢هـ) بالشرح والتهذيب والتقويم فى كتابه (تهذيب إصلاح المنطق). كذلك ألف الحريرى (ت ٥١٦هـ) (درة الغواص فى أوهام الخواص)، وصنع ابن الحنبلى ذيلاً على (درة الغواص) أسماه (سهم الألحاظ فى وهم الألفاظ).

ومن الكتب التى شُغلت بقضية اللحن، وتتبع الخطأ وبيان الصحة والصواب (كتاب الفصيح)، لأبى العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)، وهو لم يكتف بتصحيح الألفاظ الدائرة على ألسنة الفصحاء من العرب، بل تناول أيضاً كثيراً مما كان شائعاً عند العوام، مثل الخطأ فى الأوزان عندهم، والخلط فى استعمال المشتقات، وقضية التذكير والتأنيث. وقد شرح (الفصيح) ونقده واستدرك عليه ونبه على ما فيه من أخطاء وأوهام: الكثيرون، ومن أهم تلك الشروح: (تصحيح الفصيح وشرحه) لابن دُرُستَويه (ت ٣٣٧هـ)، و(فائت الفصيح) لأبى عمر الزاهد، المعروف

بغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ)، و(تمام فصيح الكلام) لابن فارس اللغوى (ت ٣٩٥هـ)، و(شرح الفصيح للزمخشرى ت ٥٣٨هـ)، و(ذيل فصيح ثعلب) لموفق الدين عبداللطيف البغدادى (ت ٦٢٩هـ).

وثمة كتب كان موضوعها رواة الحديث، وما يرد عندهم من أخطاء ولحن وتحريف وتصحيف فى ألفاظ الأحاديث، مثل كتاب (إصلاح غلط المُحَدِّثين) للخطَّابى (ت ٣٨٨هـ)، وأخرى عنيت بما شاع بين الفقهاء وعلى ألسنتهم من أخطاء وتصحيفات، وحَرَصت على إيراد الصحيح والصواب، مثل كتاب (غلط الضعفاء من الفقهاء) لابن برى (ت ٥٨٢هـ).

ويهدف هذا البحث إلى تتبع الألفاظ والتراكيب التى تدور على ألسنة العوام فى مصر وتحليلها، ومحاولة إرجاعها إلى أصولها، بغية الوصول إلى حقيقة تلك الألفاظ، وبيان صلتها بالفصحى أو باللغات الأخرى، وإظهار ما أصاب هذه الألفاظ من تغيير فى الأصوات أو فى الدلالة، أو فى بنية اللفظ. وقد لا يكون هناك تغيير، ولكن ثمة جدة فى التركيب عن طريق الجمع بين لفظين فصيحين فى العامية واستعمالهما فى إطار تركيب تلازمى.

ويعتمد البحث ـ من حيث المادة اللغوية ـ على كتاب (شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل)، لشهاب الدين الخفاجى المصرى (٩٧٧هـ ـ ١٠٦٩هـ)، تصحيح وتعليق: محمد عبدالمنعم خفاجى، مكتبة الحرم الحسينى التجارية، ط١، (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م). ويعود اختيارنا لهذا الكتاب إلى أنه يتسم بسمة خاصة تميزه، وهى أنه يجمع بين المعرب والمولد والدخيل والعامى، إضافة إلى كثرة الألفاظ العامية به. وبالكتاب

عدة (عاميات)، ففيه من عامية أهل الشام، وعامية المغرب، وعامية العراق... وعامية أهل مصر، التى رأينا أن يكون بحثنا مقصوراً عليها؛ لما لها من شيوع فى الكتاب، بخلاف ما يناظرها من عاميات. ويضاف إلى هذا أن حظ العامية المصرية من الفهم والإدراك والانتشار فى الأقطار الأخرى أكبر من حظ غيرها من العاميات بين غير أبنائها.

ويتبع هذا البحث المنهج ا لوصفى القائم على بيان دلالة اللفظ، وتحليل تلك الدلالة، وتأصيل اللفظ بإرجاعه إلى أصوله الفصيحة أو الأعجمية، وإظهار ما طرأ عليه من تغير صوتى أو دلالى أو غيرهما.

وقد تنوعت مراجع هذه الدراسة، فمنها ما تعلق بالألفاظ العامية، مثل: (معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية)، و(معجم عطية فى العامى والدخيل)، و(الدليل إلى معرفة العامى والدخيل)، و(معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية)، و(المحكم فى أصول الكلمات العامية)، ومنها كتب المعربات، نحو: (المعرب من الكلام الأعجمى، و(الألفاظ الفارسية المعربة)، و(تفسير الألفاظ الدخيلة)، ومنها كذلك كتب لحن العامة. ويضاف إلى هذا المعاجم العربية العامة، وكتب الأمثال، والدواوين، إلى غير ذلك من المراجع.

وتجى هذه الدراسة فى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

وفى المقدمة بيان لعلاقة العامية بالفصحى أو بغيرها من اللغات، وأشهر من انبرى للدفاع عن العامية وما يجرى على ألسنة العوام، وأهم مؤلفات (لحن العامة)، وكذا التى شُغلت بقضية اللحن. وفى المقدمة أيضاً توضيح لأهداف البحث وعلة اختياره ومنهجه.

ويقع المبحث الأول، وعنوانه: (الإنسان: مأكله وملبسه وحياته)، فى محورين: أولهما: (الألفاظ الدالة على المأكل والملبس)، وثانيهما: (الألفاظ الدالة على الإنسان: حياته وصفاته وتعاملاته ونطقه).

أما المبحث الثانى فهو بعنوان (الوظائف والصفات والأماكن والكائنات والأدوات والآلات)، وفيه ثلاثة محاور: الأول: (الألفاظ الدالة على الألقاب والحرف والصفات والاستحسان والاستهجان والهواجس)، والثانى: (الألفاظ الدالة على الأماكن والحيوانات والطيور والحشرات وصفاتها)، والثالث: (الألفاظ الدالة على الأوانى والأدوات والآلات والأغطية والدواء).

وأما المبحث الثالث فعنوانه: (التراكيب والكلمات المنحوتة والأفعال)، وفيه محوران: الأول: (التراكيب والكلمات المنحوتة)، والثانى: (الأفعال والأسماء الدالة على الأفعال).

وفى الخاتمة تلخيص لأهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

وبعد:

فهذا هو جهدنا، وذاك هو عملنا، وغايتنا أن نكون قد أصبنا فيما أقدمنا عليه. وحسب هذه الدراسة إن لم يكن لها نصيب من المدح ألا يكون لها حظ من القَدْح.

د. فتح الله سليمان

المبحث الأول

الإنسان: مأكله وملبسه وحياته

المحور الأول

الألفاظ الدالة على المأكل والملبس

١ ـ **جُرْمُوق**: معرب سَرْمُوزَهْ، ومثله موق. وهما عند الجوهرى ما لُبِسَ فوق الخُف وقاية له، وقيل المُوق ما يلبس فوق الخف، والجرموق ما يلبس فوقه. ولم يستند قائله إلى نقل يؤيده، والعامة عربته فقالوا: سرموجه. ش/٩٣[١].

سرموزه: نعل معروفة، فارسية، معناها رأس الخف. والعامة تقول سرموجه. ش/١٥٥.

أما السرموج فهو «نوع من الأحذية، تعريب سَرموزه، وهو مركب من سَرْ، أى فوق، ومن مُوزَه، أى الخُف. والسرموجه والسَّرمُوزه والسرموز لغات فيه»[١]. والجُرمُوق هو «ما يلبس فوق الخف لحفظه من الطين»[٣]. وكذا «المُوق» الذى يلبس فوق الخف، فارسى معرب»[٤].

وقد حرفت العامة (سرموزه) إلى سرموجةْ، التى حُرفت إلى (صرما)، وهو نوع من الأحذية، ويطلق عليه أهل الشام (سرمايةْ). ويرى البعض أن (صرما)، فى العامية المصرية، أو (سرمايةْ) فى العامية الشامية (محرفة عن صِرم، بكسر الصاد، وهو الخُف المنتعل، معربة عن (چرم) الفارسية، أى جلد»[٤]، ومنه (چرمى)، ويعنى المصنوع من الجلد.

٢ ـ «**دشيش**: بمعنى حَب، كالبُر يطحن غليظاً. قال الزُّبيدى خطأ والصواب جريش أو جشيش، من جَشَّه وجَرَشَه إذا طحنه، كالهَرْس. قلت:

حكى ثعلب فى المجالس: جشَشتُ الحِنطة ودشَشتُها. فعلى هذا قول العامة دَشيش صحيح». ش/١٢٦.

ـ قيل إن الدَّشيشة «لغة في الجَشيشة، وقال الأزهرى: ليست بلغة ولكنها لُكْنة؛ وروى عن أبى الوليد بن طَخْفة الغِفارى قال: كان أبى من أصحاب الصُّفَّة،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأمر الرجل يأخذ بيد الرجلين حتى بقيت خامس خمسة، فقال رسول الله (ص): انطلقوا، فانطلقنا معه إلى بيت عائشة، فقال: يا عائشة أطعمينا، فجاءت بدَشيشة، فأكلنا.. فدل هذا الحديث على أن الدَّشيشة لغة فى الجَشيشة»[١].

والدَّشيشة طعام يصنع من الأرز واللبن، «وهى الجَشيشة بمعنى مجشوشة، من جَشَّ إذا كسر، والدال رديئة»[٢]. وقال بعضهم إن «الصواب (جشيش) بالجيم، يقال: جَشَشْتُ البُر أجُشُّهُ جَشًّا، فهو مجشوش وجشيش... والجَرِيش مثل الجَشيش»[٣].

وقد تكون الدَّشيشة محرفة عن الجَشيشة، بقلب الجيم دالاً، وهى من السمات الصوتية عند أهل الصعيد، إذ يقولون: الديش، والدبل، ويعنون، الجيش، والجبل.

٣ ـ رز. ش/٤٥.

الأرز من الحبوب، وفيه ثمانى لغات: فهو «كَأَشُدٍّ، وعُتُلٍ، وقُفْلٍ، وطُنُبٍ، ورُزٌّ، ورُنْزٌ، وآرُزٌ ككابُل، وأَرُزٌّ كعَضُدٍ»[١].ففى الأرز من اللغات ما يلى:

أَرُزٌّ. أُرُزٌّ، أُرْزٌ، أُرُزٌ. رُزٌّ. رُنْزٌ. آرُزٌ. أَرُزٌ، «والرُّزُّ بالضم: لغــة فى الأُرْز»[٢]، فالنطق العامى للكلمة هو إحدى اللغات فيها. وينطق بعض أهل المدن الساحلية الكلمة بكسر الراء.

٤ ـ «**زرْبُول**: لما يلبس فى الرِّجل، عامية مبتذلة. والعامة تزيد فى تحريفه فتبدل لامه نونا». ش/١٤٢.

ـ الزربول: حذاء، وقد تبدل لامه نوناً، فيقال: زربون، والكلمة أصلها يونانى: سربولون[١]. وإبدال اللام نوناً ـ وكلاهما مجهور ـ شائع فى العامية، فنراهم يقولون: (إسماعين) فى (إسماعيل)، و(برتقان) فى (برتقال). وقد ورد عن العرب ألفاظ عديدة تروى باللام والنون[٢] نحو:

عُنوان وعُلوان، وإسرائيل وإسرائين، وميكائيل وميكائين، وجبريل وجبرين، وخامل الذِّكر وخامن الذِّكر.

وقد اشتقت العامة من الكلمة فعلاً، فقالوا: يزربن، أى يغضب ويثور، وقالوا أيضاً: (فلان طلَّع زرابين فلان)، أى أغضبه وأثاره.

٥ ـ **عبدلى**: نوع من البطيخ... منسوب لعبدالله بن طاهر، فإنه الذى دخل به إلى مصر... والعامة تغلط فيه وتقول عبداللاوى. ش/١٨٣.

ـ وعَبْدلى: «نبات من الفصيلة القرعية، وهو المعروف باسم (عبدلاوى)، نسبة إلى عبدالله بن طاهر والى مصر للمأمون»[١]، وعبدالله بن طاهر (١٨٢ ـ ٢٣٠هـ) هو أحد الولاة فى العصر العباسى. وقول العامة (عبدلاوى) إنما هو تحريف عبدلى[٢].

٦ ـ **عجة**: اسم للبيض الذى يقلى بسمن. ش/١٩٠.

العُجَّة: نوع من الطعام يتكون من البيض والمقدونس ويقلى بالزيت، وينطقها العوام بكسر العين.

واختلف فى أصل الكلمة، فقال البعض إنها «لغة شامية»[١]، ورجح آخرون أن يكون اللفظ مولداً[٢]، ورأى فريق أن اللفظ (عجة) من العبرية[٣].

ويقول أبو طالب المأمونى (ت ٣٨٣هـ)[٤]:

عندى للضيف عجةٌ ش رقت بدهنها فهى أعجبُ العجبِ

قد عضَّت النار وجهها فغدتْ كياسمينَ بالورد منتقبِ

وترجع علة نطق العامة للكلمة بكسر العين إلى السهولة والخفة فى الكسر، بخلاف ما يكون عند الضم.

٧ ـ **فلفل**: بكسر الفاءين، تقوله العامة، والصواب ضمهما. وعن كراع وابن درستويه جوازه، لكن الضم أعرف. ش/١٩٧.

وقد اخُتلف فى جواز قول العامة (فِلفِل)، بالكسر، فبينما قال ابن السكيت إنك يجب أن «تقول: فُلْفُل، ولا تقل الفِلْفِل»[١]، وكذا ابن قتيبة الذى أورد لفظ (الفلفل) فى (باب ما جاء مضموماً والعامة تكسره)[٢]، فإن الصفدى أجاز الكلمة بالكسر؛ إذ قال «يقولون: فِلْفِل وفُلْفُل، بالكسر والضم، وليس ذلك بمنكر. إلا أن الضم أعلى وأفصح»[٣]. ونقل عنه ذلك بنصه ابن مكى الصقلى فى (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان)[٤]. وعند صاحب (القاموس المحيط) ترد الكلمة بالضم والكسر، إذ يقول: «والفلفل: كهُدْهُد، وزِبْرِج: حَب هندى..»[٥].

وقيل إن كلمة (فلفل) أصلها فارسى (پِلْپِل)[٦]، ورأى آخرون أن اللفظ «هندى، حيث منشأ هذا النبات الذى حَبه شديد الحرافة»[٧].

وثمة تشابه صوتى فى نطق الكلمة فى كثير من اللغات؛ فهى فى الإنجليزية Pepper، وفى الفرنسية Poivre، وفى اللاتينية Piper، وفى الإيطالية Pepe.

٨ ـ **قَرِيش: ورَش**: ضرب من الجُبن، والعامة تقول قَرِيشة. ش/٢٧٢.

ـ الجُبن القريش: نوع من الجِبْن يتسم بالتماسك وقلة الدسم، و«جُبْنٌ قَرِيشٌ، كأمير، أي يابس شديد»[١].

وقد يكون (القريش) محرفاً عن (القريس)، إذ يقال «لبن قارسٌ وقريسٌ للجامد من البرد»[٢]، ويجوز أن يكون من قَرَش قَرْشاً، أي ضمَّ الشيء وجمعه، فتكون (قَريش) فعيلاً بمعنى مفعول.

٩ ـ **قطايف**: لنوع مما يؤكل. صحيح على التشبيه، لأن القطيفة دثار مخمل. ش/٢٠٧.

ـ القطائف: نوع من الحلوى، وهي عبارة عن «رقائق من عجين البر مقوَّسة كالأهِلَّة، صغيرة، تحشى بالبندق وأشباهه، وتقلى في السمن أو الزيت وتحلَّى بالسكر، ويكثر صنعها في شهر رمضان»[١]. والقطائف جمع قطيفة، وهي في الأصل «دثارٌ مُخْمَل.. ومنه القطائف التي تؤكل»[٢]. وقيل: إن القطائف المأكولة «لا تعرفها العرب، أو قيل لها ذلك لما عليها من نحو خَمْل القطائف الملبوسة»[٣].

ـ ١٠ ـ **قنبيط**: قال أبو منصور: هو نبطي. ش/٢٠٦.

القنبيط: نبات من الفصيلة الصليبية، وهو «أغلظ أنواع الكرنب.. وهو القَرْنَبيط بلغة مصر»[١]، وواحدة القُنَّبيط: «قُنَّبيطة. وهذا البناء ليس من أبنية العرب، لأنه ليس في كلامهم فُعَّلِيل»[٢]. وقد ورد عن البعض أنه نبطي[٣]، وقال آخرون إنه مأخوذ من اليونانية[٤]. وينطق العوام (القنبيط)، بفتح القاف، وقلب النون الأولى راءً، فتصير (القَرْنبيط).

١١ ـ **لوبيا**، يمد ويقصر، ويقال: لوبياج: حب معروف معرب. ش/٢٣٢.

ـ يقول العوام: (لُوبيَا)، وهى «بقلة زراعية حولية من الفصيلة القرنية (الفراشية)، أصنافها الزراعية كثيرة»(١). وهذا النبت يقال له: (اللُّوباء)، و(اللُّوبِيَاء)، و(اللُّوبيا)، و(اللُّوبِيَاج)، وهو مذكر، «وقال الفراء: هو اللوبِياء، والجودِياء، والبورِياء: كلها على فُوعِلاء، قال: وهذه كلها أعجمية»(٢).

وورد فى القاموس المحيط أن «الدَّجَر، مثلثة: اللوبياء، كالدُّجُر»(٣)، وفيه أيضاً: «الحَنْبَل...: اللوبياء»(٤)، والثَّامر كذلك: اللوبياء.

واختلف فى أصل كلمة (لوبيا)، فبينما ذهب البعض إلى أنها يونانية(٥) (Louvi)، قال آخرون: «إن منشأ هذا النبات بلاد الهند، فيكون اسمه «هنديا»(٦). وعند غيرهم أن الكلمة «تعريب» لُوبيَة، وفيها لغات بالفارسية، منها: لَوْيِيا، ولوبا، ولووبا... (و) أنها مأخوذة من الآرامى، ويقربها اليونانى»(٧).

١٢ ـ **مقدونس**، بالقاف: معرب معدنوز، عربه المولدون. بَقْلة معروفة. ش/٢٣٥.

ـ المقدونس: نبت من الفصيلة الخيمية، ذو رائحة طيبة، وينطقه العوام (بقدونس)، بإبدال الميم باءً. وهو يشبه الكرفس، أو هو نوع منه. وقيل هو الكرفس المقدونى، نسبة إلى مقدونيا. والكلمة (المقدونس) يونانية الأصل.(١).

وثمة كلمات عديدة فى العربية تتعاقب فيها الميم والباء، إذ «يقال للعجوز: قَحْمَة وقَحْبَة، وكذلك لكل مُسِنَّة... وقال اللحيانى: هو يرمى من كَثَب ومن كَثَم، أى من قرب وتمكن... والعَجْم والعَجْب: أصل الذَّنَب...

ويقال: أصابتنا أَزْمَة وأَزْبَة»(٢) . وقيل أيضاً إن بَكة من أسماء مَكة، البلد الحرام، بتعاقب الباء والميم.

١٣ ـ **مُلوخيا**: نوع من البقول، يعمل منه طعام معروف... ولم تكن معروفة قديماً. وحدثت بعد سنة ثلثمائة وستين من الهجرة، وسببها أن المعز باني القاهرة لما دخل مصر لم يوافقه هواؤها، وأصابه يبس في مزاجه، فدبر له الأطباء قانوناً من العلاج منه هذا الغذاء، فوجد له نفعاً عظيماً في التبريد والترطيب، وعوفي من مرضه فتبرك بها وأكثر هو وأتباعه من أكلها، وسموها ملوكية، فحرفتها العامة وقالت ملوخيا. ش/٢٥٦.

ـ الملوخية: نبات سنوي من الفصيلة الزيزفونية، أو من فصيلة الخبازيات، يُطهى ورقه. والملوخية (أو الملوخيا) كلمة يونانية Malachê (مالاخِه)(١) . وقيل إنها من فصيلة الخبازيات، والخُبَّازى «منه بستاني يقال له الملوكية»(٢)، وقيل: «الخبازى نوع من الملوخية، وهي الملوكية، وقيل: الملوخية هي البستاني»(٣).

ويروى أن الحاكم بأمر الله (٣٧٥هـ ـ ٤١١هـ) ـ وكان شخصية غريبة. نهى عن بيعها.

١٤ ـ **نرجس**: النرجسية طعام من البيض. ش/ ٢٦١.

ـ النرجسية: طعام يجعل فيه البيض عيوناً ويزين بالفستق واللوز. والنرجس كلمة «فارسية (نَرْكس)، وفي اليونانية Narkissas، وهو جنس من الرياحين زهره أصفر وله ستون نوعا»(١). وقد قالوا إنه لا يجيء في أصل من أصول الأبنية العربية كلمة فيها نون بعدها راء، مثل (نرجس).

* * * *

الهوامش

١ - جَرْمُوق

١ ـ نظر لكثرة الرجوع إلى كتاب (شفاء الغليل) فإن البحث سيشير إليه بالحرف (ش)، يليه رقم الصفحة بالكتاب.

٢ ـ الألفاظ الفارسية المعربة. ص ٩٠.

٣ ـ السابق. ص٤٠.

٤ ـ الصحاح: موق: ٤/١٥٥٧.

٢ - دشيش

١ ـ لسان العرب: دشش. ص ١٣٧٦، وانظر: الفائق فى غريب الحديث: ١/٤٢٥. وأهل الصفة: «هم فقراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه».

لسان العرب: صفف ص ٢٤٦٣.

٢ ـ ذيل فصيح ثعلب. ص ١٩.

٣ ـ لحن العوام للزبيدى. ص ٧٧.

٣ - رَز

١ ـ القاموس المحيط: أرز . ص ٦٤٥، وانظر: تاج العروس: أرز: ٨/٦.

٢ ـ الصحاح: رزز: ٣/٨٧٩.

٤ ـ زربول

١ ـ انظر: الدخيل فى اللغة العربية.ص ٤٠ .

٢ ـ انظر: المزهر: ٢/٥٦٥ .

٥ ـ عبدلي

١ ـ المعجم الوسيط: عبد. ص ٥٨٠ .

٢ ـ انظر: المحكم فى أصول الكلمات العامية. ص ١٥٠ .

٦ ـ عجّة

١ ـ تاج العروس: عجج: ٤/٤٢٨ .

٢ ـ الصحاح: عجج : ١ /٣٢٧.

٣ ـ انظر: الدخيل فى اللغة العربية. ص ٦٩ .

٤ ـ انظر: يتيمة الدهر: ٤/٢٠٩ .

٧ ـ فلفل

١ ـ إصلاح المنطق. ص ١٦٦ .

٢ ـ أدب الكاتب. ص ٣٩٥ .

٣ ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف. ص ٤٠٨ .

٤ ـ انظر: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان. ص ٢٢٨ .

٥ ـ القاموس المحيط: فلفل. ص ١٣٤٩ . والزبرج: الزينة، والذهب.

٦ ـ انظر: الألفاظ الفارسية المعربة. ص ١٢١ ، وغرائب اللغة العربية. ص ٢٤٠ .

٧ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة. ص ٥٣.

٨ ـ قريش

١ ـ تاج العروس: قرش: ٩/١٧١.

٢ ـ ذيل فصيح ثعلب. ص ٢٦.

٩ ـ قطايف

١ ـ المعجم الوسيط: قطف. ص ٧٤٧.

٢ ـ الصحاح: قطف: ٤/١٤١٧.

٣ ـ تاج العروس: قطف: ١٢/٤٣٨.

١٠ ـ قنبيط

١ ـ تاج العروس: قنبط. ١٠/٣٩٢.

٢ ـ لحن العوام للزبيدى. ص ٣٤٠.

٣ ـ انظر: المصباح المنير: قنبط. ص ١٩٧.

٤ ـ انظر: غرائب اللغة العربية. ص ٢٦٦.

١١ ـ لوبيا

١ ـ المعجم الوسيط: لوب. ص ٨٤٤.

٢ ـ تاج العروس: لوب: ٢/٤١٠، وانظر: لسان العرب: لوب. ص ٤٠٩٢.

٣ ـ القاموس المحيط: دجر. ص ٥٠٠.

٤ ـ السابق: حنبل. ص ١٢٧٧ .

٥ ـ انظر: غرائب اللغة العربية. ص ٢٦٩ .

٦ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية. ص ٦٧ .

٧ ـ الألفاظ الفارسية المعربة. ص ١٤٢ .

١٢ ـ مقدونس

١ ـ انظر: غرائب اللغة العربية. ص ٢١٥، ومعجم تيمور الكبير: ٢/٢٠٣، والمعتمد فى الأدوية المفردة. ص ٥٠٤ .

٢ ـ أمالى القالى: ٢/٥٢، وانظر: المزهر: ١/٤٦٣ .

١٣ ـ ملوخيا

١ ـ انظر: تفسير الألفاظ الدخيلة. ص ٧٠، وغرائب اللغة العربية. ص ٢٧٠، والموجز فى الطب (هامش). ص ١٠٥ .

٢ ـ المعتمد فى الأدوية المفردة. ص ١١٥ .

٣ ـ السابق: ص ١١٦ .

١٤ ـ نرجسية

١ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة. ص ٧٣، وانظر: الألفاظ الفارسية المعربة. ص ١٥١ .

* * * *

المحور الثانى

الألفاظ الدالة على الإنسان: حياته وصفاته وتعاملاته ونطقه

١ ـ **أغانىّ**: جمع أغنيّة، وهى ما يتغنى به من الأصوات، والعامة تستعمله لبيت مرتفع معروف عندهم.. وكأنه سُمى به لجلوس القيان المغنيات فيه، إلا أنه عامى مرذول. ش/٤١.

و«المَغْنَى» المنزل الذى غَنِيَ به أهلُه ثم ظَعَنُوا، أو عام»[١]، وهو من قولهم «غَنِيَ به أى عاش، وغَنِيَ القوم بالدار غِنىً: أقاموا. وغَنِيَ بالمكان: أقام.. قال الله عز وجل ﴿كأن لم يَغْنَوا فيها﴾[٢]، أى لم يقيموا فيها.. والمغانى: المنازل التى كان بها أهلوها، وأحدها مَغْنىً»[٣].

و«الأغنيَّة، كأثفيَّة ويخفف ويكسران: نوع من الغناء»[٤]، وجمع أغنيَّة، مشددة: أغانىّ، وأما أغنيَة، بالتخفيف فجمعها أغانٍ، والأغنيَّة: الأغنيَة.

ويجوز أن يكون استعمال العامة كلمة (الأغانى) للبيوت قد جاء من الخلط بين المَغْنَى والغناء، فالمَغْنَى فى الفصحى: المنزل، وفى العامية: الغِناء، وهو التطريب. ويتصل الغناء بالأغنية إذ لا تطريب بلا أغنية. فاستعمل العامة كلمة (الأغانى) ظناً منهم أنها ترادف المغانى، لأن المَغْنَى ـ وهو مفرد المغانى فى الفصحى ويعنى المنزل ـ له دلالة أخرى مخالفة فى العامية؛ إذ يعنى الغناء الذى يرتبط بالأغنية.

٢ ـ **بدرى**: أهل مصر تستعمله لأول كل شىء، حتى الوقت والفاكهة. والذى ذكره الصاغانى فى الذيل والصلة أنه يقال: غيث بدرى،

لما كـان قبل الشـتـاء، وفـصـيل بدرى سـمين. وقـال الفـراء: أول النتـاج: البدرية، ثم الربعية، ثم الدفئية. ش/٧٦.

وقول العامـة (بدرى) مأخـوذ من البـدرى، وهو «من الغيث: ما كـان قبيل الشتاء لمبادرته. والبدرى من الفصلان: السمين. قال الفراء: أول النتاج: البَدْرِيَّة، ثم الرِّبْعيَّة، ثم الدَّفَئِيَّة»[١] ويقـال أيضاً ناقـة بَدْرِيَّة، وهى التى «بَدَرَتْ أمُّها الإبلَ، فى النتاج، فجاءت بها فى أول الزمان»[٢]. وقيل إن قولهم فى العامية (بدرى) إنما هو «من البَدْرِى، وهو من شهد بدرا»[٣].

وتستعمل كلمة (بدرى) بمعنى «مبكِّر، وضده: وَخْرى، أى متأخر. ومنه بدرى، وبدرية: للحمل والأنثى منه، والجمع: بدارى أو بَدَارة»[٤]. ويقال كذلك: «فراخ بدارة، واحدتها: بدرية، للتى استحقت الذبح»[٥].

٣ ـ البـوز: الفم. عـاميـة.. ويطلقـونهـا فى الأكثـر على فم الكلب ونحوه. ش/ ١٨٠.

ويستخدم العوام كلمة (البوز) بمعنى (الفم)، وأكثر ما تستعمل فى مواطن التعبير عن الغضب والاستياء والحزن. والكلمة دخيلة على العربية.

وقد وردت الكلمة فى بعض كتابات القدماء، إذ جاء فى كتاب (تفضيل الكلاب على كثيرممن لبس الثياب) لابن المرزبان (ت ٣٠٩هـ): أن رجلاً ترك ولده مع الكلب فى الدار «وخرج لبعض الحوائج، وعاد بعد ساعة، فرأى الكلب فى الدهليز وهو ملوث بالدم: وجهه وبوزه كله»[١]. وورد فى (معجم الأدباء)، لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ)، عن أحدهم أنه كان «يتحدث ويقول ببوزه كذا»[٢].

واختلف في أصل كلمة (بوز)؛ فذهب بعضهم إلى أن اللفظ فارسى «بمعنى الفم، معرب عن پوز، وهو يطلق على فم الحيوانات»[٣]، ويعنى كذلك «الشَّفة أو الفم وما حولهما. منقار الطائر. خرطوم البهائم»[٤]. وقال آخرون إن الكلمة مأخوذة «من الإيطالية Muso أى فم الحيوان، ويطلق تهكماً على فم الإنسان، وهو الخَطْم»[٥]، والخَطْم مُقَدَّم الأنف، أو الأنف، وهو من الطائر منقاره. واشتقت العامية من (البوز)، فقيل: بَوَّز، ومبوِّز، والتبويز.

٤ ـ تَنْبَل: هو الأبله. ش/١٥٣.

التَّنْبَل «كجعفر: البليد الثقيل الوَخِمُ، لغة عامية»[١]، و«التِّنْبَال والتَّنْبَل والتِّنْبَالة: الرَّجُل القصير، رباعى على مذهب سيبويه، لأن التاء لا تزاد أولاً إلا بِثَبَت، وكذلك النون لا تزاد ثانية إلا بذلك، وعند ثعلب ثلاثى، وذهب إلى زيادة التاء، ويشتقه من النَّبَل الذى هو الصِّغَر»[٢].

ويقول كعب بن زهير فى قصيدته «بانت سعاد»:

يمشون مشىَ الجمال الزُّهر يعصمُهم   ضربٌ إذا عَرَّدَ السودُ التنابيلُ

(الزهر: البيض. يعصمهم: يحميهم. عَرَّدَ: هرب. التنابيل: القصار. ويروى: غَرَّدَ، بدل عَرَّدَ).

وزعم بعضهم أن لفظ (تنبل) فارسى «معرب عن تَنْبُول، وهو تصحيف تَنْ پَرْوَر، ومعناه المربى لحمه، ويقال للكسلان البليد السمين غير القادر أن يتحرك من مكانه»[٣]. وفى الفارسية: تنبل، وتعنى الكسول البليد.

وقد يكون (تنبل) عربياً، من «طَنْبَلَ الرجل.. أى تحامَق بعد تعاقُل... (و) الطَّنْبَل كجعفر: هو البليد الأحمق الوخم الثقيل»[٤].

وقد دخلت الكلمة اللغة التركية، «وتنطق النون قريبة من الميم لوقوعها بين التاء والباء... وقد كتبت كما نطقت فى التركية الحديثة وهى Tembel»[٥].

ووردت كلمة (التنبل) فى القصيدة الساسانية التى أولها[٦]:

جُفونٌ دمعها يجرى   لطول الصدِّ والهجرِ

حيث جاء بها:

إلى أن يقع التنبـــــل فى محصدة الجــزرِ

٥ ـ **جبين**: اسم لكل من جانبى الجبهة، والعامة تستعمله بمعنى الجبهة، وعليه قول المتنبى:

وخَلِّ زِيًّا لمن يُحققه   ما كُل دامٍ جبينُهُ عابدٌ[١]

قاله الكندى. قلت ليس الأمر كما زعم، فإن عنترة قال فى قصيدة له:

يقينى بالجبين ومَنكبيهِ   وأنصرهُ بمطَّردِ الكعوبِ[٢]

قال عاصم فى شرحه: الجبين ما يكتنف الجبهة، وهما جبينان، والجبهة بينهما، وإنما أراد الجبهة، لأنه يتقى بها، والعلاقة المجاورة. ش/٩٥.

وثمة فرق بين الجبين والجبهة، أما الجبين فهو «فوق الصُّدْغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشِمالها»[٣]، وأما الجبهة فهى «موضع السجود من الوجه، يستعمل فى الإنسان وغيره»[٤].

وورود الجبين بمعنى الجبهة إنما يجىء بسبب المجاورة، وهو ما تحقق فى البيتين السابقين، وتستخدم العامة الجبين فيما يقولونه من أن

(المكتوب على الجبين لابد أن تراه العين)، وفى قولهم (إنه من عرق جبينى)، وهو فى الموضعين بمعنى الجبهة.

٦ ـ **الحريف**: الحاذق، ليس بلغوى، لكنه غير بعيد عن المعنى اللغوى. ش/١٠٩.

الحريف مأخوذ من الحِرْفة، وهى «الطُّعمة، والصناعة يُرتزق منها، وكل ما اشتغل الإنسان به وضَرِىَ، يسمى صَنعة وحِرفة، لأنه ينحرف إليها»(١). ويقول العوام (حَرِّيف) بمعنى الماهر فى صنعته، ويستخدم غالباً فى مجال اللعب والرياضة. ولما كان القصد من الوصف المبالغة فالصواب أن يقال حِرِّيف، بوزن فِعِّيل، كما نقول: صِدِّيق، وسِكِّير. والحِرِّيف ـ هنا ـ من الحِرفة، إما إذا كانت تعنى الطعام الذى يحرق الفم، فيقال: حِرِّيف ولا يقال حَرِّيف، من الحَرَافة، وهى حرارة الطعام فى الفم.

٧ ـ **حسنة**: بمعنى الشامة والخال، مولدة مشهورة. قال:

بخدِّه شِمتُ شامةً حُرِّقَتْ ... فقلتُ للقلبِ إذ شكى شَجَنَهْ
لاتشتكى من نار مُهجتى حَرَقَا ... فإن فى الخال أسوةً حَسَنَهْ ش/١٠٩

والحسنة «سِمة فى الجلد تحسِّن منظره»(١)، وتطلق على الخال والشامة، ويكاد اللفظان يترادفان، فالخال «شامة أو نكتة سوداء فى البدن»(٢)، والشامة «علامة فى البدن يخالف لونها لون سائره»(٣)، وهو أشيم، والأنثى شيماء. يقول البارودى فى (الخال)(٤):

تاهتْ بنقطةِ خالٍ فوق وجنتها ... زيدت بها عشرات الحسنِ أضعافا

وقال بعضهم فى سوداء مليحة:

يا رُبَّ سوداء تجلى نورها الظلمات
ماذا يعيبون فيها وكلها حسنات

وقال ابن حجلة المغربى:

قليل الحظ بالشامات أضحى فما حسناته إلا ذنوب

ويبدو أن «الحسن مشتق من الحسنة... والذى يظهر أنه لهذا المعنى قيل للشامات حسنات»(٥).

٨ ـ **خُوَّة**: مصدر بمعنى الأخوة، مخفف منه، ورد فى الحديث وصرح به الكرمانى، فليس لحناً. ش/١١٣.

والخوة: «لغة فى الأُخُوَّة، وبه روى الحديث (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لكن خُوة الإسلام). قال ابن الأثير: هكذا روى الحديث»(١). وعلى ذلك فاستعمال العامة للفظ (الخوة) استعمال صحيح.

٩ ـ **ذقن**: هى فى الأصل مجتمع اللحيين، واستعماله بمعنى اللحية من كلام المولدين. ش/١٣٢.

و«ذَقَن الإنسان: مجمع لَحْييه. وفى المثل (مُثْقَلٌ استعان بذَقَنه)، يضرب لرجل ذليل يستعين برجل آخر مثله»(١). والذقن عند العوام «ما ينبت على مجتمع اللحْيَيْن من الشَّعر.. وقال الزمخشرى، رحمه الله، فى ربيع الأبرار: إنه اللحية فى كلام النَّبَط»(٢).

وأورد الجواليقى فى باب ما جاء بالذال وهم يقولونه بالدال: الذَّقَن، فقال: «ولا يقال: دِقْن، كما يقوله العامة»(٣). وكلمة (الذَّقْن) «مصدر ذَقَنَهُ

يذقُنُه ذَقْنا، إذا ضرب ذقَنه، ومصدر ذقنه بالعصا يذقنه إذا ضربه بها»[٤].

ويستعمل العوام (الذقن) بمعنى اللحية.

١٠ ـ (زين). **يقال**: زاء بالمد، وزاى بالياء، وزِىّ بالكسر والتشديد... والعامة تقول زين بالنون. ش/١٣٨.

والزاى: أحد حروف الهجاء، وهو من أحرف الصغير، وفيه خمس لغات:

الزّاى (بالياء). الزّاء (بالمد). الزَّى (كالطَّىّ). زَىْ (ككى). زاً (منونة)[١]. وحكيت لغة أخرى: الزِّى (بكسر الزاى والتشديد)[٢].

وقد يرجع قولُ العامة: (زين) للحرف (الزاى) إلى تأثير ما بعده؛ فهم يقولون: (سين). (شين)... (عين). (غين)، فقالوا: (زين) لإحداث نوع من المجانسة فى النطق بين الحروف.

١١ ـ (الشَّبْرقة). شبارق: بمعنى مقطع معرب. يقال ثوب شبارق، ويقال: لحم شبارق... ومنه قول العامة شبرقة. ش/١٥٨.

والثوب المُشَبْرَق: المقطع الممزق يقال «ثوب مُشبرق: أُفسِدَ نسجا وسخافةً. وصار الثوب شبارق أى قطعاً... وشبرقتُ اللحم وشريقته، أى قطّعته... والشّبْرِقَة: القطعة من الثوب، والشّبارق: ألوان اللحم المطبوخة»[١].

ويقول امرؤ القيس:

فأدركنَه يأخذْن بالسَّاقِ والنَّسَا

كما شَبرقَ الوِلْدانُ ثوبَ المُقَدِّسِ[٢]

وتأتى الشبرقة فى كلام العامة بمعنى الإنفاق على شراء ما يطيب للمرء شراؤه من طعام أوشراب أو ملبس، والعلاقة بين التمزيق والإنفاق غير خافية. ويرى أحدهم أن الارتباط بين التمزيق وشراء الولد ما يمر به فى السوق يرجع «إلى ظل من الصلة على سبيل المجاز، وهو إنفاقه به الشيء، وتبديده كله وعدم الإبقاء منه على أثر»(٣).

وزعم بعضهم أن لفظ (شبارق) أصله فارسى؛ فيقال: «پارْجه پاره: ممزق مزقا؛ پارْجه (نسيج)، پاره (ممزق، بال)»(٤).

١٢ ـ **شحات**: للسائل. وسموا شحاتة بالمثلثة، صوابه شحاذ وشحاذة، من شحذ السيف صقله، شبه به المُلِحّ، قاله أبو منصور فى الذيل. ش/١٦١.

وقيل إن قولهم: (رجل شحاث) خطأ، «والصواب: رجل شحاذ، بالذال، وهو المُلحُّ فى مسألته، من قولهم: قد شَحَذَ الرجلُ السيفَ، إذا ألحَّ عليه بالتحديد، فالمُلح فى المسألة مشبه بهذا». وأيد الحريريُّ رأى محمد ابن القاسم الأنبارى السابق، حيث قال: «إن الصواب فيه شحاذ، بالذال المعجمة»(٢).

وذهب الزمخشرى إلى جواز قولهم: «رجل شحاثٌ شحاذ، وهو المُلِحُّ فى مسألته»(٣)، وأنكر الزَّبيدى أن يقال شحاث، بالثاء، «وإن صححه بعض اللغويين على جهة البدل، ونسبه الصاغانى إلى عوام العراقيين، وقال يخطئون فيه»(٤).

ونرى أن قولهم: (شحات)، بالتاء، صحيح؛ إما من طريق الترادف بين (شحت) و(شحذ)؛ إذ يقال: «شَحَتَ السكين: إذا شحذه، أثبته ابن

الأثير، وقال فى النهاية فى الحديث: (هَلُمِّى المدية، فاشحتيها بحجر، أو سُنِّيها)، ويقال بالذال»[٥]، وإما من جهة التبادل بين التاء والثاء، أو قلب الثاء تاء؛ إذ يروى الحديث السابق: (فاشحثيها بحجر) بالثاء، ومنه قولهم توم، وتعلب، وتعبان فى: ثُوم، وثَعلب، وثُعبان.

١٣ ـ **شهيد**: بكسر السين فى لسان العوام. قال فى التهذيب: قال الليث: لغة تميم بكسر الشين؛ يكسرون (فعيل) فى كل شىء كان ثانيه حرف حلق، وكذلك سُفلى مضر يقولون فعيل، وهى لغة شنعاء، والعالية النصب». ش/١٦٤.

وإذا كان الحرف الثانى من الكلمة أحد حروف الحلق، وهى: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، وكانت الكلمة بوزن (فَعيل) فإن بنى تميم يكسرون فعيلاً، فيقولون: شِهيد، «وكذلك سُفلى مُضَر يقولون فعيلا... ولغةٌ شنعاءُ يكسرون كل فعيل، والنصب اللغة العالية»[١]. وقيل: الصِّغِير، والشِّعِير، وسِعيد، وبِعيد، وبِعير، ورِغيف، وكِثير، وكِبير، وجِليل، وكِريم، ويِسير[٢]. والعوام فى مصر لا يكسرون كل (فعيل)؛ إذ يكسرون مثلاً: كبير، وسمين، ونظيف (بقلب الظاء ضاداً وكسرها)، ويفتحون نحو: حَزين، ولَطيف، وطَويل.

١٤ ـ **(الطَّرش) طرش**: معرب، وليس بعربى قديم، ولكنهم صرفوه؛ قيل هو أقل من الصمم، وقيل أقدمه وأكثره، ويقولون لصاحبه أُطَّرُوش. ش/١٧٦.

ويسترعى الانتباه أن كثيراً من المعاجم العربية لم تقطع بعربية لفظ (الطَّرَش)؛ فالجوهرى يقول: «الطَّرَش أهون الصمم، أو هو مولد»[١]، ويورد

الفيروزآبادى قول الجوهرى بنصه[٢]. أما ابن منظور فيقول: «الطَّرَش: الصَّمَمُ، وقيل أَهْوَنُ الصمم، وقيل هو مولد»[٣]. وعند الفيومى أنه «الصمم، وقيل أقل منه. وقيل ليس بعربى محض. وقيل مولد. ورجل أطرش وامرأة طَرْشاء»[٤]. وعند البعض أن (الوَقْر) «ثقل أو ذهاب السمع، فإذا زاد فهو (صمم)، فإذا زاد فهو (طرش)، فإذا زاد حتى لا يسمع الرعد فهو (صَلَخ)»[٥].

وقال بعضهم إن كلمة (الأُطْرُوش) «لا أصل لها فى العربية، وقد كثرت فى كلام العامة جداً، وصرفوا منها الفعل، فقالوا: طَرِش يطرش، وأُفْعُول بناء عربى كثير... وممن كان ينفى الأُطْرُوش عن كلام العرب أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى»[٦].

١٥ ـ **طفيلى**: التَّطْفيل: الإتيان بغير دعوة... وقال الليث: هو من كلام أهل العراق؛ يقولون: هو يتطفل فى الأعراس، قاله الواحدى. وقال المرتضى فى درره: قول العامة طُفَيلى مولد، لا يوجد فى العتيق من كلام العرب، وأصله رجل بالكوفة يقال له طُفَيل لا يقعد عن وليمة، وتقول له العرب وارش، انتهى. وفى القاموس: طُفَيل، كَزُبير، رجل كوفى يُدعى طُفيل الأعراس أو العرائس، كان يأتى الولائم بلا دعوة، ومنه الطُّفَيلى. ش/١٧٧.

ويقال: طَفَّلَ الليل: أقبل وأظل. وطفَّل علينا وتطفَّل، وهو طُفَيْليٌّ. وتقول: ما زال يُطَفِّل على الناس، حتى نسخ طُفَيلَ الأعراس؛ وهو رجل من الكوفة نُسب إليه أهل التطفيل»[١]، والطُّفَيلى: «نسبة إليه، وهو الذى يدخل الوليمة والمآدب ولم يُدع إليها. والطِّفْليل، بالكسر، الذى يدخل مع القوم فيأكل طعامهم من غير أن يُدعى... وصرفوا منه فعلاً فقالوا: قد طَفَّلَ عليه تطفيلاً وتطفَّلَ عليه»[٢].

والطُّفيلى الذى يقصد الولائم دون دعوة إنما ينسب «إلى رجل كوفى من بنى عبدالله بن غَطَفَان، كان يُدعى طُفيل الأعراس أو العرائس، واسمه طفيل بن دلال، كان يأتى الولائم دون أن يُدعى إليها، وكان يقول: (لوددت أن الكوفة كلها بِركة مُصَهْرَجَة، فلا يخفى علىّ شىء منها)»[٣]، وقد نُسب إليه الطفيليون.

١٦ ـ (الطهور والطهارة). طَهُرَ: ضد نَجِسَ، فهو طاهر، معروف. وقالوا: طَهَّر فلان ولده إذا أقام سُنة ختانه، وهو شائع ولا أراه عربياً قحا، وذكره الثعالبى فى كتاب الكناية. وفى التهذيب إنما سماه المسلمون تطهيراً؛ لأن النصارى لما تركوا سُنة الختان وغمسوا أولادهم فى ماء صُبغ بصُفرة يُصَفِّر لون المولود، قالوا هذه طهرة أولادنا التى أمرنا بها. قال الله عز وجل ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ إلخ، أى اتبعوا دين الله وفطرته وأمره، لا صبغة النصارى، فالختان هو التطهير، لا ما أحدثه النصارى من صبغة الأولاد. ش/١٧٨.

«والطُّهر: نقيض النجاسة.. والطَّهارة: اسم يقوم مقام التطهر بالماء: الاستنجاء والوضوء. والطُّهارة: فَضْل ما تطهرتَ به... وطَهَّرَ فلان ولده إذا أقام سُنة ختانه، وإنما سماه المسلمون تطهيراً، لأن النصارى لما تركوا سنة الختان غمسوا أولادهم فى ماءٍ صُبغ بصُفرة يُصَفِّر لون المولد، وقالوا: هذه طُهْرة أولادنا التى أُمرنا بها، فأنزل الله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾[البقرة: الآية ١٣٨] أى اتبعوا دين الله وفطرته وأمره لا صبغة النصارى، فالختان هو التطهير لا ما أحدثه النصارى من صبغة الأولاد»[١].

ويشيع بين العامة الطُّهور والطَّهارة بمعنى الختان للذكر والأنثى على السواء. والختان: موضع القطع من الذكر والأنثى، وقد أورد الثعالبى

(٣٥٠هـ ـ ٤٢٩هـ) فى كتابه (الكناية والتعريض) أنه كان «يكنى عن الختان بالطهر والتطهير»(٢). ويبدو أن إطلاقهم الطهارة والطهور على الختان يرجع إلى أن عملية الختان فيها تطهر، أى تخلص من الأدران ومما لا ينبغى أن يكون.

١٧ ـ **ظَرْف**: بفتح فسكون، والعامة تضمه، وهو خطأ. ش/١٨٢.

يقول العوام الظُّرْف، بالضم، ويعنون خفة الظل والكِياسة. و«ظَرْف كل شيء: وعاؤه، والظَّرْف أيضاً مصدر الظريف.. ويقولون: ظريف بيِّن الظِّرف، والصواب: الظَّرْف، بالفتح»(١). و«الظَّرْف: البراعة وذكاء القلب... وقيل: الظَّرْف: حسن العبارة... وقد ظَرُفَ ظَرْفا، ويجوز فى الشعر ظرافة. والظَّرْف: مصدر الظريف... وتظرف فلان أى تكلف الظَّرْف»(٢). وقال بعضهم: إن «الظريف مشتق من الظَّرْف، وهو الوعاء، كأنه جعل الظريف وعاءً للأدب ومكارم الأخلاق»(٣).

وأغلب الظن أن نطق العوام (الظُّرْف) بالضم، إنما جاء للتفرقة بينها وبين كلمة (الظَّرْف) بالفتح، وتعنى الوعاء.

١٨ ـ **عُرْبُون وعُرْبان**: معرب. والعرب تسميه مُسْكان، وجمعه مساكين. ش/١٨٣.

يقول العوام: العَرْبون، ويُقصد به «أن يشترى الرجل شيئاً أو يستأجره ويعطى بعض الثمن أو الأجرة، ثم يقول: إن تم العقد احتسبناه»، وإلا فهو لك ولا آخذه منك»(١). وهو العَرَبون والعُرْبون، والعُرْبان، وتسميه العرب المُسْكان، فيقال «مَسَّكه: أعطاه المُسْكان، وهو العُرْبان»(٢). وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى «عن بيع العُرْبان، وروى عن بيع المُسْكان.

قال أبوزيد: يقال أعطيته عُرْباناً أو مُسْكاناً، أى عَرَبوناً... ويقال: أعرب فى كذا وعَرَّب وعَرْبَنَ ومَسَّك، فكأنه سمى بذلك لأن فيه إعراباً لعقد البيع، أى إصلاحاً وإزالة فساد، وإمساكاً له لئلا يملكه آخر»(٣).

واختلف فى أصل الكلمة، فقال «الأصمعى: العربون: أعجمى معرب»(٤)؛ ففى اليونانية ἀρραβών: أربون، وفى العبرية עֵרָבוֹן (٥) وزعم آخرون: «أنه مشتق من التعريب الذى هو البيان، لأنه بيان للبيع»(٦). واشتق العوام من الكلمة فقالوا: عَرْبَن يُعربن، فى مثل قولهم: فلان يُعربن على كذا، أى ينوى أخذه.

١٩ ـ **عَلْوان**، بالفتح: اسم رجل. قاله ابن السِّيد فى مثلثاته، والعامة تضمه. ش/١٨٨.

وعلوان: من أسماء الرجال، ويقوله العوام بضم العين، وهو عَلوان، بالفتح(١).

٢٠ ـ **عفش**: يقوله الناس للرَّذْل الدَّنِس... وفى نوادر الأعراب: بها عُفاشة من الناس ونُخاعة ولُفاظة، يعنى من لا خير فيه. انتهى. وهُم هكذا يعنون به الأقذار والكناسة. ش/١٨٨.

ويقول العوام: (عِفِش) للقذر الدنس من الأشياء والأشخاص، ويقال «هؤلاء عُفاشة من الناس، بالضم: وهم من لا خير فيهم»(١)، وورد «فى نوادر الأعراب: به عُفاشة من الناس ونُخاعة ولُفاظة، يعنى من لا خير فيه من الناس»(٢). ويقولون كذلك: هذا عفش البيت، يعنى ما به من أثاث وغيره، والكلمة مأخوذة من الحِفْش، وهو الشىء البالى، «وقيل: الحِفْش والحَفَش: البيت الذليل القريب السَّمْك من الأرض، سُمِّى به

لضيقه، وجمعه أحفاش وحُفُوش... والحِفْش: هو البيت الصغير»(٣). فالأصل فى (العَفْش)، بمعنى الأثاث: «الحَفْش، مع إبدال الحاء عيناً»(٤)، والحاء، والعين حرفان حلقيان. ويلاحظ التطور الدلالى للكلمة بطريق الرقى، إذ تعنى الكلمة فى الأصل الشيء البالى، ودلالتها على أثاث المنزل إنما هو ارتقاء فى دلالتها.

٢١ ـ **فُشَار**: للهَذَيَان، ليس من كلام العرب، كما فى القاموس. ش/١٩٧.

ويطلق العامة على من يبالغ فى الكذب، مفتخراً ومدعياً أموراً غير حقيقية (الفَشَّار). و(الفَشْر) هو الإدعاء الكاذب، وإذا أرادوا أن يعبروا عن استنكارهم وقوع أمر معين، قالوا: فَشَر، و«إذا عرضت رأياً على أحد فلم يقبله قال لك: فَشَر. والفَشَّار، هو الذى يكذب ويغالى فى كلامه... فى السريانية: ܦܫܪ ܘܦܫܪܐ بمعنى: هَذَى. بَذَى. نَقَض. هَدَم. خَرَّب. والفشَّار: صيغة مبالغة بمعنى كذَّاب. بذَّاء. هذَّاء. وفَشْرَة من هذا بمعنى كذبة»(١). و«الفُشَار، كغُرَاب: الذى تستعمله العامة بمعنى الهَذَيان، وكذا التفشير ليس من كلام العرب، وإنما هو استعمال العامة»(٢). وذهب بعضهم إلى أن اللفظ قد يكون فارسياً مأخوذاً «من بُشُور، ومعناه النفور واللعنة»(٣).

ويرى بعضهم أن كلمة (فَشَّار) مأخوذة من (خنفشار)، وهو اسم أو لقب أطلقه الناس على رجل كان لا يُسأل عن مسألة إلا أجاب عنها، فارتاب الناس فى أمره، فاجتمع بعضهم وقالوا: نسأله عن كلمة لا وجود لها فى اللغة، فإن أجاب عنها علموا كذبه، وإن أنكرها وثقوا به، فكتب كل منهم حرفاً فى ورقة،ثم جمعوا من هذه الأحرف كلمة (خنفشار)،وهى كلمة لا معنى لها فى اللغة ولا فى الاصطلاح، فسألوه عن معناها،

فأجابهم: إنه نبات ينبت في اليمن.. وإن ابن البيطار قال عنه كذا وكذا، وإن داود الأنطاكي قال إنه يفعل كذا وكذا، ثم أورد بيتاً من الشِّعر منسوباً لشاعر، وهَمَّ بأن يذكر حديثاً وردت فيه الكلمة فقاطعوه، وقالوا: كفاك: لقد كذبتَ على الأطباء والشعراء والعرب[٤].

٢٢ ـ **قَحْبة**: بمعنى فاجرة... وإنما القُحَاب السُّعال، وكأنهم إذا أرادوا أن يكنوا عن زنت وتكسبت بالفجور قالوا: قَحَبَتْ، أي سَعَلَتْ؛ لأنها إذا أرادت أحداً يراها سعلتْ له. وقيل: القُحاب فساد في الجَوْف فرُد إلى أصله. ش/٢١٤.

ويشيع بين العامة كلمة (قَحْبة) بمعنى المُومس، أو الزانية، وقد «قيل للبغي قَحْبة؛ لأنها في الجاهلية تُؤْذِن طُلَّابها بقُحابها، وهو سُعالها. ابن سيده: القحبة: الفاجرة، وأصلها من السُّعال، أرادوا أنها تسعُل، أو تتنحنح ترمز به»[١]. وقالوا إن القَحْبة كلمة مولدة، «ويسمى أهل اليمن المرأة: القحبة، ويقولون: لا تثق بقول القحبة، ولا تغترر بطول الصحبة»[٢].

٢٣ ـ **قد**: القامة. وفي المصباح: هذا على قد كذا، يراد المساواة. انتهى. والظاهر أنه مولد. ش/٢١٢.

ويقول العوام: فلان قد فلان، أي هو مساوٍ له وند. وإذا أرادوا المبالغة قالوا: (فلان قده وقدود). والقد: القامة، ويقال: «هو حسن القد، وهذا على قد ذاك، يراد المساواة والمماثلة»[١]. وجاء في الحديث: «أُتى بالعباس يوم بدر أسيراً ولم يكن عليه ثوب، فنظر له النبي، صلى الله عليه وسلم، قميصاً فوجدوا قميص عبدالله بن أُبَي يُقَدَّد عليه فكساه إياه، أي كان الثوب على قدره وطوله»[٢].

ويروى أن ابن الجصاص (ت ٣١٥هـ) ـ وكان فيه بَلَه وغفلة ـ «دخل يوماً على الوزير ابن الفرات، فقال: عندنا كلاب يحرموننا ننام، فقال الوزير: لعلهم جراء، فقال: بل كل واحد قدى وقدك»[٣].

فقول الشهاب فيه نظر؛ فالكلمة عربية والتعبير عربى.

٢٤ ـ **قَرْنَان**، بوزن سَكْران: عامية مولدة. وأصله أنهم يكنون عن صاحبها بذى القرون، كأنهم جعلوه حيواناً لا يغار على منكحه. ش/٢١٣.

ويصف العوام من يسمح لغيره بمشاركته فى امرأته فيقولون: فلان بِقَرْنَيْن، وقد يقولون عنه إنه قُرَنى. و«القَرْنان: الديُّوث المشارَك فى قرينته لزوجته، وإنما سميت الزوجة قرينة لمقارنة الرجل إياها، وإنما سُمى القَرْنان لأنه يقرُن بها غيره، عربى صحيح حكاه كراع. وقال الأزهرى: هو نعت سوء فى الرجل الذى لا غَيرة له، وهو من كلام الحاضرة، ولم أر البوادى لفظوا به ولا عرفوه، قال شيخنا... هو من الألفاظ البالغة فى العامية والابتذال»[١]. والقَرَّان لغة فى القَرْنَان.

٢٥ ـ (اللماصَة) لمظ: بمعنى كثير الكلام، عامى مبتذلة، لم يرد فى كلام. والتلمُّظ: إخراج اللسان لمسح الشفة، واللُّماظَة: ما يبقى فى الفم بعدالأكل، ويستعار لبقية الشيء... والتلمظ: تتبع اللسان بقية الطعام فى الفم. ش/ ٢٣١، ٢٣٢.

واللَّماصَة عند العامة: الفصاحة وكثرة الكلام والمشاغبة فى الحديث، وإذا وصفوا إنساناً قالوا: إنه لِمِض. و«اللُّماظَة، بالضم: اسم لبقية الطعام فى الفم بعد الأكل... (و) بقية الشيء القليل، وهو مجاز... واللَّماظَة، بالفتح: الفصاحة وطلاقة اللسان»[١]. فاللَّماصَة ـ فى العامية ـ هى اللَّماظَة فى

الفصحى، وقد قلبت الظاء ضاداً. والضاد والظاء من أحرف الإطباق، وهى التى يرتفع اللسان ـ عند النطق بها ـ إلى الحنك الأعلى؛ فيحدث تفخيم فى نطق الحرف.

٢٦ ـ **(مسطول)** . سطل: ويقال سيطل. قال الزُّبيدى: صوابه سيطل... وأما قول العوام لآكل البنج مسطول.. فعامية مبتذلة، ولا أدرى أصلها. ش/١٤٥.

ومنها سطل إذا تعامى، ويقال للأعمى. ومنه قول أهل مصر لآكل الحشيش مسطول. ش/١٥٣.

واختلف فى جواز قولهم (سَطْل)؛ إذ بينما ذكر الزُّبيدى أنهم يقولون للإناء: سَطْل، «والصواب: سَيْطَل، على مثال فَيْعَل»[١]، أورد الجوهرى أن «السَّطْل معروف، والسَّيْطل مثله»[٢]، وقال صاحب اللسان إن «السَّيْطل: الطُّسَيْسَة الصغيرة... والسَّطْل مثله... والجمع سُطُول، عربى صحيح، والسيطل لغة فيه»[٣].

ويقول العامة لمن غاب عن الوعى من أثر تعاطى المخدرات: مسطول، كما يقولونها لمن فقد انتباهه وتركيزه، مجازاً.

وجاء فى تاج العروس: «سطله الدواء سَطلا: أسكره لغة عامية»[٤]. وورد فى محيط المحيط للبستانى: انسطل الرجل: سَكِرَ. ويبدو أن الفعل (انسطل) مأخوذ من كلمة (سَطْل)، إذ يقول الشاعر المصرى ناصر الدين ابن النقيب المعروف بالفُقَيسى (ت ٦٨٧هـ):

أبلّم قلدوه أمرَ الرعايا ... وهو من حلية الوزارة عُطْلُ

فهو بالبوق فى الوزارة طبلٌ ... وهو فى الدست حين يجلس سَطْلُ[٥]

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن كلمة مسطول «أصلها مستور؛ لأن الحشيشة تستر عقل أكلها، ويؤيد ذلك استعمال العامة كلمة (مخدّر)، اسم مفعول، وصفاً بهذا المعنى، ولا يخفى أن الخدر والستر بمعنى واحد، فيكونون بذلك قد أبدلوا التاء طاء، والراء لاماً لقرب المخرجين»(٦)، ونرى أن هذا الرأى فيه تعسف فى التأويل؛ إذ لا حاجة إلى الاجتهاد فى التحليل فى وجود ما يؤيد اشتقاق كلمة (مسطول) ودلالتها على السُّكْر.

٢٧ ـ **(المعلوم)**. معلومِ... العطية ونحوها. ش/٢٥٧.

و(المعلوم) فى كلام العامة: الأجرة أو الهبة النقدية التى تُعطى للآخرين. وقد يطلق (المعلوم) على ما يدفع بغير الإطار الشرعى لإنجاز أمر معين. و(معلوم) مفعول من قولنا «علمت الشىء أعلمه علماً: عرفته»(١)، فكأن هذه العطية معروفة ومحددة ومتفق عليها، ويرتبط بهذا أن العوام لا يستخدمون الكلمة إلا معرَّفة بأل. وقد تكون الكلمة من باب إطلاق اللفظ وإرادة ضده، إذ إن مقدار ما يعطى ليس محدداً سلفاً وقيمته غير معروفة مقدماً، وإنما يعود الأمر إلى مَنْ يَدْفع.

٢٨ ـ **مفترٍ**: كذاب، ولابس الفروة أيضاً. ش/٢٤٨.

المفترى ـ عند العامة ـ من يتجاوز الحد، بالكذب، أو الظلم، أو البَطَر، أو نحو ذلك. والمفترى: مختلق الكذب؛ يقال «افترى الكذب يفتريه: اختلقه . وفى التنزيل العزيز ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [يونس: ٣٨]، أى اختلقه.

والعلاقة بين المعنيين: الفصيح والعامى تكمن فى التجاوز والتعدى، فالمفترى ـ فى الفصحى ـ يجافى الصدق ويتعداه إلى الكذب والاختلاق، والمفترِى ـ فى العامية ـ يتعدى بأفعاله وأقواله إلى ما لا ينبغى أن يكون، ففى معنى اللفظ فى العامية ما فى المعنى الفصيح وزيادة.

و(المفترى) أيضاً لابس الفرو، اسم فاعل من افترى فَرْواً، أى لبسه.

٢٩ ـ **مهول**: صوابه هائل... وقول العامة لأمر عظيم: مهول لا وجه له، والصواب: هائل. ش/٢٥٧.

ويستخدم العوام كلمة (مَهُول) بمعنى مفزع، أو مخيف، أو عظيم؛ فيقولون مثلاً: حريق مهول، أو حادثة مهولة، والصواب هائل؛ إذ «يقال: هالنى الشيءُ يَهُولنى هَوْلا، إذ أفزعك، فهو هائل، والهَوْل: المخافة من الأمر»(١).

٣٠ ـ **(وصل)** وصول، بصيغة المصدر: بطاقة تعطى لرب الدَّيْن ونحوه، وهو معروف به الآن، وهو تجوز؛ لأنه يتوصل بها، لكنها مولدة عامية لم يستعملها متقدم ولا متأخر. ش/٢٧٦.

والوصل، عند العامة: سَنَد أو ورقة تثبت دَيْناً أو تُظهر سداده، أو تُوضح دفع أجرة معلومة متفق عليها. والوَصْل، فى اللغة: مصدر وَصَلَ الشيء بالشيء، ومصدر وَصَلَ رحمه، والوَصْل أيضاً: خلاف الفصل، وهو ضد الهجران. والوَصْل كذلك: المِثْل.

ويقال: «أعطاه وَصْلاً أى صلةً وهِبَةً. كأنه ما يتصل به أو يتَوصل فى معاشه... والوَصْل: الرسالة ترسلها إلى صاحبك، حجازية، والجمع الوصول... والوصل: وَصْل الثوب والخُفِّ»(١).

ونرى أن بين معنى الوصل فى العامية ومعناه فى الفصحى صلة؛ من حيث الدلالة على عدم القطع أو الهجر، فحصول كل طرف على حقه من شأنه أن يديم الصلة ولا يقطعها. وقد يكون المعنى من دلالة الكلمة على (المِثْل)؛ فالورقة (أو السند) إنما تساوى ما دُفع من مال، أو ما أخذ من متاع، أو ما بيع من عقار ونحوه.

ويرادف (الوصل) عند العامة (الإيصال)، وهو لفظ مجمعى.

٣١ ـ وَصِيٌّ: للذكر والأنثى، وكذا عالِم، وأمير، ووكيل؛ لكثرته في الرجال أجرى على الأصل.. وليس هذا بخطأ أن يقال وصية، ووكيلة بالتأنيث. ش/٢٧٢.

ويشيع في الاستعمال إلحاق تاء التأنيث في أسماء الوظائف والمهن التي للمؤنثة، فيقال: وزيرة، ومديرة، وعميدة. وقد حكى ابن السكيت في (المقصور والممدود) أن العرب تقول «عاملُنا امرأة، وأميرُنا امرأة، وفلانة وصي فلان، وفلانة وكيل فلان. قال: وإنما ذكَّر لأنه إنما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر في موضعه. وأنت قائل مؤذن بني فلان امرأة، وفلانة شاهد بكذا؛ لأن هذا يكثر في الرجال ويقل في النساء. وقال تعالى ﴿إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيراً لِّلْبَشَرِ﴾[1]، فذكر (نذيرا)، وهو لإحدى. ثم قال: وليس بخطأ أن تقول: وصية ووكيلة بالتأنيث؛ لأنها صفة المرأة»[2]. ويتصل بهذا ما ذكره الجوهري من أن يقال: «كوكب وكوكبة... وعجوز وعجوزة»[3].

وقد ناقش مجمع اللغة العربية بالقاهرة قضية وصف المؤنث بالتذكير في ألقاب المناصب والأعمال، كأن تقول: فلانة أستاذ، أو عضو، أو رئيس، أو مدير. وانتهى إلى أنه «لا يجوز في ألقاب المناصب والأعمال ـ اسماً كان أو صفة ـ أن يوصف المؤنث بالتذكير، فلا يقال: فلانة أستاذ، أو عضو، أو رئيس، أو مدير»[4].

* * * *

الهوامش

١ ـ أغانيّ

١ ـ القاموس المحيط: غنى. ص ١٧٠ .

٢ ـ سورة الأعراف: الآية (٩٢)، وسورة هود. الآيتان: (٦٨)، (٩٥).

٣ ـ لسان العرب: غنا. ص ٣٣١٠ .

٤ ـ القاموس المحيط: غنى. ص ١٧٠١ .

٢ ـ بدرى

١ ـ تاج العروس. بدر: ٦/٦٦، والفُصلان: جمع الفصيل، وهو ولد الناقة إذا فُصل عن أمه.

٢ ـ لسان العرب: بدر. ص ٢٢٨ .

٣ ـ الدليل إلى معرفة العامى والدخيل. ص ٣٩ .

٤ ـ معجم تيمور: ١/١٢١ .

٥ ـ السابق: ١/١٢١ .

٣ ـ البوز

١ ـ تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب. ص ١١٩ .

٢ ـ معجم الأدباء: ٣/٤٦٢ .

٣ ـ الألفاظ الفارسية المعربة. ص ٣١ .

٤ ـ المحكم فى أصول الكلمات العامية. ص ٤١ .

٥ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة. ص ١٤ .

٤ ـ تنبل

١ ـ القاموس المحيط: تنبل: ١٤/ ٨٠ .

٢ ـ لسان العرب: تنبل ص ٤٥٠ .

٣ ـ الألفاظ الفارسية المعربة. ص ٣٦ .

٤ ـ تاج العروس: طنبل: ١٥/ ٤٤٣، ٤٤٤ .

٥ ـ الألفاظ التركية في اللهجات العربية. ص٤٤ .

٦ ـ يتيمة الدهر: ٣/ ٤٢٢ .

و«بنو ساسان قوم من العيارين والشطار، لهم حيل ونوادر» .

السابق: ٣/ ٤١٦ .

٥ ـ جبين

١ ـ في (تاج العروس): (عائد) بدل (عابد): جبن: ١٨/ ١٠٣، والصواب ما أثبتناه كما ورد في الديوان. والمعنى أنه «ليس كل من دمي جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود» . ديوان المتنبي: ٢/ ١٨٠ .

٢ ـ البيت في ديوان عنترة. ص ١٤٠، ومطرد الكعوب: الرمح المستقيم الكعوب، وقد نسب الزَّبيدي البيت في تاج العروس إلى زهير: جبن : ١٨/ ١٠٣ .

٣ ـ الصحاح: جبن: ٥/ ٢٠٩١ .

٤ ـ تاج العروس: جبه : ١٩/ ٢٧ .

٦ ـ الحريف

١ ـ القاموس المحيط: حرف . ص ١٠٣٣ .

٧ ـ حسنة

١ ـ المعجم الوسيط: حسن : ١/ ١٧٤ .

٢ ـ السابق: خيل: ١/ ٢٦٦ .

٣ ـ السابق: شيم: ١/ ٥٠٤ .

٤ ـ ديوانه: ١/ ٢٨٥ .

٥ ـ ديوان الصبابة. ص٣٩ .

٨ ـ خُـوة

١ ـ تاج العروس: أخو: ١٩/ ١٤٤ .

٩ ـ ذقن

١ ـ الصحاح: ذقن: ٥/ ٢١١٩ .

وأصل قولهم: (مثقل استعان بذقنه): أن «البعير يحمل عليه الحمل الثقيل، فلا يقدر على النهوض به، فيعتمد على الأرض بذقنه». السابق: ٣/ ٤٢ .

٢ ـ تاج العروس: ذقن: ١٨/ ٢٢٢ .

٣ ـ التكملة والذيل على درة الغواص. ص ٩٠٧ .

٤ ـ إصلاح المنطق. ص ٥٦ .

١٠ ـ زين

١ ـ انظر: تاج العروس: زوو: ١٩/ ٤٩٩ .

٢ ـ انظر: السابق : باب الزاى: ٨/ ٣ .

١١ ـ الشّـبرقة

١ ـ لسان العرب: شبرق. ص ٢١٨٥، وانظر: تاج العروس: شبرق: ٢٣٤/١٣.

٢ ـ ديوانه: ص ١٠٤.

والنّسا: عرق في الساق. وشبرق: قطع ومزق. والمقدس: الذى يأتى بيت المقدس فيمزق الصبيان ثيابه تبركاً به. ويروى: المُقَدِّسى،أى الذى أتى من بيت المقدس.

٣ ـ والرأى لشفيق جبرى فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: ٤٤/ ٤٤٠، نقلاً عن (معجم فصيح العامة). ص ٢٣٢.

٤ ـ غرائب اللغة العربية. ص ٢٣٦.

١٢ ـ شحات

١ ـ الزاهر فى معانى كلمات الناس: ٥١٨/١.

٢ ـ درة الغواص فى أوهام الخواص. ص ٢٢٠.

٣ ـ أساس البلاغة: شحت. ص ٢٣٠.

٤ ـ تاج العروس: شحذ: ٣٧٢/٥، ٣٧٣.

٥ ـ السابق: شحت: ٧٩/٣.

١٣ ـ شهيد

١ ـ لسان العرب: شهد. ص ٢٣٤٩.

٢ ـ انظر: المدخل إلى تقويم اللسان ص ٧٤، والكتاب: ١٠٧/٤، ١٠٨.

١٤ ـ الطّرش

١ ـ الصحاح: طرش: ١٠٠٩/٣.

٢ ـ انظر: القاموس المحيط: طرش. ص ٧٦٩.

٣ ـ لسان العرب: طرش. ص ٢٦٥٦.

٤ ـ المصباح المنير: طرش. ص ١٤١.

٥ ـ فرائد اللغة في الفروق. ص ١٦٤.

٦ ـ عبث الوليد. ص ٢٣٤.

١٥ ـ طُفيلي

١ ـ أساس البلاغة: طفل. ص٢٨١.

٢ ـ تاج العروس: طفل: ٤٣٦/١٥.

٣ ـ كناشة النوادر: ١/ ٤٤، وانظر: ثمار القلوب. ص ١٠٨، ١٠٩. والبركة المصهرجة: المصنوعة بالصاروج، وهو خليط تُطلى به الجدران.

١٦ ـ الطهور والطهارة

١ ـ لسان العرب : طهر. ص ٢٧١٣.

٢ ـ الكناية والتعريض. ص ١٨.

١٧ ـ ظرف

١ ـ تثقيف اللسان. ص ٩٢، ١٢٢.

٢ ـ لسان العرب: ظرف. ص ٢٧٤٧.

٣ ـ السابق: ظرف. ص ٢٧٤٧ .

١٨ ـ عربون

١ ـ المصباح المنير: عرب. ص ١٥٢ .

٢ ـ أساس البلاغة: مسك. ص ٤٢٩ .

٣ ـ الفائق فى غريب الحديث: ٢/ ٤١٠ .

٤ ـ المصباح المنير: عرب. ص ١٥٢ .

٥ ـ الدخيل فى اللغة العربية. ص ٦٩ .

٦ ـ تاج العروس: عرب: ٢/ ٢٢٢ .

١٩ ـ علون

١ ـ انظر: المثلث للبطليوسى: ٢/ ٣٠٦ .

٢٠ ـ عِفش

١ ـ القاموس المحيط: عفش. ص ٧٧٢ .

٢ ـ لسان العرب: عفش. ص ٣٠١٤ .

٣ ـ السابق: حفش. ص ٩٢٧، ٩٢٨ .

٤ ـ انظر: معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية. ص٣٨٩ .

٢١ ـ فشار

١ ـ المحكم فى أصول الكلمات العامية. ص ١٦٧ .

٢ ـ تاج العروس: فشر : ٧/ ٣٥٠ .

٣ ـ الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٢٠ .

٤ ـ انظر: معجم عطية. ص ١١٦ .

٢٢ ـ قحبة

١ ـ لسان العرب: قحب. ص ٣٥٣٤.

٢ ـ أساس البلاغة: قحب. ص ٣٥٥.

٢٣ ـ قد

١ ـ المصباح المنير: قدد ص ١٨٧.

٢ ـ لسان العرب: قدد. ص ٣٥٤٣.

٣ ـ الفلاكة والمفلوكون. ص ١٠٦.

٢٤ ـ قرنان

١ ـ تاج العروس: قرن: ١٨/ ٤٥٠.

٢٥ ـ اللماضة

١ ـ تاج العروس: لمظ: ١٠/٤٩٢، ٤٩٣.

٢٦ ـ مسطول

١ ـ لحن العوام للزبيدي. ص ١٢٠.

٢ ـ الصحاح: سطل: ٥/١٧٢٩.

٣ ـ لسان العرب: سطل. ص ٢٠٠٩.

٤ ـ تاج العروس: سطل: ١٤/٣٤٥.

٥ ـ انظر: الغيث المسجم: ٢/٢٠٧، ومعجم فصيح العامة. ص ٥٦، ٢١٥، فوات الوفيات: ١/٣٢٧. ويروى: (أبكم) بدل (أبلم).

٦ ـ أصول الكلمات العامية. ص ٣٦.

٢٧ - المعلوم

١ ـ الصحاح: علم: ٥/ ١٩٩٠.

٢٨ - مفترٍ

١ ـ لسان العرب: فرا. ص ٣٤٠٨.

٢٩ - مهول

١ ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف. ص ٥٠٠، وانظر لحن العوام للزبيدى. ص ٩٢.

٣٠ - وَصَل

١ ـ تاج العروس: وصل: ١٥/ ٧٨٠.

٣١ - وصيّ

١ ـ سورة المدثر: الآيتان: (٣٥)، (٣٦).

٢ ـ المصباح المنير: أمم. ص ٩.

٣ ـ الصحاح: ككب: ١/ ٢١٣.

٤ ـ مجمع اللغة العربية: فى أصول اللغة: ٣/ ٥٩.

وقد ناقش المجمع هذا الموضوع فى دورته الرابعة والأربعين، فى الجلسة السابعة التى عقدت فى العشرين من مارس عام ١٩٧٨م. وانظر: قل ولا تقل: ١/ ٧٩.

* * * *

المبحث الثانى

الوظائف والصفات والأماكن والكائنات وصفاتها والأدوات والآلات

المحور الأول

الألفاظ الدالة على الألقاب والحرف والصفات والاستحسان والاستهجان والهواجس

١ ـ **الخروج**: قبح الصوت، والدخول حسنه. عامية رذيلة جداً، كالضرب والإيقاع الذى تسميه العجم أصولاً. قال الجزار:

أمولاى ما من طباعى الخروج ولكن تعلمته من خمولى
وصرت لديك أروم الغناء فأخرجني الضرب عند الدخول ش/١١٧

ـ الدخول: معروف. والمحدثون يسمون حسن الصوت دخولاً، ويسمون ضده خروجاً وكأنه لخروجه عن ضرب الإيقاع والضرب، وهذا أيضاً عامي صرف. وقد تظرف هنا أبو الحسين الجزار فقال:

....
أتيت لبابك أرجو الغِنَا ش/١٣٠

ويستعمل (الخروج) للدلالة على قبح الصوت ورداءته، كأن صاحبه قد خرج عن المألوف، أو عن أصول الغناء والطرب، وضده (الدخول)، ويشير إلى حسن الصوت، دلالة على أن صاحبه يحسن الغناء ويلد

بقواعده. والخروج والدخول مصطلحان متقابلان، إلا أن هذا الاستعمال «عامي رذل»(١).

والبيتان في الغيث المسجم للصفدي: ١/١٨١، وقد كتبهما أبو الحسين الجزار (٦٠١هـ ـ ٦٧٩هـ) على باب فخر الدين بن الشيخ(٢).

٢ ـ **خولي** : من يقوم على خدمة الخيل. وفي الخبر أن جميلا الكلبي كان خوليا. قال السهيلي: وهو يدل على أن ياء الخيل منقلبة عن واو، ولا يخفى بعده. والعامة تستعمله الآن بمعنى راعي الغنم. ش/١١١.

و«الخَوَلِيُّ: الراعي الحَسَنُ القيامِ على المال والغنم... قال ابن الأثير: الخولي عند أهل الشام القيِّم بأمر الإبل وإصلاحها»(١).

ويطلق لفظ (الخولي) على من يتولى المهام المتعلقة بالزراعة في الريف، «وهو مأخوذ من التخوُّل، وهو التعهد وحسن الرعاية»(٢)، والثابت أن هذا اللفظ ورد باعتباره «وظيفة ضمن نصوص العديد من البرديات العربية مرتبطاً بأسماء عربية، وأحياناً بأسماء بعض أهل الذمة»(٣).

٣ ـ **زهزهة** : بمعنى تحسين مولدة، من قول الفرس زهي زهي. ش/١٤١.

ويقولون في العامية: (الأمور مزهزهة)، يريدون: طيب العيش ورغد الحياة، وزهزهت الحياة، أي صفت وحسنت. والكلمة إما أن تكون من الفارسية (زِه) بمعنى أحسنت، فتكون (زهزه) من قولهم (زِه زِه)، أو من قولهم «زها النبت يَزْهَى زَهْواً وزُهُواً وزَهَاءً: حَسُنَ... ابن الأعرابي:

زها النبت يزهو، إذا نبت ثمره... وزها النبت: غلا وعلا، وزها الغلام: شَبَّ»(١).

٤ ـ (ستى) . سيدة: وقولهم ستى بمعنى سيدتى خطأ، وهى عامية مبتذلة. ذكره ابن الأعرابى، وتأوله ابن الأنبارى فقال: يريدون يا ست جهاتى، وتبعه فى القاموس فقال: وستى للمرأة، أى يا ست جهاتى كناية عن تملكها له، ولا يخفى أنه تكلف وتمحل، وإليه أشار البهاء زهير:

بُروحى من أسميها بستِّى فينظرنى النحاة بعين مَقْتِ
يرون بأننى قد قلت لَحْناً وكيف وإننى لزُهيرُ وقتى
ولكنّ غادةً ملكت جهاتى فلا لحنٌ إذا ما قلتُ سِتِّى(١)

ويقول العامة: (ست) أى امرأة، و(ستى) أى سيدتى، «كأنه كناية عن تملكها له، هكذا تأوله ابن الأنبارى: أو هو لحن... ويحتمل أن الأصل سيدتى، فحذف بعض حروف الكلمة»(٢)، ولذا أوجب بعضهم أن «تقول: فعلت سيدتى كذا، ولا تقل ستى إلا فى العدد»(٣).

واستخدمت الكلمة قديماً، فقد جاء فى الأغانى للأصفهانى (٢٨٤هـ ـ ٣٥٦هـ) فى أخبار عُلَيَّة بنت المهدى أن الرشيد سأل جارية أسمعته شعراً: لمن الشعر؟ ما أملحه! ولمن اللحن؟ ما أطرفه! فقالت الجارية: لستى. قال: ومن سِتُّك؟ قالت: عُلَيَّة أخت أمير المؤمنين(٤).

ويقول السراج الوراق (ت ٦٩٥هـ):

طوت الزيارةَ إذ رأت عصر المشيب طوى الزيارهْ
ثم انثنت لما انثنت بعد الصلابة كالحجارهْ
وبقيت أهرب وهى تسـ أل جارة من بعد جارهْ
وتقول: يا ستى استرحـ نا لاسراج ولا منارهْ

ويقول الشاعر هارون بن موسى المعروف بابن المصلّي الأرمنتى (ت ٧٣٠هـ) عن بدوية:

اسمها ست العرب هيجت عندى الطربْ(٦)

ويقول أيضاً:

صرت أرعى النجم إلى وقت الصباحْ
إذا بدا لى الكوكب الدرى ولاحْ
فإذا هى قد أتت ست الملاحْ(٧)

وحملت لقب (ست) ـ مضافاً ـ العديد من النساء، منهن(٨) :

ـ ست الشام بنت أيوب (ت ٦١٦هـ)، وهى أخت صلاح الدين والعادل.

ـ ست الكتبة (٥١٨هـ ـ ٦٠٤هـ)، وهى نعمة بنت على بن يحيى، وكانت عالمة بالحديث بدمشق.

ـ ست الملك (٣٥٩ ـ ٤١٥هـ)، وهى بنت العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله، وكانت أميرة من الأميرات.

ـ ست العرب (ت ٧٦٧هـ)، وهى بنت محمد بن فخر الدين، سمع منها بدمشق بعض حفاظ الحديث.

ـ ست العجم (ت بعد ٨٥٢هـ)، وهى بنت النفيس بن أبى القاسم، وهى متصوفة بغدادية.

ـ ست القُضاة (ت ٦٩١هـ ـ ٧٥٨هـ)، وهى مريم بنت عبدالرحمن، وكانت عالمة بالحديث.

ـ ست الملوك (ت ٧١٠هـ)، وهى فاطمة بنت على بن الحسين بن حمزة، وكانت فقيهة حنبلية من راويات الحديث.

كذلك استعملت كلمة (ست)،مصغرة، وتسمت بها النساء، مثل:

ـ سُتيتة بنت عبدالواحد (ت ٤٤٧هـ)، وهى فاضلة بغدادية، كتب عنها بعض رجال الحديث.

وقد أورد د. شعبان صلاح تعليلاً جميلاً، نوافقه عليه، فيما يتصل بنطق العامة لكلمة (ستى)؛ إذ يرى أنهم «ينطقون (سِيدِى) بكسر السين فى (سيدى)، فإذا قيل لك ذلك فى (سيِّدتى) كانت (سيدْتى)، فأبدلت الدال تاء وأدغمت فى التاء، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، فصارت: سِتِّى»(٩).

٥ ـ (شَراقى). شرق: التشريق عند أهل مصر أن لا تسقى الأرض بماء النيل. والأرض يقال لها شَراقى، وهى مولدة مأخوذة من التشريق بمعنى التقديد؛ لأنها متقددة، ومنه أيام التشريق. ش/١٥٩.

ويقصد بتشريق «اللحم: تقطيعه وتقديده وبسطه، ومنه أيام التشريق... لأن لحم الأضاحى يُشَرَّق فيها للشمس، أى يُشَرَّر»(١)، ببسطه وتعريضه للشمس ليجف. ويقال: «شَرَّقَت الأرضُ تشريقاً: أجدبت، وذلك إذا لم يصبها ماء، ومنه الشَّرَاقى، بلغة مصر»(٢)، فالشَّراقى ـ عند أهلها ـ هى الأرض التى جفت وتشققت لعدم وصول الماء إليها.

٦ ـ (طازه). طازجة: جديدة. معرب تَازَه. قال منصور: الطازجة: النقية الخالصة. ش/١٧٥.

ويقولون: (طازه)، ويعنون به الجديد. وتستخدم الكلمة فى الأطعمة والأشربة، وقد تستخدم مجازاً فى الأخبار وما شابهها. والكلمة (طازج) ـ

وعاميتها (طازه) ـ مأخوذة من الفارسية (تَازَه)[1] بمعنى الجديد أو الطرى، أو «الدرهم المضروب حديثاً، فاستعارها عامتنا لكل جديد حديث»[2]. ونطق العوام للكلمة أقرب إلى النطق الفارسى، مع تحويل التاء إلى طاء، «وعن الشَّعْبى رحمه الله تعالى أنه قال لأبى الزِّناد: تأتينا بهذه الأحاديث قَسِيَّة، وتأخذها منا طازجة»[3]. ويراد بالقسية «الرديئة. والطازجة: من الحديث: الصحيح الجيد النقى الخالص»[4].

٧ ـ **فاعل**: عند أهل مصر أجير البناء، وهو استعمال عربى. ش/٢٠٢.

وتطلق العامة على العامل الذى يعمل فى حرفة البناء (الفاعل)، وهو استعمال صحيح، إذ تقول: «تسخَّر الأميرُ الفَعلةَ، وهم العَمَلَة الذين يبنون ويحفرون»[1]، و«الفَعَلَة، محركة: صفة غالبة على عَمَلة الطين والحفر ونحوه، لأنهم يفعلون. قال ابن الأعرابى: والنجّار يقال له فاعِلٌ.. وقد خص به الآن من يعمل بالطين ويحفِر»[2].

وجاء فى (معجم البلدان)، لياقوت (ت٦٢٦هـ) فى شأن عمارة بغداد «وجه المنصور فى حشر الصُّنَّاع والفَعَلة من الشام والموصل... فأُحضروا»[3].

٨ ـ **(مُقَفَّص)**. قفص: قيل هو معرب، والصحيح أنه عربى من تَقَافَصَ بمعنى اشتبك. وأما مُقفص، لثياب لها أعلام كالقفص، فعامية مبتذلة. ش/٢١٢.

ـ مقفص: هو نقش فى الثياب بالطول والعرض. ش/٢٥٥.

والقَفَصُ كلمة عربية، مأخوذة من «قَفَصَ الشيء قَفْصاً: جمعه... وتقافص الشيء: اشتبك»(١). أما مُقَفَّص فمعناها مخطط كصورة القَفَص، وقول الخفاجي إنها عامية مبتذلة فيه نظر، فالكلمة دقيقة موحية، ويقول الأستاذ عبدالسلام هارون: «ما أجدر هذا اللفظ (المُقَفَّص) الدقيق الدلالة أن يستعمل في مقابل الكلمة الافرنجية (كاروه) و(كاروهات)، ولهذا الاشتقاق نظائر في العربية، كقولهم: (المسهَّم): الذي فيه نقوش كالسهام، و(المرجَّل): الذي فيه صور المراجل جمع مرجل، و(المدنَّر): الذي فيه صور الدنانير، و(المضلَّع) الموشَّى بمثل الضلوع»(٢). ونقول أيضاً: الثوب المخطَّط، وهو ما كان فيه خطوط، والمُبَرَّج: الذي فيه صور البُرُوج، والمصلَّب: الذي فيه كالصليب»(٣).

٩ ـ (مُنَجِّد). نَجَّاد: معناه في كلام العرب المزين للثياب... ومنه يقال الآن لمن يصنع الطنافس منجد. ش/٢٦٣.

و(المنجِّد) ـ عند العامة ـ هو من يقوم بتنجيد الأثاث، وحشو المقاعد، وتجهيز الحشيات، وصنع الوسائد، وعمل الستائر وما إليها. وهناك (المنجد الإفرنجي)، و(المنجد البلدي). أما منجد مقاعد السيارات فهو (سُرُوجي). كذلك يطلق على من يقوم بصنع ما يوضع على الحمار أو البغل ليجلس عليه الراكب:(البرادعي).

و(النَّجْد: ما يُنَجَّد به البيت من المتاع، أي يزيَّن.. والتنجيد: التزيين... والنجَّاد: الذي يعالج الفُرُش والوسادة ويخيطُهما»(١)، ويقال: «نجَّدتُ البيت: بسطته بثياب موشية... وبيت منجد إذا كان مزيناً بالثياب والفُرُش»(٢)، فقولهم (منجد) عربي صحيح من الفعل (نَجَّد) أي زيَّن.

١٠ ـ وسوسة : أصل معناها الصوت الخفى. ش/٢٧٥.

والوسوسة، عند العامة: الهواجس التى تنتاب الإنسان، فتدفعه إلى التخيل المَرَضى، والوسواس: ما يدور فى باطن المرء من أمور لا تتصل بفعل الخير. والمعنيان قريبان جداً من المعنى فى الفصحى؛ إذ «الوسوسة والوَسواس: الصوت الخفى من ريح. والوَسواس: صوت الحَلْى... والوسوسة والوسواس: حديث النفس»(١)، فانتقل المعنى فى الفصحى من الحديث الذى يدور فى النفس، وهو إطلاق عام إلى حديث النفس الذى لا يتصل بالأغراض السوية، أى حدث تخصيص للدلالة.

* * * *

الهوامش

١ ـ الخروج

١ ـ انظر: تاج العروس: خرج: ٣/٣٤٦.

٢ ـ ورواية الشطر الأول من البيت الثانى فيه:

وصرتُ إليك أروم الغنى ....

٢ ـ خولى

١ ـ لسان العرب: خول. ص ١٢٩٤.

٢ ـ المحكم فى أصول الكلمات العامية. ص ٧٩.

٣ ـ الألقاب وأسماء الحرف والوظائف: ١/٣٨٦.

٣ ـ زهزهة

١ ـ انظر: لسان العرب: زها. ص ١٨٨٤، ومعجم تيمور: ٤/٥٥، والمحكم فى أصول الكلمات العامية. ص ١٠٥.

٤ ـ ستى

١ ـ ديوان البهاء زهير. ص ٤٩. وفيه (النجاة) بدل (النحاة)، وما أثبتناه هو الصواب.

٢ ـ تاج العروس: ستت: ٣/٦٤.

٣ ـ ذيل فصيح ثعلب ص ١٤.

٤ ـ انظر: الأغانى. ص ٣٦٣٩، ومعجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية. ص ٢٩٣، ومعجم فصيح العامة. ص ٢١٢.

٥ ـ فوات الوفيات: ٣/ ١٤١ .

٦ ـ السابق: ٤/ ٢٣١ ، وانظر: الطالع السعيد. ص ٦٨٧ .

٧ ـ فوات الوفيات: ٣/ ١٤١ ، وانظر: الطالع السعيد. ص ٦٨٩ .

٨ ـ انظر: الأعلام: ٢/ ٨٦، ٣/ ٧٧، ٥/ ١٣١، ٧/ ٢١٠، ٨/ ٣٨.

٩ ـ بحر العوام فيما أصاب فيه العوام. ص ٢٤٨ .

٥ ـ شراقى

١ ـ لسان العرب: شرق ص ٢٢٤٦ . وأيام التشريق: ثلاثة أيام بعد يوم النحر.

٢ ـ تاج العروس: شرق: ١٣/ ٢٤٣ .

٦ ـ طازه

١ ـ انظر: الألفاظ الفارسية المعربة ص ١١٢ .

٢ ـ معجم عطية. ص ٨٩

٣ ـ الفائق فى غريب الحديث: ٣/ ١٩٥ .

٤ ـ تاج العروس: طزج: ٣/ ٤٢٥ .

٧ ـ فاعل

١ ـ أساس البلاغة: فعل. ص ٣٤٤ .

٢ ـ تاج العروس: فعل: ١٥/ ٥٨٤ .

٨ ـ مقفص

١ ـ لسان العرب: قفص. ص ٣٧٠٢.

٢ ـ كناشة النوادر: ١/٦٨.

٣ ـ انظر: المخصص: ١/٣٨٢.

و(المِرْجَل): القِدْر من الطين أو النحاس.

٩ ـ منجد

١ ـ الصحاح: نجد: ٢/٥٤٣.

٢ ـ لسان العرب: نجد. ص ٤٣٤٧.

١٠ ـ وسوسة

١ ـ لسان العرب: وسس.ص ٤٨٣٠.

* * * *

المحور الثانى

الألفاظ الدالة على الأماكن والحيوانات والطيور والحشرات وصفاتها

١- بِس: بكسر الباء... أهل الحجار يقولون للهر الذكر: بِس، والأنثى بِسَّه، بكسر الموحدة وتشديد السين، ويستعملونهما لزجرهما أيضاً. ش/٦٨.

ويستخدم العامة كلمة (بِسَّهْ) إشارة إلى القط أو القطة، ويكثر استعمالها فى مخاطبة الكبار للصغار، «والبَسُّ: الهرة الأهلية... والعامة تكسر الباء... والجمع بِسَاسٌ»(١). ويقولون: (بِس) لزجر الهررة، وهو إما أن يكون من قولهم بِسْ بِسْ، وهو «ضرب من زجر الإبل... وبَسْ بَسْ، وبِسْ بِسْ: من زجر الدابة»(٢)، وإما أن تكون الكلمة (بِس) من اسم الهر نفسه، أى أن تكون دالة على هذا الحيوان وعلى زجره. ويستخدم العامة الكلمة مكررة (بِسْ بِسْ) للنداء على الهرة رغبة فى إطعامها أو ملاطفتها. وبِسْ بِسْ: اسم صوت لزجر الإبل.

٢ ـ تَيْس: ذكر المِعْزَى. والناس تستعمله بمعنى الديُّوث. وقال الراغب فى محاضراته: الكبش عبارة عن الرئيس الكريم، والتيس عبارة عن الغبى اللئيم، ومنه سميت المرأة كبشة وكبيشة. والتيس مكشوف العورة ويقزح ببوله كالكلب. وإذا وصفوا بالضعف والموت قيل: ما هو إلا نعجة من النعاج، وإذا مدحوا قالوا: فلان ماعز الرجال، وفلان أمعز من فلان. انتهى. ش/٨٦.

والتيس هو «الذكر من الظباء والمعز والوعول.... ج تُيُوس، في الكثير، وأتياس وتِيَسَة، كعِنبة، وأَتْيُسٌ كأفلس، في القليل»(١). وكان القدماء يستعملون (التيس) في المدح، كما في قوله الراجز(٢):

نعم أمير الرفقة المهلب أبيض وضاح كتيسِ الحُلَّبِ

ويقول النابغة:

بعارى النَّواهقِ صلتِ الجبيـ ـين يستنُّ كالتَّيس ذى الحُلَّبِ

وجاء في المثل: كنتَ عَنْزا فاستتيسْتَ أو (كانتْ عَنْزا فاستتيستْ)، ويُضرب في الرجل الذليل يتعزر، وهو كقولهم: كنت بُغاثا فاستنتسرت، أى صرت نسرا(٣). والأنثى من الظباء: عنز، «وتقول العرب: (ما هو إلا تيسٌ في سفينةٍ)، إذا أرادوا به الغباوة. و(ما هو إلا تيس)، إذا أرادوا به نتْنَ الريح»(٤).

واستخدم الفعل (تَيَّسَ) للدلالة على الغباء، ومما يروى في هذا أن الحارث بن مسكين دخل «على المأمون فسأله عن مسألة فقال: أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيك هارون الرشيد، وذكر قوله، فلم يُعجب المأمون. فقال: لقد تَيَّست فيها وتَيَّس مالك. قال الحارث بن مسكين: فالسامع يا أمير المؤمنين من التَّيْسين أتْيَس!...»(٥).

وهجا أبو الشَّمَقمق (ت نحو ٢٠٠هـ) بشار بن برد، فقال:

إن بشار بن برد تيسٌ أعمى في سفينهْ

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال: هو المُحَلِّل، لعن الله المُحَلِّل والمُحَلَّل له».(٦) رواه ابن ماجه.

وقد يكون ثمة علاقة بين دلالة لكلمة فى الحديث الشريف ودلالتها فى العامية، حيث تستعمل بمعنى الديُّوث، إذ إن المحلِّل، وقد شُبه بالتيس المستعار، قد رضى لنفسه بأن يتزوج امرأة طلقت ثلاثا، ثم يطلقها حتى تحل لزوجها الأول، فهو إذن لا يغار على أهله، تماماً كالديُّوث.

٣ ـ حارة: هى المحلة، لأن أهلها يحورون إليها، أى يرجعون، جمعه حارات، قاله الزُّبيدى. وبعض العوام جَمَعَهَا على حواير وهو خطأ، أيضاً وهو حائر، وهو الحائط أو المكان المطمئن، والعامة تقول له حير، وهو خطأ. قال:

وصعدةٍ نابتةٍ فى حَائِرِ ش/١٠٥

ـ حارة: قال الأزهرى: كل مَحَلَّة دنت منازلها فهى حارة. ش/١١١.

والحارة هى الشارع الصغير، و«من مُطْمَئِنَّات الأرض الحائر، وهو المكان المُطْمَئِن الوسط المرتفع الحروف، وجمعه حِيران وحُوران.... وقالوا: لهذا الدار حائر واسع، والعامة تقول: حيْر، وهو خطأ... والحارة: كل مَحَلَّة دنت منازلهم فهم أهل حارة»(١). فالعامة يَجمعون (حارة) على حواير، وهو خطأ، إنما الجمع: حارات، «أما الحوائر فجمع الحائر، وهو المكان المطمئن يتحير فيه الماء»(٢).

وتطلق كلمة (حَرَتِيَّة) على «المرأة الساقطة الوقحة، وهى كلمة شتم، وهى نسبة إلى الحارة، أى أنها ممن يطفن فى الطرق، فأصلها حارتية»(٣).

٤ ـ (ذبانة) ذباب: معروف، جمعه أذبة وذِبَّان. وذبَّانة خطأ؛ لأنه لا يفرق بينه وبين واحده بالتاء، كما توهم. قاله الزُّبيدى. ش/١٣٢.

والصواب أن «تقول وقع في المَرق ذبابٌ ولا تقل ذبّانة، والجمع القليل أَذِبَّة، والكثير الذِّبّان»(١). ويقول العامة «وقع في الشراب (ذبانة) أو (ذبان).... على توهم الذبانة، بالنون، واحدة الذُّبان، كالذُّبابة.... واحدة الذباب... والصواب أن يقال: وقع فيه ذُبابة أو ذُباب، بالباء دون النون»(٢).

٥ ـ **غيط**: .... أهل مصر تستعمله بمعنى البستان. ش/١٩٣.

ويعني الغيط عند أهل مصر البستان أو الأرض المزروعة، ويجمع على غيطان. و«الغَوْط: دخول الشيء في الشيء، كالغَيْط، يقال: غاط في الشيء يغوط ويغيط: دخل فيه»(١). والغائط: ما انخفض من الأرض، وجمعه: أغواط وغِيطان، وقرئ «أو جاء أحد منكم من الغَيْط»(٢)، ويجوز «أن يكون أصله الغَيِّط فخفف، كَهَيِّن ومَيِّت وشبهه. ويحتمل أن يكون من الغوط، بدلالة قولهم تغوط إذا أتى الغائط، فقلبت واو الغوط ياء»(٣). وقد يكون الغيط محرفاً عن الغَيْض، وهو «ما كثر من الأغلاث، أي الطَّرْفاء والأَثْل...»(٤).

٦ ـ **فَسْقِيَّة**: مجمع الماء، جمعه فساقي. اشتهر في الاستعمال وعبارات الفقهاء، ولا أدري له أصلا. ش/٢٠٤.

واختلف في أصل كلمة (الفَسْقِيَّة)؛ فقيل: إنه قد يكون أصل معناها الخروج، لأننا نقول: «فَسَقَتِ الرُّطَبة عن قشرها، والفأرة عن جحرها»(١)، أي خرجت، فقيل (الفسقية)، لخروج الماء منها. وقيل: إنها «مأخوذة من Piscina اللاتينية. ومعناها الحوض، فهي مولدة بطريقة التعريب»(٢). وقال البعض إن الأصل «إطلاقها على العين الفوارة الفاسقة، ثم أطلقت على الماء المتجمع حولها بالمجاورة ثم توسع فيها»(٣).

٧ ـ **قرافة :** بطن من معافر، عرفوا باسم أبيهم، نزلوا محلة بمصر فعرفت بهم، وهى الآن مقبرة . ش/٢١٥ .

ويطلق العوام على المقابر: القرافة، وهى قبيلة يمنية، بطن من المعافر الذين يعود نسبهم إلى يَعْرُب بن قحطان، وقد نزلوا مكاناً بالفسطاط بمصر، وكان مجاوراً للمقابر، فسمى المكان بهم. ثم أصبحت كلمة (القرافة) تطلق علي أية مقابر.

٨ ـ **كَفْر:** بمعنى قرية. قال أبو منصور: أحسبها سريانية معربة . وفى حديث أبى هريرة لتخرجنكم الروم منها كَفْراً كَفْراً. وعن معاوية: أهل الكفور أهل القبور، يعنى بالكفور: القرى البعيدة عن الأمصار التى هى مواطن العلم الذى به الحياة الأبدية، فهم موتى بالجهل. وفى الجوهرى: الكَفْر يكون بمعنى القبر، ففيه إبهام. ش/٢٢٤ .

وتعنى كلمة (الكفر) فى العامية المصرية: (القرية) وتجمع على (كُفُور) . ومن المدن ما تحمل اسم (الكفر)، مثل (كفر الشيخ) و(كفر الدوار) . وثمة اجماع على أن الكلمة ليست عربية، إلا أنه اختلف فى أصلها، فذهب ابن دريد والجواليقى إلى أنها سريانية معربة[١]،وتعنى فيها المزرعة أو القرية أو الحقل، ووافقهما على هذا ابن منظور[٢]، وقال آخرون إنها عبرانية[٣]، ففي العبرية כְּפָר ومعناها (كَفْر) .

ولم يوضح البعض عجمة الكلمة، فعند الجوهرى: الكفر: القرية والقبر[٤]، وأضاف الفيروز آبادى إلى هذين المعنيين (التراب)[٥] .

وجاء فى الحديث: «لتخرجنكم الروم منها كَفْرا كَفْرا إلى سنبك من الأرض»[٦]. ومن ذلك «حديث معاوية رضى الله عنه: أهل الكفور

هم أهل القبور. أى هم بمنزلة الموتى لا يشاهدون الأمصار والجُمَع، وكأنها سميت كفورا لأنها خاملة مغمورة الاسم... قال أبو عُبيد: شبه الأرض بالسنبك فى غِلَظه وقلة خيره»(٧). والسنبك طرف الحافر.

٩ ـ (**مئذنة**) والعامة تقول مَأْذَنَة، والقياس لا يأباه. ش/٤٣.

ويقولون: المِئْذَنَة، بميم مكسورة، وهى «المنارة، ويجوز تخفيف الهمزة ياء، والجمع مَآذن بالهمزة على الأصل»(١). ويقال لها أيضاً «المُؤْذَنة... وأما قولهم المَأْذَنَة فلغة عامية»(٢).

١٠ ـ (**مِيضَة**). مِيضَأة: مطهرة كبيرة يتوضا منها... والعامة تقول مِيضَة. ش/٢٥٧.

و(المِيضَة) ـ عند العامة ـ مكان يتخذ للوضوء، «والصواب مِيضَأَة، بالهمز، والجمع مَواضِىء، وأصل الياء الواو فى مِيضأة»(١). والكلمة تعنى «ما يتوضأ منه أو فيه، وهى مَفْعَلة من الوضوء»(٢). وما حدث للكلمة (مِيضأة) أن الهمزة قد حذفت، تسهيلاً للنطق، فصارت (مِيضة).

١١ ـ **مينا**، بالمد والقصر: مَرْسَى السفن، مشتق من الوناء، وهو الفتور، لسكونها فيه. ش/٢٤٤.

ويقول العوام لمرفأ السفن، وهو الموضع الذى تحط فيه السفن (مينه)... والصواب (مينا) بالقصر، و(ميناء) بالمد. والقصر فيه أكثر. وهو مشتق من الونى، وهو الفتور والسكون، كأن السفن جرت حتى فترت وسكنت هنالك، فسمى مكان سكونها: مينا»(١).

وقيل إن الكلمة مأخوذة من اليونانية Limên، كما أن الكلمة فى الآرامية (لِمَانا)، والكلمة فيهما معناها المرفأ والمَرْسَى. أما Marina فى الإيطالية فتعنى ساحل البحر(٢).

١٢ ـ ناموس: بمعنى بعوض بلغة أهل مصر، ومنه الناموسية. ش/٢٥٨.

والناموس هو البعوض Mosquito. والبعوض من المفصليات Arthropoda، وهو من الحشرات ذوات الجناحين. وفي تاج العروس: الناموس: «دُويبَّة غبراء كهيئة الذَّرَّة تلكح الناس، قال الجاحظ: تتولَّد في الماء الراكد»(١).

أما الناموسية Mosquito - Net عند العامة فهي قماش رقيق جداً يوضع فوق السرير ويحيط به، ليحجب الناموس وغيره من الحشرات، والتسمية نسبة إلى الناموس.

١٣ ـ (النمل الفارسي). أفرسان: نوع من النمل، والعامة تسميه النمل الفارسي. هكذا رأيت اسمه في كتاب الحكماء، ولا أدري ما أصله ولغته. ش/٥٩.

ويقول العامة (النمل الفارسي)، لنوع من النمل «كبير الحجم، ولون ذكوره بني فاتح، وعاملاته صفر البطون، والجنود سود، ويدخل المنازل أحياناً، ولكنه لا يحدث ضرراً يذكر، ويعيش عادة في تجاويف الأشجار المعمرة»(١)، *ويقال له أيضاً «الذَّر الفارسي، وهو من النمل بمنزلة الزنابير* من النحل»(٢)، و«الذَّر: صغار النمل، ومائة منها زنة حبة شعير، الواحدة: ذَرَّة»(٣).

أما ما جاء في شفاء الغليل من أن اسم هذا النوع من النمل (أفرسان)، فقد ذكر الجاحظ أنه (أقرشان)، وقيل (أفرشان)، بالفاء(٤). وروى أن النبي نهى عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصُّرَد(٥). (والصُّرَد: طائر أكبر من العصفور يتميز بضخامة الرأس. ج: صِرْدان).

الهوامش

١ ـ بِس

١ ـ تاج العروس: بسس: ٨/ ٢٠٤

٢ ـ لسان العرب: بسس،ص ٢٨١ .

٢ ـ تيس

١ ـ تاج العروس: تيس: ٨/٢١٩ .

٢ ـ انظر: عبث الوليد. ص ١٠٥ ، وديوان النابغة الذبياني. ص٢٢٧ ، والبيت من الشعر المنسوب إلى النابغة. والحُلَّب: نبات ينبت في القيظ بالقيعان وشطآن الأودية... ولا تأكله الإبل، إنما تأكله الشاء والظباء. وقيل إن أسرع الظباء تيس الحُلَّب. والنواهق: العروق التي تكتنف خياشيم الدابة، وأحدها ناهقة. وعاري أي غير ملجم. والصلت: الواضح، المستوى البارز. ويستن: يعدو.

انظر: لسان العرب: حلب. ص ٩٥٩ ، وديوان النابغة. المكتبة الثقافية. ص ١٢٨ .

٣ ـ انظر: لسان العرب: تيس. ص ٤٦٠ ، والعقد الفريد: ٣/ ٤١ .

٤ ـ الحيوان: ٢/ ١٥٠ .

٥ ـ العقد الفريد: ١/ ٦٣ .

٦ ـ سنن ابن ماجه: باب النكاح. ص ٣٣ .

٣ ـ حارة

١ ـ لسان العرب: حير. ص ١٠٦٧، ١٠٦٨.

٢ ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف. ص ٢٣٥.

٣ ـ معجم تيمور الكبير: ٣/٨٩.

١ ـ إصلاح المنطق. ص ٣٠٦، وانظر: أدب الكاتب. ص ٤١٠، والصحاح: ذيب: ١/١٢٦.

٢ ـ سهم الألحاظ فى وهم الألفاظ. ص ٢٨.

٥ ـ غيط

١ ـ تاج العروس: غيط: ١٠/٣٥٧.

٢ ـ سورة النساء. الآية (٤٣).

٣ ـ تفسير القرطبى: ٢/١٨٨٥.

٤ ـ لسان العرب: غيض. ص ٣٣٢٧، وانظر معجم تيمور الكبير: ٥/٢٦.

٦ ـ فسقية

١ ـ أساس البلاغة: فسق. ص ٣٤١.

٢ ـ معجم عطية. ص ١١٦، وانظر: المحكم فى أصول الكلمات العامية ص ١٦٦.

٣ ـ لف القماط. ص ٣٥.

٧ ـ قرافة

١ ـ انظر: معجم البلدان: قرف: ٤/٣١٧، وتاج العروس: قرف: ١٢/٤٢٩، ومعجم الألفاظ العامية. ص ٤٤٢.

٨ ـ كفر

١ ـ انظر: المعرب من الكلام الأعجمى. ص ٣٣٤.

٢ ـ انظر: لسان العرب: كفر. ص ٣٩٠١.

٣ ـ انظر: معجم عطية. ص ١٣٤.

٤ ـ انظر: الصحاح: كفر: ٢/٨٠٧.

٥ ـ انظر: القاموس المحيط: كفر. ص ٦٠٥.

٦ ـ الفائق فى غريب الحديث: ٣/ ٢٧٠.

٧ ـ السابق: ٣/ ٢٧٠.

٩ ـ مأذنة

١ ـ المصباح المنير: أذن. ص٤.

٢ ـ تاج العروس: أذن: ١٨/١٥.

١٠ ـ ميضة

١ ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف. ص ٥٠٥.

٢ ـ ذيل فصيح ثعلب. ص ١٥، وانظر: تاج العروس: وضأ: ١/٢٧٦.

١١ ـ مينا

١ ـ لحن العوام للزبيدى. ص ٧٥.

٢ ـ انظر: غرائب اللغة العربية. ص ٢٧٠، وتفسير الألفاظ الدخيلة ص ٧٢.

١٢ ـ ناموس

١ ـ تاج العروس: نمس: ٩/ ٢٥.

١٣ ـ النمل الفارسى

١ ـ الموسوعة العربية الميسرة: ٢/ ١٨٤٩.

٢ ـ حياة الحيوان الكبرى: ٢/ ٦٤١.

٣ ـ القاموس المحيط: ذرر. ص ٥٠٦.

٤ ـ الحيوان: ٤/ ١٠٦.

٥ ـ حياة الحيوان الكبرى: ٢/ ٦٤٢.

* * * *

المحور الثالث

الألفاظ الدالة على الأوانى والأدوات والآلات والأغطية والدواء

١ ـ **الجريدة**: دفتر أرزاق الجيش فى الديوان، وهو اسم مولد، وهى صحيفة جردت لبعض الأمور، أخذت من جريدة النخل، وهى التى جردت لوجه، قال الزمخشرى فى شرح مقاماته. والعامة تقول لجريدة النخل تجريدة، وله وجه. وقال ابن الأنبارى: الجريدة: الخيل التى لا يخالطها راجل، واشتقاقها من تجرد إذا انكشف. ش/٩٥.

والجريدة فى الأصل سَعَفَة النخل. ويقال: «خيلٌ جريدةٌ: لا رَجَّالة فيها، ويقال: نَدَبَ القائد جريدةً من الخيل إذا لم يُنهض معهم راجلاً... والجريدة: سَعَفَة طويلة رَطْبة... وقيل: الجريدة للنخلة كالقضيب للشجرة... والجمع جَريد وجَرائد، وقيل: الجريدة السَّعَفَة ما كانت، بلُغة أهل الحجاز.»(١).

واستعملت كملة (الجريدة) بمعنى الدفتر أو الصحيفة التى يكتب فيها، فقد جاء فى مقامات الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ): «أبيت أن يبقى لاسمك فى الجريدة السوداء إثبات»(٢). ويقصد بالجريدة السوداء «دفترفى ديوان الجيش فيه مبالغ أرزاقهم وفيوضهم.... وهو الأصل الذى يرجع إليه فى كل شيء فى هذا الديوان. والجريدة: اسم مولد، وهى الصحيفة التى جردت لوجه. وقيل لها السوداء لأنهم سودوا دفتيها ليميزوها عن سائر الجرائد، لكثرة ما يتناوبونها ويرجعون إليها»(٣). وورد فى «معالم الكتابة ومغانم الإصابة» لابن شيث (المتوفى ٦٢٥هـ): «وكاتب الجيش الذى لابد

أن تكون له جريدة بأسماء الأجناد وإقطاعاتهم... وصاحب ديوان المال أو النظر الذى عليه أن يكون له جريدة...»[٤].

وجاء فى الحديث: ائتنى بجريدة، ويقصد بها السعفة، وفى الحديث أيضاً: كتب القرآن فى جرائد[٥].

وتطلق كلمة الجريدة الآن على الصحيفة، بحيث أصبح اللفظان مترادفين، فهما بمعنى Newspaper.

٢ ــ **حِرْز:** بكسر فسكون، الموضع الحصين، وتسمى التعويذة حرزا، قاله الكرمانى. وعليه الاستعمال، والظاهر أنه مجاز. ش/١٠٧.

ويطلق العامة على العُوذَة التى تعمل اتقاء الشر والحسد: حِرزا. وهو استعمال فصيح، فالحِرْز: «العُوذة، والموضع الحصين»[١]. ويقولون: «مكان حريز حصين... ومن المجاز: عملت له حرزا من الأحراز وهو العُوذَة»[٢].

٣ ــ **دست:** الدست: تستعمله العامة لِقِدْر النحاس. ش/١٢٣.

والدَّشْت هو «الإناء النحاسى الكبير المعد لغلى الماء... دِسْتى: كلمة فارسية بمعنى قِدْر. وعاء من الفخار»[١]، وأصله بالفارسية (دَسْتَجه)، ويجمع على دسوت.

٤ ــ **دولاب:** قال أبو حنيفة الدينَوَرِى: بضم الدال وفتحها، كما سمعته من فصحاء العرب. وله معان منها الساقية المعروفة وتسميها العامة ناعورة.ش/١٢٩.

والدولاب، بمعنى آلة السقى، كلمة فارسية مكونة من (دول) بمعنى دلو، و(آب) بمعنى الماء[١]. وتسمى هذه الآلة الناعورة، من قولهم: «نَعَرَت

الدابة تنعِر... نعيرا: صوتت، والاسم النُّعار بالضم. ومنه الناعور للمنجنون التي يديرها الماء، سُمى بذلك لنعيره. والجمع نواعير»(٢).

والدولاب أيضاً: الخزانة التي تحفظ فيها الثياب والملابس وتصنع من الخشب «ويظهر أنه سمي بذلك من الدواليب التي كانت تدور في الحائط، ثم أطلقوه على كل خزانة»(٣).

٥ ـ **رحل**: هو كرسى يوضع عليه المصحف، كما وقع فى حديث، وليس مولدا، وكأنه على التشبيه. وبعض العوام يقول رحلة، وأما أهل مصر وغيرهم فيقولون له كرسى. ش/١٣٥.

و«الرَّحْل: مركب للبعير والناقة، وهو أصغر من القَتَب، وهو من مراكب الرجال دون النساء... والرَّحْل أيضاً: مسكنك وبيتك ومنزلك... ورَحْل المصحف: مايوضع عليه كهيئة السَّرْج»(١). وقيل الرَّحْل لكرسى المصحف، لأنه يشبه رَحْل الجمل، ويشيع (كرسى المصحف) إشارة إلى الرَّحْل.

٦ ـ **رِزْمة**، بالكسر: ما يجمع فيه الثياب، والعامة تضمه، وهو من قولهم: رازم بين الطعامين إذا ضم أحدهما إلى الآخر. ش/١٣٣، ١٣٤.

و«الرِّزْمة من الثياب: ما شد فى ثوب واحد. قال ابن الأنبارى: الرِّزْمة فى كلام العرب التى فيها ضروب من الثياب وأخلاط، من قولهم رازم فى أكله إذا خلط بعضاً ببعض. والرِّزْمة: الكارةُ من الثياب»(١)، أى ما يحمل على الظهر من ثياب.

والرزمة من قولهم: «قد رازم الرجل على أكله إذا خلط بعضاً ببعض. ويقال: قد رازمت للدابة عَلَفَهَا إذا خلطت بعضه ببعض. جاء فى

الحديث: (إذا أكلتم فرازموا)، أى اخلطوا بعضاً ببعض»[٢]. وثمة ترادف بين المرازمة والملازمة؛ إذ «يقال: رازم الرجل أهلَه، إذا لم يبرح من عندهم... ومنه رَزَم المتاع: إذا جمعه وألزم بعضه بعضاً، ومنه الرِّزْمة»[٣].

وقد شاعت كلمة (رُزْمة) عند العامة بالضم، فيقولون: رُزْمة ورق.

٧ ـ **سِكِّينة**: بمعنى سِكِّين، وهو يذكر ويؤنث. قيل وهو خطأ عامى، لكن قال فى شرح الفصيح: هى لغة قوم من بين ربيعة، حكاها الفراء وحكاها القاموس، ولم يعزه. ش/ ١٥٠.

والسِّكِّين: المُدْية، و«اشتقاقه من السكون، كأنه يسكن به الحيوان إذا ذُبح. وهو مذكر وقد يؤنث»[١]. واختلف فى جواز قول (سِكِّينة)، فبينما أجازها الفيروزآبادى فى قوله «والسِّكِّين كالسِّكِّينة»[٢]، وكذا ابن سيده الذى قال إن الغالب على (السِّكِّين) التذكير، ثم ذكر أنه قيل سكينة[٣]، والزَّبيدى الذى قال إن السكينة لغة فى السكين، إلا أن المشهور ـ كما يقول ـ بلا هاء[٤]، فقد أنكر ابن مكى الصقلى وخليل بن أيبك الصفدى قول البعض سكينة وقالا إن الصواب: سكين[٥].

٨ ـ **(صابور)** سابور المَرْكَب: ما يثقل به، خطأ، صوابه صابورة؛ لأنها تصبر أى تحبس به، انتهى. والعامة تقول له صَبْرة. ش/ ١٥٤.

ـ صابورة: ما ثقل به السفن، لأنه يصبر فيها، أى يحبس أو لأنها تصبر به. وقولهم سابورة بالسين خطأ، قاله الزُّبيدى. والناس تقول له اليوم صَبْرة، وهو خطأ فاحش. ش/ ١٧١.

و«الصَّبُورة: أكياس مملوءة من الرمل ونحوه، يثقلون به السفن حتى

لا يميلها الهواء والموج»(١). وأورد صاحب تاج العروس الكلمة بالألف: الصابورة، وتعنى «ما يوضع فى بطن المركب من الثِّقْل»(٢) أما قول العامة (سابور) بالسين، فهو خطأ؛ «والصواب: صابور، لأنه صبر فيه، أى حبس فيه، ومنه صبرة الطعام»(٣)، وهى ما جُمع منه دون وزن أو كَيْل.

٩ ـ صَبْر، بسكون الباء، لدواء معروف. أنكره ابن قتيبة فى (أدب الكاتب) وقال الصواب كسرها، والذى بالسكون ضد الجَزَع، وفى شرحه هو وهم؛ فإن (فِعْل)، بكسر العين وضمها، يخفف بالتسكين قياساً مطرداً وتنقل حركتها، فيقال: صَبْر وصُبْر وصِبْر». ش/١٦٩.

وقد اختُلف فى تسكين باء (الصبر) بمعنى الدواء المعروف؛ إذ قال بخطأ التسكين ابن قتيبة الذى أورد الكلمة فى (باب ما جاء محركاً والعامة تسكنه)، وعنده أن الصواب (الصَّبِر)، بالكسر، أما بالسكون فهو ضد الجَزَع(١). أما الجوهرى فيرى أن الصَّبِر (الدواء المر) لا يُسكَّن إلا فى ضرورة الشعر(٢). فأما الفيومى فعنده أن كسر الباء هو «الأشهر، وسكونها للتخفيف لغة قليلة، ومنهم من قال لم يسمع تخفيفه فى السعة. وحكى ابن السِّيد فى كتاب مثلث اللغة جواز التخفيف»(٣).

١٠ ـ صَنْجة: ... صَنْجة الميزان معربة. قال ابن السكيت: ولا تقل سَنْجة. ش/١٦٩.

وثمة اختلاف بين اللغويين فيما يتصل بكلمة (صَنْجة)؛ فبينما ذهب ابن السكيت إلى أنها بالصاد؛ إذ يقول «هى صَنْجة الميزان، ولا تقل سَنْجة»(١)، أورد ابن منظور أن «سَنْجة» الميزان: لغة فى صنجته، والسين أفصح»(٢)، وجاء فى التهذيب أن «السين أعرب وأفصح، فهما لغتان، وأما

كون السين أفصح فلأن الصاد والجيم لا يجتمعان فى كلمة عربية ... قال الفراء: هى بالسين، ولا يقال بالصاد»[٣]. وقد ذكر بعضهم أن كلمة (سنجة) من أصل فارسى[٤].

إذن فقول العامة (سنجة) بالسين هو الأفصح، على أنهم يكسرون السين.

١١ ـ **طار**: بمعنى الدف، عامية رَذْلة مبتذلة. ش/١٨١.

والطار محرف عن الإطار، وإطار كل شيء ما يحيط به، «وكل ما أحاط بشيء فهو له أُطْرَةٌ وإطارٌ، كإطار الدف.. ومنه صفه شَعر عليّ، كرم الله وجهه: إنما كان له إطار، أى شعرٌ محيطٌ برأسه ووسطُه أصلع»[١]. وجاء الطار بمعنى الدف فى شعر لجعفر بن أحمد العلوى (ت بعد ٦٠٠هـ)[٢]:

غنى بطار طار قلبى له — بأنمُلٍ كالأنجم الخمسِ
كأنه والطار فى كفه — بدرُ الدجى يلعب بالشمسِ

١٢ ـ **طوبة**: للآجُرة، قال أبو بكر: لغة شامية. وأحسبها رومية واسم شهر بالقبطية، وهو غير عربى. ش/١٧٥.

ويقول المصريون: الطوب، ويعنون به الآجُرُّ، ومنه الطوّاب، لصانع الطوب أو بائعه. وقد ورد اللفظ (الطوب) «فى التهذيب، فيظن بذلك أنه عربى... وابن دريد قال: هى لغة شامية وأظنها رومية، وجمع بينهما ابن سيده»[١]. وقال الجوهرى: إن الطوب هو «الآجُرُّ، بلغة أهل مصر»[٢]، ووافقه فى هذا ياقوت الحموى[٣]. وكلمة (طوب) ليست عربية، وإنما هى من المصرية القديمة[٤].

أما شهر(طوبة) فهو الشهر الخامس من الشهور القبطية، ويسبقه على الترتيب: توت.بابه. هاتور. كيهك. ويجيء بعده: أمشير. برمهات. برمودة. بشنس. بؤونة، أبيب . مسرى. وقيل: إن معنى (طوبة): التطهير والتنظيف والغسل.

١٣ ـ **غدارة**: سيف طويل ذو حدين، ولفظه صحيح، لكن العرب لم تستعمله. ش/١٩٥.

والغدارة عند العامة «قطعة سلاح صغيرة بين المسدس والبندقية. قالوا: إنها سميت بذلك لأنه يغدر بها العدو»(١)؛ فالكلمة مشتقة من الفعل (غَدَرَ) بمعنى نقض العهد. وقد أثبت (المعجم الوسيط) الكلمة على أنها محدثة(٢). ويلاحظ أن الغدارة ـ عند الخفاجي ـ سيف طويل.

١٤ ـ **غراب**: لنوع من السفن، مشهور في أشعار المحدثين لاسيما المغاربة. ولا أدري هل هو على التشبيه أو غلط في الترجمة. ش/١٩٢.

والأغْرِبة والغِربان، جمع غُراب: سفن حربية استعملها المسلمون والفرنجة في العصور الوسطى. وقيل إنها كانت معروفة في العصور القديمة عند بعض الأمم كالرومانيين. ويرجع سبب تسميتها بهذا الاسم إلى رقتها «وطولها وسوادها بالأطلية المانعة للماء عنها، كالزفت وغيره، فصارت تشبه في سوادها الغِربان من الطير لسوادها وسواد مناقيرها، أو على الأقل لأن مقدم هيكلها كان على شكل رأس غراب»(١). وقيل إن غراب نوع من السفن القديمة Karavion مأخوذ من اليونانية»(٢).

١٥ ـ **فوطه**: إزار، جمعه فُوَط. قال أبو منصور ليس بعربي. ش/١٩٧.

والفوطة: كلمة تركية (فوته)، بمعنى مئزر[1]. «والفوطة: ثوب قصير غليظ يكون مئزرا يجلب من السّند، وقيل الفوطة ثوب من صوف... وجمعها الفُوَط. قال أبو منصور: لم أسمع في شيء من كلام العرب في الفُوَط، قال: ورأيت بالكوفة أُزْرا مُخَطَّطة يشتريها الجَمَّالون والخَدَم فيتزرون بها، الواحدة فُوطَة، قال: فلا أدرى أعربي أم لا»[2]. أما الجواليقى فذهب إلى أن الكلمة ليست عربية[3].

ويقول بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨هـ ــ ٣٩٨هـ) في إحدى مقاماته، وهي المقامة الأذْرَبيجانية:

«فبينا أنا يوماً في بعض أسواقها، إذ طلع رجل برُكْوة قد اعتَضَدَها وفُوطة قد تطلَّسَها»[4].

ويطلق عامة الناس اليوم كلمة (فُوطة) «على نسيجة من القطن ونحوه، يجفف بها الوجه واليدان، أو توضع على الركبتين عند تناول الطعام؛ وإطلاقهم جائز بتطوير الدلالة»[5].

١٦ ــ قَاقُزَّة، بالتشديد: إنا للشراب، معرب. ويقال: قاقُوزة وقازُورة. ش/٢١١.

والقازوزة عند العامة ــ وتنطق بإبدال القاف كافاً ــ «قَدَح كالقارورة الصغيرة... وشراب مرطب يتخذ من الماء الغازى والسُّكر»[1]. والكلمة أعجمية عربت قديماً، فهي القَاقُوزَة، والقَازُوزَة، والقَاقُزَّة. «قال ابن السكيت: أما القَاقُزَّة فمولدة... وقيل: لا تقل قَاقُزَّة»[2]. والكلمة مأخوذة من الآرامية وتعنى الزجاجة أو الإناء الصغير»[3].

١٧ ــ لحاف: غطاء ودثار معروف. ش/٢٣٢.

ويطلق العامة (اللِّحاف) على نوع من الأغطية يصنع من القطن، و«اللِّحاف: اسم ما يُلتحف به. وكل شيء تغطيتَ به فقد التحفت به»[1]. ويورد ابن سيده عن الخليل قوله فى (العين) «المِلْحَفة ـ المُلاءة واللِّحاف ـ اللباس الذى فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه»[2]. وقال بعضهم إنه «قد يُكَنَّى باللحاف عن النعمة، كما يُكَنَّى عنها بالرداء ونحوه مما يُشْتَمل به، ومنه قول أبى نخيلة:

وألقيتَ لمّـا أن أتيتُـك زائـرا ... علىّ لحافا سابغ الطولِ والعَرْضِ

وجاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان «لا يصلى فى شُعُرنا ولا فى لُحُفِنَا»[4].

١٨ ـ **مَـرْكَب**: للسفينة.استعمله الناس وهو صحيح؛ لما نقل فى إيضاح المفصل عن ابن الأنبارى أنه جاء مَفْعَل بمعنى مفعول، كَمَرْكَب بمعنى مركوب، ومَشْرَب بمعنى مشروب، ومَصْدَر بمعنى مصدور. وأنكره بعضهم فقال: لم يجيء مَفْعَل بمعنى مفعول، وإن سلم فهو نادر. ش/٢٥٢.

ويطلق العوام (المركب)، وينطقونها بكسر الكاف، على القارب الصغير والسفينة. والمركَب ـ بفتح الكاف ـ «الدابة. تقول: هذا مركبى، والجمع المراكب، والمَرْكَب: المصدر، تقول: ركبت مَرْكَبا أى ركوبا... والمركَب واحد مراكب البر والبحر»[1].

١٩ ـ **معادِ**: السفن الصغار التى يجاز بها النهر، وهى جمع معدية، وهو صحيح لغة لكن استعمالها بهذا المعنى عامى. ش/٢٥٢.

والمعادى: قوارب صغيرة أو كبيرة، يستعملها الناس لعبور النيل من

شاطىء إلى آخر، وتستخدم كذلك لتعدية الدواب والأمتعة، والمفرد: مُعَدِّية. وقد تعنى المعدية ألواحاً من الخشب المتين توضع بطريقة أفقية ليعبر عليها الناس الترع والأنهار. وقد أورد المعجم الوسيط الكلمة على أنها محدثة، وعرفها بأنها «المركب يعبر عليه من شاطىء إلى شاطىء»(١).

وذكر ابن سيده للسفينة عدة أسماء منها: الفُلْك، والخَلِيَّة (العظيمة من السفن)، والزورق، والقُرْقُور (ضرب من السفن كبار)، والهُرْهُور، والبارجة (سفينة تتخذ للقتال). ومما يشبه السفينة: الرَّمَث (خشب يجمع بعضه إلى بعض يُركب عليه فى البحر)، والطَّوْف (خشب يُشد ويُركب عليه فى البحر)، والعمائم (عيدان مشدودة تُرْكَب فى البحر، واحدتها عمامة)، والعامَة (وتصنع من أغصان الشجر، والجمع: عامات وعُومٌ وعامٌ)(٢).

٢٠ ـ **هاوون**: بوزن فاعول، ولا يقال هاوُن، بضم الواو، لأنه ليس فى كلامهم فاعُل بالضم. ش/٢٦٩.

و(الهُون) عند العامة: وعاء من خشب أو حديد أو نحاس تُدق فيه الحبوب والأغذية وتسحق. والكلمة فارسية الأصل (هاوَن) Havan. وقد أورد ابن قتيبة (الهَاوُن) فى باب (ما تكلم به العامة من الكلام الأعجمى)(١).

وعند الفيروزآبادى أنه (الهاوَن)، و(الهاوُن)، والهاوُون)(٢)، و«قيل: كان أصله هاوُون لأن جمعه هَوَاوِينُ مثل قانونٍ وقوانينَ، فحذفوا منه الواو الثانية استثقالاً وفتحوا الأولى، لأنه ليس فى كلامهم فاعُلٌ بضم العين»(٣).

الهوامش

١ ـ الجريدة

١ ـ لسان العرب: جرد. ص ٥٨٩ .

٢ ـ مقامات الزمخشرى.ص ٢٤٦ .

٣ ـ السابق.ص ٢٤٦ .

٤ ـ معالم الكتابة ومغانم الإصابة ص ٢٤ ـ ٢٨ ، وانظر: الألقاب الإسلامية.ص ٤٠ .

٥ ـ انظر: الفائق فى غريب الحديث: ١/٢٠٥ ، ولسان العرب جرد: ص ٥٨٩ .

٢ ـ حرز

١ ـ القاموس المحيط: حرز. ص ٦٥٣ .

٢ ـ أساس البلاغة: حرز. ص ٧٩ ، ٨٠ .

٣ ـ دست

١ ـ المحكم فى أصول الكلمات العامية. ص ٨٤، وانظر: الألفاظ الفارسية المعربة. ص ٦٣ ، والقول المقتضب. ص ٢١ ، والقاموس المحيط: سبح. ص ٢٤١ .

٤ ـ دولاب

١ ـ انظر: غرائب اللغة العربية. ص ٢٢٩ .

٢ ـ المصباح المنير: نعر. ص ٢٣٤ .

٣ ـ معجم تيمور الكبير: ٣/٣٠٨ .

٥ ـ رَحْل

١ ـ تاج العروس: رحل: ١٤/٢٧٣ ، ٢٧٧ ، وانظر: معجم تيمور الكبير: ٣/٣٢٠ . والقتب: الرحل الصغير.

٦ ـ رزمة

١ ـ لسان العرب: رزم. ص ١٦٣٨ .

٢ ـ الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/٦١٨ .

٣ ـ الفائق في غريب الحديث: ٢/٥٤ .

٧ ـ سكِّينة

١ ـ شرح الفصيح: ٢/٤٦٨ .

٢ ـ القاموس المحيط: سكن. ص ١٥٥٦ .

٣ ـ انظر: المخصص: ٥/١٤١ .

٤ ـ انظر: تاج العروس: سكن : ١٨/٢٨٧ .

٥ ـ انظر: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان. ص ١٠٣ ، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف. ص ٣١٥ .

٨ ـ صابور المركب

١ ـ معجم تيمور الكبير: ٤/٢٧٣ .

٢ ـ تاج العروس: صبر: ٧/ ٧٧.

٣ ـ لحن العوام للزبيدى.ص ٢١٠، وانظر: تصحيح التصحيف.ص ٣٠٤. ويلاحظ أن صاحب (شفاء الغليل) قد أورد فى المرة الأولى الخطأ أولاً ثم صَوَّبه، وذكر فى الثانية الصواب ثم بين الخطأ. ويضاف إلى هذا التكرار بذكر الكلمة مرة تحت حرف (السين)، وأخرى فى إطار نظيره (الصاد).

٩ ـ صبر

١ ـ انظر: أدب الكاتب. ص ٣٨٤.

٢ ـ انظر: الصحاح: صبر: ٢/ ٧٠٧.

٣ ـ المصباح المنير: صبر. ص ١٢٦.

١٠ ـ صنجة

١ ـ إصلاح المنطق. ص ١٨٥.

٢ ـ لسان العرب: صنج. ص ٢١١٢.

٣ ـ تاج العروس: صنج: ٣/ ٤٢٠.

٤ ـ انظر: غرائب اللغة العربية. ص ٢٣٥.

١١ ـ طار

١ ـ تاج العروس: أطر: ٦/ ٢٩، وانظر: معجم عطية. ص ٩٨.

٢ ـ فوات الوفيات: ١/ ٢٨٦.

١٢ ـ طوبة

١ ـ تاج العروس: طيب: ٢/١٩٢.

٢ ـ الصحاح: طيب: ١/١٧٣.

٣ ـ معجم البلدان: ٤/٣٥٩.

٤ ـ انظر: الدخيل فى اللغة العربية. ص ٦٧، وتفسير الألفاظ الدخيلة. ص ٤٧.

١٣ ـ غدارة

١ـ معجم فصيح العامة. ص ٣٠٨، وانظر: معجم عطية. ص ١١٠.

٢ ـ انظر: المعجم الوسيط: غدر. ص ٦٤٥.

١٤ ـ غراب

١ ـ السفن الإسلامية على حروف المعجم. ص ١٠٤.

٢ ـ انظر: غرائب اللغة العربية. ص ٢٦٢.

١٥ ـ فوطة

١ ـ انظر: تفسير الألفاظ الدخيلة. ص ٥٣.

٢ ـ لسان العرب: فوط. ص ٣٤٨٦.

٣ ـ انظر: المعرب من الكلام الأعجم. ص ٢٩٣.

٤ ـ مقامات الهمذانى. ص ٤١.

والرُّكْوة: رقعة صغيرة توضع تحت العواصر، وهى الأحجار الثلاثة

التى يعصر بها العنب فى معاصرهم. واعتضدها: وضعها فى عضده، والعَضُد ما بين المرفق إلى الكتف. والضمير فى (أسواقها) يعود على أذربيجان.

٥ ـ معجم فصيح العامة. ص ٣٢٨.

١٦ ـ قاقزة

١ ـ المعجم الوسيط: قزز ص ٧٣٣.

٢ ـ لسان العرب: ققز. ص ٣٧١٢.

٣ ـ انظر: غرائب اللغة العربية. ص ٢٠٢.

١٧ ـ لحاف

١ ـ الصحاح: لحف: ٤/١٤٢٦.

٢ ـ المخصص: ١/٣٨٨.

٣ ـ السابق: ١/٣٨٩.

٤ ـ الفائق فى غريب الحديث: ٢/٢٤٧.

والشُّعُر: جمع شِعار، وهو الثوب الذى يلى الجسد. واللُّحُف: جمع لحاف، وهو اللباس الذى فوق سائر اللباس.

١٨ ـ مركب

١ ـ لسان العرب: ركب. ص ١٧١٤.

١٩ ـ معادِ

١ ـ المعجم الوسيط: عدا. ص ٥٨٩.

٢ ـ المخصص: ٣ : ١٧ ـ ٢١ .

٢٠ ـ هاوون

١ـ انظر: أدب الكاتب. ص ٥٠١ ، وغرائب اللغة العربية. ص ٢٤٨ .

٢ ـ انظر: القاموس المحيط: هون ١٦٠١ .

٣ ـ لسان العرب: هون. ص ٤٧٢٦ ، وانظر: ذيل فصيح ثعلب. ص ١٤ .

* * * *

المبحث الثالث

التراكيب والكلمات المنحوتة والأفعال

المحور الأول

التراكيب والكلمات المنحوتة

١ ـ **آذان الحيطان**: النمام ومن يسترقُ السمع. ش/ ٤٤.

يقولون فى المثل: للحيطان آذان، «أى خلفها من يسمع ما تقول»[١]، وهو تعبير مجازى، إذ تقول «فلان أُذن من الآذان إذا كان سُمَعَة، وهى أُذُنٌ وهما أُذُن»[٢]. قال الشاعر[٣]:

وباردِ الطلعةِ حاذانا ... واسْتَرَقَ السمع فآذانا

فقلت للجُلَّاس لا تنبِسوا ... فإنَّ للحيطانِ آذانَا

٢ ـ **(ابن بلد)** ابن المراغة: شتم عند العرب. يقولون: يا ابن المراغة. قال أبوتمام فى شرح المناقضات: يقولون إنها رذيلة، ولدته فى مَرَاغة الدواب، أو كانت كالمَرَاغة لمن أرادها. وقيل المراغة: الأتان، وقيل هى رَدْهة، وإنه كما يقال: يا ابن بغداد، وكما تقول العوام: ابن بلد. ش/٤٧.

والمراغة هى المكان الذى تمرغ فيه الدابة، أى تتقلب فى ترابه. والمراغة أيضاً: الأتان، وهى الحمارة، وقيل: إنها «الأتان التى لا تَمتنع من الفحول»[١]. والمراغة: أم جرير، الشاعر الأموى، لقبها به الفرزدق، «أى مراغة الرجال، أو لقبت لأن أمه وُلدتْ فى مراغة الإبل»[٢]. يقول الفرزدق يهجو جريرا:

يا ابنَ المراغـةِ أين خـالُك؟ إننى ‏ ‏ ‏ ‏ خالى حُبيشٌ ذو الفَعالِ الأفضل

وأما قولهم (ابن بلد) فيستخدم فى معرض المدح والإشادة، لا الذم والإساءة كابن المراغة، ويطلق «على الرجل الذى يجمع صفات مختلفة فى ملبسه وهيئته وطريق سلوكه... وابن البلد ـ فى العادة ـ يكثر من التنكيت، ويستعمل فى حديثه الكناية والتورية، ويعرف مناحى الكلام»(٣). كذلك فإنهم إذا قالوا: فلان ابن بلد، فهذا يعنى أيضاً أنه متواضع، يجالس البسطاء، ويؤاكلهم، ويشاربهم، ولا يتعالى عليهم.

ويستخدم العوام كلمة (ابن) ـ مضافة ـ فى العديد من التراكيب ذات الدلالات؛ فيقولون: (ابن ناس) لمن كان منبته طيباً، و(ابن عز) لمن اعتاد على رغد العيش ورفاهته، و(ابن نكتة) لمن يهوى المزاح والفكاهة، و(ابن سُوق) للمحنك المجرب.

٣ ـ **إيش**: بمعنى أي شيء، خفف منه، نص عليه ابن السيد فى (شرح أدب الكاتب). وصرحوا بأنه سُمع من العرب، وقال بعض الأئمة: جنبونا إيش، فذهب إلى أنها مولدة. وقول الشريف فى حواشى الرضى إنها كلمة مستعملة بمعنى أى شيء، وليست مخففة منها ليس بشيء. ووقع فى شعر قديم أنشدوه فى السير:

من آلِ قحطانَ وآلِ أيشِ

قال السهيلى فى شرحه: الأيش يحتمل أنه قبيلة من الجن ينسبون إلى أيش، ومعناه مدح. يقولون: فلان أيش وابن أيش، ومعناه: شيء عظيم. وإيش فى معنى أى شيء، كما يقال: وَيْلُمِّه؛ فى معنى ويلٌ لامهِ، على الحذف لكثرة الاستعمال. ش/٣٨، ٣٩. وانظر: ص ٢٧٣.

و(إيش) مركبة من أى شيء، كما يقال فى (ويل لأمه): وَيْلُمِّه، على الحذف والتخفيف(١). وأصل (إيش): أَيْشٍ، بفتح الهمزة، فحرفت وصارت همزتها مكسورة. وقد وردت (إيش) كثيراً عند القدماء؛ «قال الفراء: قلت للدَّبَيْرى: إيش، كيف ترى ابنَ إنسك؟»(٢).

ومن أقدم استعمالات (إيش) فى الشعر العربى ما عزاه الأصبهانى للمجنون، من أنه القائل(٣):

قالوا: جننت على أيشٍ فقلت لهم   الحبُّ أعظم مما بالمجانينِ

ويقول الشاعر أيضاً(٤)

وثقيل قال: صِفْنى   قلت: إيش فيك أصِفْ
كل ما فيك ثقيل   حل غنى وانصرفْ

وروى الأزهرى عن ثعلب ـ فى تفسير (المَسْح) فى قوله تعالى ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾(٦)ـ «أنه قيل له: قال قُطرب يمسحها ينزل عليها، فأنكره أبو العباس وقال: ليس بشيء، قيل له: فأيْش هو عندك؟...»(٦).

وقال السهيلى إنه يحتمل أن آل أيش قبيلة من المؤمنين ينسبون إلى أيش... وهم حلفاء الأنصار من الجن(٧). ووردت كلمة (أيش) عند الجاحظ، حيث يقول:

«اعلم أنّ الوكيلَ، والأجير، والأمين، والوصيَّ، فى جملة الأمر، يَجْرون مَجرًى واحداً، فأَيْشٍ لك أن تَقضىَ على الجميع بإساءة البعض»(٨).

ويروى أن الإمام إبراهيم الحربى (١٩٨ ـ ٢٨٥ هـ)، وهو من أعلام

المحدثين، كان له ولد فمات لإحدى عشرة سنة، فجاء أحدهم يعزيه، فقال له الإمام إنه كان يشتهي موت ابنه، فتعجب معزيه، فقال له الحربي: إنه رأى «في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانا بأيديهم قلالٌ من ماء، يستقبلون الناس يسقونهم... فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، قال: فنظر إليّ وقال: ليس أنت أبي. فقلت: فأيش أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين مُتنا في دار الدنيا، وخلَّفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء»(٩).

ويستعمل (إيش) في العامية المصرية في بعض التراكيب، نحو: إيش عرفني، وإيش حال كذا، في قولهم مثلاً: إيش حال لو الدنيا برد، لمن يتدثر بالغطاء في الصيف. ويقول أهل الصعيد: إيش وراني ـ بتفخيم الراء في (وراني) ـ أي لا أعرف. كما تستخدم في العديد من الأمثال العامية المصرية، مثل: (إيش جاب لجاب)، و(إيش جاب طوخ لمليج)، و(إيش ياخد الريح من البلاط).

كما تستخدم الكلمة في بعض البلاد العربية، ومنها بلاد الخليج، فيقولون: إيش لونك؟ أي: كيف حالك؟ كما تقلب الهمزة لاما، فيقولون: ليش؟ أي لماذا؟

وتجيء (أيش) في بعض أمثال المولدين، كقولهم: «إيش في الضَّرْطَة من هلاك المِنْجَل»، وأصل المثل «أن امرأة ضَرَطَت عند زوجها، فلامها زوجها، فقالت: وأنت ضيعت منجلاً، فقال: إيشٍ في الضرطة من هلاك المنجل»(١٠).

ويروى أن المعتصم امتحن الإمام أحمد بن حنبل في القول بخلق القرآن فقال له «بلغني أنك تقول: إن القرآن كلام الله غيرُ مخلوق، فقال

له: أصلح الله أمير المؤمنين، البلاغات تزيد وتنقص، فقال له: يا مبارك، فأيش تقول؟ قالّ: أقول: القرآن غير مخلوق...»(١١).

٤ ـ **أيوه**: إى بمعنى نعم فى القسم خاصة، كما أن هَلْ بمعنى قد فى الاستفهام خاصة. قال الزمخشرى فى الكشاف: سمعتهم فى التصديق يقولون: (إيو)، فيصلونه بواو القسم، ولا ينطقون به وحده(١). انتهى... والناس تزيد عليه هاء السكت؛ فليس غلطاً كما يُتوهم. ش/٤٣.

وإى «حرف جواب بمعنى نَعَم، فيكون لتصديق المخبِر، ولإعلام المستخبر، ولوعد الطالب، فتقع بعد (قام زيد)، و(هل قام زيد)، و(اضرب زيدا) ونحوهن، كما تقع نعم بعدهن، وزعم ابن الحاجب أنها إنما تقع بعد الاستفهام، نحو ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾(٢)، ولا تقع عند الجميع إلا قبل القسم، وإذا قيل (إى والله) ثم أسقطت الواو، جاز سكون الياء وفتحها وحذفها»(٣). فهى تجيء إثباتاً «لما يقع الاستفهام عنه، فإذا قيل: (أقام زيد؟)، فيقال: (إيْ إنه قام)، ولكنها يلزمها القسم، أى أن يقسم معها على إثبات ما قصد إثباته... وقال ابن مالك: إن (إيْ) بمعنى نعم. قيل: وعليه، إنه إن أراد أنها تقع مواقع (نعم)، فتقع بعد الخبر، والأمر، والنهى، والاستفهام، موجباً كان أو منفياً، يلزم مخالفته الإجماع»(٤).

وأيوه «منحوتة من (إى والله)، وللعامة أساليب غريبة فى النحت، فإن القسم ظاهر فى قولنا أى والله، ولكن العامة عدلوا بها عن القسم إلى الجواب، فصارت فى حكم قولنا (نعم)»(٥). وفى الريف المصرى «يقولون: إيوَه، وهو أقرب للصواب، وكذلك أهل إسكندرية»(٦).

٥ ـ **بَرَّقَ عينَه له**: أى خَوَّفه، كذا تقول العامة. وقال القالى فى أماليه: من أمثالهم: بَرِّق لمن لا يعرفك، يضرب مثلاً للذى يوعد من لا يعرفه. ش/٧٥.

ويقال: «بَرَّقَ عينيه تبريقا: إذا وسعهما، وأحدَّ النظر. قال أعرابى فى المعاتبة بينه وبين أهله:

فَعَلِقَتْ بكفها تَصْفيقَا

وَطَفِقَتْ بعينها تبريقَا

نحوَ الأميرِ تبتغى تطليقَا(١)

ويقال أيضاً: «قد بَرَقَ ورَعَدَ، إذا تهدد وأوعد»(٢). وقولهم فى العامية: (برق عينه له) أصله المثل العربى: (بَرِّق لمن لا يعرفك)، «أى هَدِّد من لا علم له بك، فإن من عرفك لا يعبأ بك، والتبريق:؟ تحديد النظر... كأنه قال: بَرِّق عينيك، فحذف المفعول»(٣).

ويروى: (بَرِّقى لمن لا يعرفك). يقول الشاعر:

إن الوعيدَ سلاحُ العاجزِ الورِعِ

ويقول آخر:

وكثرةُ الصوتِ والإيعادِ من فشلِ

وقال الكميت:

أبرقْ وأرعدْ يا يزيـ ... ـدُ فما وعيدُكَ لى بضائر

٦ ـ بودى: الوُد: المودة والمحبة. وهذا ظاهر، والذى نريد بيانه هنا أن هذا استعمل للتمييز قديماً وحديثاً، لأن المرء لا يميز إلا ما يحبه ويوده، فاستعمل فى لازم معناه مجازاً أو كناية... قال (بكر بن) النطّاح:

بِوِدِّى لو خاطُوا عليك جلودهمْ ... ولا يدفعُ الموتَ النفوسُ الشَّحَائحُ

وقال آخر:

بِودِّى لو يَهْوَى العذولُ ويعشقُ   فيعلمَ أسبابَ الردى كيف تعلق

ش/ ٨١

ويقول العامة: بِدِّى أفعل كذا، وبودى أن أذهب إلى فلان. وقولهم بدى «أصلها بودى. يقال: بِوُدِّى أن أفعل كذا»(١). والبُد: الغاية؛ إذ يقال: «بينى وبينك بُدَّةٌ، أى غاية ومُدة»(٢). والود، بالتثليث: الحب والمودة، فإذا أريد التعبير عن التمنى، قيل «بودى أن يكون كذا. وأما قول الشاعر:

أيها العائدُ المسائلُ عنا   وَبِودِّيك لو ترى أكفانى

فإنما أشبع كسرة الدال ليستقيم له البيت فصارت ياء»(٣).

٧ ـ **تربية القاضى**: يقال للقيط. ش/٨٨.

والتركيب: (تربية القاضى) يجيء معبراً عن معنى سيىء، عن طريق استعمال اللفظ الحسن، وأورده الثعالبى (فى الكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه) كناية عن اللقيط. ومن ذلك أيضاً قولهم: (به حاجة لا يقضيها غيرُهُ)، كناية عن الحدث، وقولهم فى وصف الرجل بالبله: (هو من أهل الجنة)، يعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم: أكثر أهل الجنة البُلْه(١).

ويسمى بعضهم هذا النوع من الكنايات «التهوين»، وعندهم أنه «استعمال مجاز ملطف فى مكان كلمة أو عبارة موجعة أو بغيضة. مثال ذلك: (لفظ أنفاسه الأخيرة) بدلاً من (مات)، و(بيت الأدب) بدلاً من (المرحاض)»(٢).

وورد هذا النوع من الكنايات فى القرآن الكريم فى قوله تعالى مثلاً ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾(٣)، وقوله عز وجل ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ

نِسَائِكُم ﴾(٤)، وقوله جل شأنه ﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾(٥)، وقوله جل وعز ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾(٦)، فعبر عن الجماع بالملامسة، والرفث، والإفضاء، والمباشرة. ومن ذلك أيضاً قوله عن مريم وعيسى: ﴿ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾(٧)، إذ كنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام(٨). ويسمى هذا فى الانجليزية Euphemism.

٨- **حسيبك الله**: يستعملونه للتهديد. قال ابن الأنبارى: الحسيب: العالم، أى هو عالم بظلمك ومجازيك عليه، وقيل معناه المقتدر عليك، وقيل معناه كافى إياك، والمراد الدعاء. وقيل: الحسيب بمعنى المحاسب، وفعيل بمعنى مفاعل كثير. ش/١٠٤.

و(الحسيب) من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الكافى، وهو «فعيل بمعنى مُفْعِل، من أحسبنى الشىءُ إذا كفانى... قالت امرأة من بين قُشَير:

ونُقفى وليدَ الحىِّ إن كان جائعاً ونُحْسِبُهُ إن كان ليسَ بجائعِ

أى نعطيه حتى يقول حسبى، وقولها: نقفيه أى نؤثره بالقَفِيَّة، ويقال لها القَفاوة أيضاً، وهى ما يؤثر به الضيفُ والصبى... وقولهم: حسيبك الله، أى انتقم الله منك»(١).

وفى تفسير معنى الحسيب عدة أقوال، فقيل إن «الحسيب: العالم، ومعنى هذا الكلام التهديد، فإذا قال الرجلُ للرجل: حسيبك الله فمعناه: الله عالم بظلمك ومجاز لك عليه... وقال آخرون: إذا قال الرجلُ للرجل: حسيبك الله، فمعناه: المقتدر عليك الله. وقال آخرون: الحسيب الكافى... فإذا قال الرجلُ للرجل: حسيبك الله، فمعناه: كافى إياك الله، وقالوا: لفظه لفظ الخبر ومعناه معنى الدعاء، كأنه قال: أسأل الله أن يكفينك. وقال

آخرون: الحسيب المحاسب، فإذا قال الرجلُ للرجل: حسيبك الله، فمعناه: محاسبك الله... قالوا: والحسيب هو المحاسب»[٢].

ويقول المُخَبَّل السعدى[٣]:

فلا تُدْخِلَنَّ الدهرَ قبركَ حَوْبَةً   يقومُ بها يوماً عليكَ حسيبُ

أى يحاسبك بها الله.

٩ ـ **حماتى تحبنى**: هو من أمثال العامة. يقوله من صادف نعمة لم تكن على خاطره. قال ابن نباته موريا:

كلما عِجتُ فى حما   ة على خير موطن
أجِدُ الأكلَ والنَّدَى   فحماتى تُحبنى

ش/١٠٦

وحماة المرأة هى «أم زوجها... وكل شىء من قبل الزوج مثل الأب والأخ فهم الأحماء... وكل شىء من قِبل المرأة فهم الأختان، والصهر يجمع هذا كله»[١]. ويشيع بين الناس أنه لا يقال حمو المرأة إلا لوالد زوجها، وإنما حموها «أخو زوجها وابن أخيه وابن عمه وسائر أهله، كل واحد منهم حموها»[٢]، والجمع أحماء. ويقول المرء: (حماتى تحبنى) إذا وجد خيراً لم يكن يتوقعه، وبخاصة إذا وفد على قوم يتناولون طعاماً، فيقال له:(حماتك تحبك)، فى معرض دعوته إلى تناول الطعام.

١٠ ـ **خشنت صدره**، وبصدره: إذا غظته، والباء زائدة عند سيبويه. وكتب ابن المعذل لأخ له:

خشنت بصدر أخ حبه لك ناصح

والعامة تقول: اشحنت صدره، وهو خطأ. ش/١١٣.

ويقال: «خَشَّنْتُ صدره تخشيناً: أوغَرْتُ؛ قال عنترة:

لَعَمْرِى لقد أعْذرْتُ لو تَعْذُرِيننَى   وَخَشَّنْتُ صدرًا جيبُهُ لكِ ناصِحُ

... وَخَشُنَ عليه صدرُهُ إذا وَجَدَ عليه»[1].

ويرى سيبويه أن الباء فى قولك (خشَّنتُ بصدره) زائدة؛ «فالصدر فى موضع نصب وقد عملت الباء»[2].

ويقول العامة «أشحنت صدره، إذا غظته. قال أبو بكر: والصواب: خَشَّنْتُ صدره، وخَشَّنْتُ بصدره... ويروى أن أحمد بن المُعَذَّل كتب إلى أخيه عبدالصمد فى بعض رسائله: (إنك قد خشنت بصدر أخٍ جيبه لك ناصح»[3].

ونرى أن قول العامة (أشحنت صدره) أو (شحنت فلانا ضد فلان) قد يكون مأخوذاً من الشَّحْناء، وهو الحقد والعداوة؛ فيقال: شَحَنَ عليه شَحْنا وشاحنَهُ... والتشاحُن: تفاعُل من الشحناء العداوة»[4].

١١ ـ «دار على كذا ودار به: إذا أحاط وطاف. والعامة تقول دار عليه إذا طلبه ببحث وتنقير». ش/١٢٩.

و«يقال : دار يدور... إذا طاف حول الشىء، وإذا عاد إلى الموضع الذى ابتدأ منه»[1]. وفى الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى أن جريراً أنشد بعض الأبيات لعمر بن أبى ربيعة، فقال: «إن هذا الذى كنا ندور عليه فأخطأناه»[2].

١٢ ـ راكب رأسه: أى تعسف. قال الزمخشرى فى شرح مقاماته: أصله فى الوعل إذا أراد انحداراً من شاهق ركب قرنيه، فيزلق عليهما إلى الحضيض. ش/١٣٦.

ويقول العامة: فلان راكب دماغه، يريدون به العناد والإصرار، وهو مجاز، كقولهم (ركب رأسه)، أي: (مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشداً»[١]. وورد في مقامات الزمخشري «لقد رآك عن سواء المنهج زائغاً... راكباً رأسك»[٢]، و«أصله في الوعل إذا أراد الانحدار من الشاهق ركب قرنيه فتزلق عليهما حتى يبلغ الحضيض، وترك الثنايا التي يصعد فيها وينحدر، فضرب مثلاً لكل متعسف لا يأخذ في طريق مسلوك»[٣].

١٣ ـ **رد الباب**: بمعنى أغلقه، عامية مبتذلة. يقولون باب مردود. ش/١٣٤.

والفعل (رَدَّ) فيه معنى الصَّرْف والإرجاع، ومنه الارتداد بمعنى الرجوع، والمردودة: المطلَّقة[١]؛ لأنها تُرد إلى بيت أبيها. ويقول العامة: رَدَّ البابَ، أي أغلقه، وهو قول صحيح[٢]. وجاء في (عقلاء المجانين) للنيسابوري أن الصبيان قد حملوا «يوماً على بهلول، فانهزم منهم فدخل دار بعض القرشيين ورَدَّ الباب»[٣]. وعليه فقولهم (رَدَّ الباب) إنما يعني إعادته إلى وضعه الأول، أي إرجاعه إليه، وكذا قولهم: (باب مردود)، فهو مفعول بمعنى أنه عاد إلى وضعه الأصلي، وهو الإغلاق.

١٤ ـ **سكران طينه**: تقوله العامة لمن سكر سكراً شديداً، كأنه لوقوعه في الطين. ش/١٥٣.

والسُّكْر: خلاف الصَّحْو، والسَّكْران من أسكرته الخمر. ووزن سكران: فَعْلان، والأنثى: سَكْرَى، بوزن فَعْلَى. و(سَكْرانة): لغة في بني أسد[١]، «والسُّكْر ثلاثة: سُكْر الشباب، وسُكْر المال ، وسُكْر السلطان»[٢].

أما الطين فهو الوَحْل. والتركيب: (سكران طينة) يدل على المبالغة

فى السُّكْر والشراب، حتى إن هذا السكران يترنح ويقع فى الطين من شدة سُكْره.

١٥- **صاحت عصافير بطنه**، ونقت ضفادع جوفه، إذا جاع فصوتت أمعاؤه. ش/١٧٢.

ويقال: صاحت عصافير بطنه، أى جاع، وكذلك «(نَقَّت عصافير بطنه)، كما يقال (نَقَّت ضفادع بطنه)، وهى عبارة عن الأمعاء. ويقال أيضاً: لا تأكل حتى تطير عصافير بطنك، كل ذلك إذا جاع، وهو كناية»(١). و «قال الأصمعى: العصافير: الأمعاء. وقال أبوعمرو: العصافير ما اضطرب عند الجوع والفزع مثل الأمعاء والأحشاء والقلب وما أشبهها»(٢).

ويقال أيضاً: (طارت عصافير رأسه)، و «يضرب للمذعور، أى كأنما كانت على رأسه عصافير عند سكونه، فلما ذُعر طارت»(٣).

١٦- **فذلكة**: الفذالك جمع فذلكة، وهى جملة الحساب؛ لقولهم فيها فذلك كذا، انتهى. وهذه لفظة منحوتة" مولدة وليست معربة. قال فى القاموس «فذلك حسابه أنهاه وفرغ منه، مخترعة من قوله إذا أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا. ش/٢٠٥.

وتطلق العامة على محاولة إظهار العلم وإدعاء التبحر فيه (الفَذْلكة)، والفعل عندهم (يتفذلك) من قولهم (فَذْلَكَ حسابه: أنهاه وفَرَغَ منه، مخترعة من قوله إذا أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا»(١)، فالكلمة (فذلكة) «منحوته مولدة، وليست معربة»(٢).

وقد أشار (المعجم الوسيط) إلى أن الكلمة محدثة، ويرى عبدالسلام

هارون أن إشارة المعجم هذه فيها نظر؛ إذا وردت الكلمة فى (الفهرست)، لابن النديم (ت ٣٨٥هـ) فى ترجمة أبى عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ)، إذْ يقول عنه: إنه «جمع الناس على قراءة أبى إسحاق الطبرى، وسَمَّى هذه القراءة الفذلكة»(٣)، ومن هنا «فالكلمة عمرها أكثر من ألف سنة. وليست محدثة كما ذكر المعجم الوسيط»(٤)، وكانت تعنى - كما ذكر الأستاذ هارون - نهاية التأليف وحصيلته.

١٧- **(فلان لاينطلى)**. طلاه فانطلى ظاهر. وأما قولهم: فلان لا يَنْطَلِى، أى لا يحسن ويروج حاله، فعامية صرفة: ش/١٧٥.

ويقول العامة هذا الأمر لا ينطلى علىّ، أى لايمكن قبوله. وهو مأخوذ من الطِّلاء، وهو التحسين والتزيين. فقولهم يعنى أن هذا الأمر لا يمكنك تزيينه لى وخداعى به.

١٨- **كيت وكيت**: كناية عما له شأن. ش/٢٢٧

ويشيع فى العامية قولهم (قال لى كيت وكيت)، كناية عن قصة ما أو خبر أو حديث، ويكسرون الكاف ويسكنون التاء. و (كَيْتَ كَيْتَ) من كنايات الحديث، ولا يجيئان إلا مكررين ومعطوفين بالواو، فلا يصح أن تقول: (فعل فلان كَيْتَ). والتاء فيهما مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة إلا أن الفتح أشهر، وهما مبنيان على الفتح أو الكسر أو الضم، فى محل رفع أو نصب أو جر، حسب الحالة الإعرابية، وهما كالكلمة الواحدة.

١٩- **(من الباب للطاق)** من أمثال المولدين: من الباب إلى الطاق، فيما فعل من غير سبب، بمعنى من أوله إلى آخره. ش/٧١.

ويشيع بين العامة التعبير: (من الباب للطاق)، فيقولون مثلا: (ضرب

فلان فلانا من الباب للطاق)، أى بلا مبررات، «كناية عن إثارة خصام بلا سبب سابق يبنى عليه، كأن فاعله فاجأ به كما يفاجئ إنسان أهل دار بدخوله، فلا يكاد يلج من الباب حتى يُسرع إلى الطاق»(١). واللفظ (طاق): فارسى، و «معناه: قبو وقبة وقوس... ومنه (طاقچه) الفارسية، فتعريبت طاقة مرادفها نافذة»(٢).

٢٠- **هذا مجانس لهذا**: ... زعم ابن دريد أن الأصمعى كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا. ش/٩٤.

.. ابن جنى حكى عن الأصمعى أنه كان يرد قول العامة: هذا مجانس لكذا، إذا كان من شكله. ش/١٠٠.

والجنس هو «الضرب من الشئ. قال ابن دريد: كان الأصمعى يدفع قول العامة هذا مجانس لذا، ويقول: ليس بعربى»(١). والبشر: جنس، والرجل والمرأة: نوعان، فالجنس «أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس»(٢). ولذا فإن «قول الجوهرى عن ابن دريد: أن الأصمعى كان يقول: الجنس: المجانسة من لغات العامة، غلط، لأن الأصمعى واضع كتاب الأجناس، وهو أول من جاء بهذا اللقب»(٣). ومن المولد أيضاً قولهم: «الأنواع مجنوسة للأجناس... لأن مثل هذا ليس من كلام العرب: وقول المتكلمين: تجانس الشيئان ليس بعربى أيضاً إنما هو توسع»(٤). فما ينسب إلى الأصمعى من دفعه لقول العامة: هذا مجانس لهذا، بمعنى أنه يشاكله، وقوله إن هذا التركيب مولد، أمران فيهما نظر؛ فالأصمعى كتب فى الأجناس، بل إنه أول من استخدم الكلمة عنوانا لمصنف له.

٢١- (**هلك الأبعد**). أبعد: أفعل، من البُعد. قلت: الناس يقولون: فعل الأبعد كذا، يعنون أنت فعلت، وكذا وقع الحديث. وفى التهذيب قال

النضر فى قولهم هلك الأبعد، يعنى صاحبه، وكذا يقال إذا كَنَى عن اسمه، ويقال للمَرأة هلكت البُعْدَى. قلت: هذا مثل قولهم فلا مرحبا بالأخِر، إذا كنى عن صاحبه وهو يذمه. انتهى. يعنى أنه جعله بعيدا عنه وأخر لأجل الذم، ولا يبعد أن يستعمل فى المدح، ويستعمل فى مثل هلك الأبعد بعده عن الهلاك. والعامة تقول: يابَعْدِى، بفتح الباء وسكون العين وكسر الدال، بعدها مثناة تحتية ساكنة، كبَعْد المضافة لياء المتكلم، بمعنى يا صاحبى. ش/٤٦.

ويقولون: (هلك الأبعد) إذا كنى القائل عن المتحدَّث عنه، ويقال أيضاً «أبعد الله الآخَرَ، ولا يقال للأنثى منه شئ. وقولهم: كَبَّ الله الأبعد لفيه، أى ألقاه لوجهه.والأبعد: الخائن»[١]. وورد «فى الحديث (أن رجلا جاء فقال: إن الأبعد قد زَنَى)، معناه المتباعد عن الخير والعصمة»[٢]، وفى الحديث أيضاً: (أرغم الله أنف الأبعد). وهلك (الأبعد). و (الأبعد) من البُعْد، نقيض القُرْب، وهو أيضاً الهلاك والموت، كما فى قوله تعالى ﴿أَلا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾[٣]. ويجوز أن يكون (الأبعد) من أى منهما، أو من البُعْد والبِعاد، أى اللعن؛ إذ يقال «أبعده الله: نحَّاه عن الخير وأبعده»[٤].

وقولهم: (هلك الأبعد)يماثل قولهم (أبعد الله الأخِرَ)، ويقال: «الأخير، «لا تقوله للأنثى. وحكى بعضهم: أبعد الله الآخِرَ، بالمد. والآخِرُ والأخير: الغائب. وفى حديث ماعز: إن الأخِرَ قد زَنَى؛ بوزن الكَبِد، هو الأبعد المتأخر عن الخير. ويقال: لا مرحبا بالأخِر، أى بالأبعد»[٥].

ويقال فى الدعاء: بعدا له، مثل تبا له وسُحْقا. يقول الشاعر:

مَــدًّا بأعناق المطى مَــدًّا ... حتى تُوافِى المَوْسِمَ الأَبْعَدَّا

«فإنه أراد الأبعدَ فوقف فشدد»[٦].

وتستخدم كلمة (الأبعد) فى العامية فى قولهم مثلا «(قطع الله رجل الأبعد)»، ويفهم من العبارة أنه شتم لا نفى الشتم عن شخص»(٧). وقد وردت هذه العبارة فى كلام القدماء؛ إذ يروى أن الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) كان أعرج، وأن سبب ذلك أنه - في صباه - أمسك عصفوراً وربطه بخيط فى رجله، فأفلت من يده، فأدركه وقد دخل في خرق، فجذبه فأنقطعت رجله، فتبألمت أمه لذلك وقالت: «قطع الله رِجل الأبعد، كما قطعت رجله»، فلما كبر الزمخشرى رحل إلى بخارى طلبا للعلم، فسقط عن الدابة فأنكسرت رجله(٨). وإذا أريد الإشارة إلى المؤنث قيل البعيدة.

٢٢- **(يجئ على الأبلق)**. أبلق: هو معروف فى الخيل وغيرها، فليس مما نحن فيه، إلا أن العامة تضرب المثل تهكما لمن لايقدر، فتقول: يجئ على الأبلق. ش/٦٠.

والبَلَق في الفرس: وجود سواد وبياض فيه، «فهو أبلق، وهى بلقاء»(١). ويقال فى المثل: «طَلَبَ الأبلقَ العَقُوقَ»، أى: طلب مالا يمكن؛ لأن الأبلق: الذَّكَر، والعَقُوق: الحامل، ومنه قول الشاعر:

طَلَبَ الأبلقَ العقوقَ فلما ... لم ينلْهُ أراد بيض الأَنُوقِ (٢)

وقيل أن الأنوق: العُقَاب، وقيل: الرَّخَمة، وقال آخرون: ذَكر الرَّخَم. وزُعم أنه «طائر أسود مثل الدجاجة العظيمة أصلع الرأس، أصفر المنقار... وفى المثل: هو أعزُّ من بيض الأنوق، لأنها تحرزه فلا يكاد يُظفر به، لأن أوكارها فى رءوس القلل والمواضع الصعبة البعيدة»(٣).

وجاء فى المثل أيضا: (تَمَرَّدَ ماردٌ وعز الأبلقُ). و(مارد) و(الأبلق): «حصنان، قصدتهما الزَّباء ملكةُ الجزيرة، فلم تقدر عليهما، فقالت: تمرد

ماردٌ وعَزَّ الأبلقُ»(٤) . ويضرب المثل فى العز والمَنَعة . ويقولون كذلك : (أشهر من أبلق) ، وضرب المثل بالأبلق، وهو من فيه سواد وبياض، «لقلة البَلَق فى العرب، ولأنه إذا كان فى ضوء ظهر سوادُه، وإن كان فى ظلمة ظهر بياضُه»(٥) .

فالتعبير (يجئ على الأبلق) إنما هو من باب السخرية لمن لا يستطيع، وقد يكون هذا القول ذا صلة بالمثل العربى (طلب الأبلقَ العقوقَ) . ونرى أن هذا التركيب ليس شائعاً بين العامة .

* * * *

الهوامش

١- آذان الحيطان

١- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب. ص ٣٣٥.

٢- أساس البلاغة: أذن. ص٤.

٣- هو أبو حفص عمر بن على.

٢- ابن البلد

١- لسان العرب: مرغ. ص ٤١٨٤.

٢- القاموس المحيط: مرغ. ص ١٠١٧.

٣- قاموس العادات والتقاليد. ص٧.

٣- إيش

١- انظر: رسائل الجاحظ: ٤/ ١٠٠

٢- لسن العرب: أنس. ص ١٤٩.

ويقال: «كيف ابنُ إنْسِكَ، وإنْسِكَ، يعنى نفسه، أى كيف ترانى فى مصاحبتى إياك». الصحاح: أنس: ٣/٩٠٥.

٣- انظر: الأغانى: ١/ ١٧٤.

٤- انظر: تاج العروس: ثقل: ١٤/ ٨٦.

٥- سورة (ص). الآية (٣٣).

٦- لسان العرب: مسح. ص ٤١٩٧.

٧- انظر: تاج العروس: أيش: ٩/٥٦.

٨- رسائل الجاحظ: ٤/١٠٠.

٩- أعمار الأعيان: ص١١.

١٠- مجمع الأمثال: ١/١٥٥.

١١- محنة الإمام أحمد بن حنبل. ص٧٤، وانظر: معجم الأدباء: ٣/٤٧٥.

٤- ايوه

١- وبدءا من (إيْ بمعنى نعم)... حتى (به وحده) من الكشاف: ٢/١٩٤.

٢- سورة يونس. الآية (٥٣).

٣- مغنى اللبيب: ١/٨٩، ٩٠، وانظر: الجنى الداني. ص ٢٣٤، ٢٣٥.

٤- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب. ص ٢٢١، ٢٢٢.

٥- معجم عطية في العامي والدخيل. ص٢٢.

٦- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية: ٢/٩٢.

٥- بَرَّق عينه له

١- تاج العروس: برق: ١٣/٣٤.

٢- إصلاح المنطق. ص ٢٢٦.

٣- مجمع الأمثال: ١/١٥٧.

٤- جمهرة الأمثال: ١/ ٢٢٠ .

٦- بودي

١- الدليل إلى مرادف العامي والدخيل. ص٦١، وانظر: المحكم فى أصول الكلمات العامية. ص٢٦ .

٢- لسان العرب: بدد. ص٢٢٨ .

٣- الصحاح: ودد: ٢/٥٤٩ .

٧- تربية القاضي

١- فقه اللغة وسر العربية. ص ٣٦٢، ٣٦٣ .

٢- معجم مصطلحات الأدب. ص١٥٣ .

٣- سورة النساء. الآية (٤٣) .

٤- سورة البقرة. الآية (١٨٧) .

٥- سورة النساء. الآية (٢١) .

٦- سورة البقرة. الآية (١٨٧) .

٧- سورة المائدة. الآية (٧٥) .

٨- انظر: الإتقان فى علوم القرآن: ٢/ ٧٩٠ .

٨- حسيبك الله

١- لسان العرب: حسب. ص ٨٦٣ - ٨٦٦ .

وعند ابن دريد أنه لامرأة من بنى نمير، أو هى غَيْثَة أم الهيثم .

انظر: الاشتقاق. ص٧٤، وانظر كذلك: العقد الفريد: ٦/٣٠٨، وتفسير أسماء الله الحسنى. ص٤٩.

٢- الزاهر فى معانى كلمات الناس: ١/٩٧، ٩٨.

٣- انظر: أمالى القالى: ٢/٢٦٢، والفاخر. ص١٨١.

٩- حماتي تحبني

١- الصحاح: حمى: ٦/٢٣١٩.

٢- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف. ص٢٣٢.

١٠- خشنت صدره

١- لسان العرب: خشن. ص١١٦٩.

والبيت فى ديوان عنترة. ص٦٦، وفيه: (خشنت) بتاء المخاطبة، و(غيبه) بدل (جيبه).

٢- الكتاب: ١/٩٢.

٣- لحن العوام للزبيدى. ص٢٦٠.

٤- لسان العرب: شحن. ص٢٠٠٩.

١١- دار على كذا

١- تاج العروس: دور: ٦/٤٢٠

٢- الأغانى: ١/١٢٣.

١٢- راكب رأسه

١- أساس البلاغة: ركب. ص١٧٥.

٢- مقامات الزمخشري. ص٦٢.

٣- السابق. ص٦٢. هامش (٥).

١٣- رد الباب

١- الصحاح: ردد: ٢/٤٧٣.

٢- المعجم الوسيط: ردد. ص٣٣٧.

٣- عقلاء المجانين. ص٨٢.

١٤- سكران طينه

١- انظر: الصحاح: سكر: ٢/٦٨٧.

٢- لسان العرب: سكر. ص٢٠٤٧.

١٥- صاحت عصافير بطنه

١- تاج العروس: عصفر: ٧/٢٣٧، وانظر: أساس البلاغة: عصفر. ص٣٠٣.

٢- الفاخر. ص ١٣٠، وانظر: مجمع الأمثال: ٢/٢٢٨.

٣- مجمع الأمثال: ٢/٢٨٥.

١٦- فذلكة

١- القاموس المحيط: فذلك. ص١٢٢٧

٢- لفظ القماط. ص٣٥.

٣- كناشة النوادر: ١/١٧.

٤- السابق: ١/١٧.

١٩- من الباب إلى الطاق

١- الكنايات العامية. ص٤٧.

- الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية. ص٤٥، وانظر: المحكم فى أصول الكلمات العامية. ص١٣٩.

٢٠- هذا مجانس لهذا

١- المجمل لابن فارس: جنس. ص١٤٠، وانظر: ذيل فصيح ثعلب. ص٢١.

٢- الصحاح: جنس: ٣/٩١٥

٣- القاموس المحيط: جنس. ص ٦٩١.

٤- لسان العرب: جنس. ص ٧٠٠.

٢١- هلك الأبعد

١- الصحاح: بعد: ٢/٤٤٨.

٢- تاج العروس: بعد: ٤/٣٦١.

٣- سورة هود. الآية (٩٥).

٤- لسان العرب: بعد. ص٣١٠.

٥- السابق: أخر. ص٣٩.

٦- السابق: بعد. ص٣٠٩.

٧- معجم تيمور الكبير: ٢/ ١٠.

٨-انظر: وفيات الأعيان: ٥/١٦٩.

٢٢- يجئ على الأبلق

١- المعجم الوسيط: بلق. ص٧٠.

٢- تاج العروس: بلق: ١٣/ ٤٥.

٣- السابق أنق: ١٣/ ١١، ١٢.

٤- مجمع الأمثال: ١/ ٢٢٢، وانظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. ص٥٢١.

٥- العقد الفريد: ٣/ ٣٤.

* * * *

المحور الثاني

الأفعال والأسماء الدالة على الأفعال

١ - **آساه**: أى ساعده وصيره أسوة به ومثله... والعامة تقول واساه فى شدته. وكذا وقع فى شعر أبى تمام، قال التبريزى فى شرحه: الصواب آساه، لأنه من صيره أسوته أى مثله، إلا أن العامة تقول واساه. وقد استعملوا مثله فى مواضع كثيرة، مثل آكله وآخاه. ش/ ٤٠، ٤١.

ونراهم «يقولون: واسيتك بمالى وواكلت فلانا... وواخذته بذنبه.. والصواب: آسيتك بمالى وآكلت فلانا... وآخذته بذنبه... وهو القياس، وقد جاء بالواو. حكى الأخفش آخذته بذنبه وواخذته. وقد قرأ وَرْشٌ ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥، والمائدة: ٨٩]. وكذلك آكلته وواكلته...»(١).

فمجئ الكلمة بالواو (واسيت) جعلها مجاورة لنظيرتها (آسيت)، مما دفعهم إلى القول: «آخيت، وواخيت، وآكلت، وواكلت، وآسيت، وواسيت»(٢)، ومع هذا لم يقبل بعضهم الكلمة الواوية (واسيت)، وعندهم أنه من الخطأ أن يقال: «واسيتك بمالى. والصواب: آسيتك، وهى المؤاساة، مهموز» (٣).

ونميل إلى القول بأن (واساه) لغة فى (آساه)، وهو ما صرح به الجوهرى؛ إذ يقول: «آسيته بمالى مواساةً، أى جعلته إسوتى فيه. وواسيته لغة ضعيفة فيه» (٤)

٢ - **أوراه**: بمعنى أراه عامية، لكن قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ قرأ الحسن سأوريكم، وهى لغة فاشية

بالحجاز، يقال أورنى كذا وأوريته، ووجهه أن يكون من أوريت الزَّنْد، أى بيَّنَه لى وميزه. ش/٣٩.

وقد أورد الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾(١)، أن الحسن قرأ «سأوريكم، وهى لغة فاشية بالحجاز، يقال: أورنى كذا وأوريته، ووجهه أن تكون من أوريت الزَّنْد، كأن المعنى بَيِّنَه لى» (٢). وقيل: إن «ظاهر هذه القراءة مردود، لأنه سأُفْعِلكم من رأيت، وأصله سأُرْئيكُم، ثم خففت الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الراء، فصارت سأُريكم. قال: وإذن لاوجه لها... إلا أن لها وجها ما، وهو أن يكون أراد ﴿ سَأُرِيكُمْ ﴾، ثم أشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واوا، فصارت «سَأُورِيكم)»(٣).

وظاهرة الإشباع، ويطلق عليها ابن جنى مَطْل الحركات، تعنى مد الحركة حتى يتولد منها حرف من جنسها، فينشأ «بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو» (٤)، ولهذه الظاهرة شواهد عديدة فى الشعر والنثر. يقول الفرزدق (٥):

تَنْفِى يَدَاها الحَصَى فى كل هاجرةٍ

نَفْىَ الدراهيم تَنْقَادُ الصياريفِ

والأصل فى الكلام: الدراهم والصيارف. وقيل: إن الدراهيم جمع درهم، وعليه فلا إشباع. أما الصياريف فمفرده: الصراف، والصيرف، والصيرفى، والأصل: الصيارف، وثمة ضرورة؛ إذْ «لما احتاج إلى تمام الوزن أشبع الحركة ضرورة حتى صارت حرفا» (٦). ومما جاء فى النثر ما رواه الفراء من أنه سمع بعضهم يقول: «أكلت لحما شاةٍ، وهو يريد لحم شاة، فأشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفا» (٧).

ويشيع فى العامية (وَرَّاه)، بمعنى أراه، وأهل الحضر يقولون: وَرَّانى، مرققة، أى أرانى، بينما يقول أهل الصعيد: وَرَّانى، مفخمة. كما تستخدم الكلمة عندهم أيضاً بمعنى خلفى، فى قولهم مثلا: الباب الورانى.

٣- **أوميت**: ناقصا بمعنى أومأت.. وفى الصحاح: أومأت إليه: أشرت ولا تقل أوميت [١].. أقول: الصحيح إنه لغة مسموعة. قال [٢]:

أَوْمَى إلى الكومـاءِ هذا طارقٌ نَحَـرَتْنِى الأعـداءُ إنْ لم تَنْحَـرِ

وقال اللبلى [٣] فى (شرح الفصيح): أومأت إليه: أشرت بيد أو حاجب، مهموز. قال ابن دُرُسْتَوَيه: والعامة تقول: أوميت. وحكى ابن قتيبة فى (أدب الكاتب) أوميت، وعن ابن خالويه: وميت، وحكاه يونس فى نوادره. ش/٣٩.

وقد خَطَّأَ كثيرون قولهم (أوميت)، قائلين: إن الصواب (أومأت)، ومن هؤلاء ابن السكيت، والجوهرى، وأجازه بعضهم، ومنهم ابن قتيبة وابن دُرُستويه.

ويقول ابن السكيت: تقول: «قد أرخت الكتاب تأريخاً، ووَرَّخته تاريخاً.. وقد آصدت الباب وأوصدته. وقرئ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[٤]، و(مؤصدة)، أى مطبقة... وقد آسدت الكلب وأوسدته، إذا أغريته بالصيد»[٥]. وعنده أيضاً أنك «تقول: أومأت إليه، ولا تقل: أوميت»[٦].

وأورد ابن قتيبة فى (باب ما يهمز وسطه من الأفعال، ولا يهمز بمعنى واحد) أنه قد روى «أومأت إلى فلان، وأوميت»[٧]، فهما من باب ما يهمز أوسطه من الأفعال، والمعنى واحد. وعند ابن درستويه أن قولهم: أومأت إلى الرجل، معناه « أشرت إليه بيد أو غيرها، مثل العين والحاجب،

وهو مهموز، على مثال أفعلت... والعامة تقول: أوميت، بترك الهمز، وإبدال الياء، وهو جائز فى القياس، والهمز أفصح»(٨).

والفعل (أوما) مثل (وَمَأَ)، والمعنى فيهما واحد، أى أشار، و«الإيماء أن تومئ برأسك أو بيدك، كما يومئ المريض برأسه للركوع والسجود. وقد تقول العرب: أومأ برأسه، أى قال لا»(٩).

وأنشد الأخفش:

إذا قَلَّ مالُ المرءِ قل صديقُهُ ... وأَوْمَتْ إليه بالعيوبِ الأصابعُ

«إنما أراد: أومأت، فاحتاج فخفف تخفيف إبدال، ولم يجعلها بَيْنَ بَيْنَ، إذ لو فعل ذلك لانكسر البيت؛ لأن المخففة تخفيف بين بين فى حكم المحققة»(١٠).

ويورد ابن قتيبة قولهم (توضأت) فى (باب الأفعال التى تهمز، والعوامُّ تَدَعُ همزتها)، ولذا قالوا: «لا تقل: توضَّيتُ بالياء بدل الهمز، قاله غير واحد. وقال الجوهرى: وبعضهم يقوله، وهو مراد المصنف من قوله لُغَيَّة أو لُثْغَة... ونقل شيخنا عن اللبلى: ذكر قاسم عن الحسن أنه قال يوماً: توضَّيت، بالياء، فقيل له: أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال: إنها لغة هُذيل وفيهم نشأت»(١١)، كذلك فإنهم «قد أبدلوا من الهمزة فقالوا فى قرأت: قَرَيْت»(١٢).

ولم يقف الأمر عند حد تعدد اللغات فى الفعل، حتى إنهم رصدوا أربع لغات فيه، إذ يقال: أومأت، وأوميت، وَوَمَأت، ووميت، وإن كان الهمز أجود، بل إنهم قالوا: إنه «يجوز فيه إبدال الميم باءً، قالوا: أوبأت وَوَبَأْتُ، بمعنى واحد. وقال قوم: الإيماء: إشارة إلى قُدَّام، والإيباء: إشارة إلى خلف. ويقال: الإيماء بيدٍ، والإيباء برأس»(١٣).

وذُكر أن فى (قرأت) ثلاث لغات؛ فمن «العرب من يحقق، ومنهم من يبدل، ومنهم من يليِّن. فالتحقيق: قرأت، والتليين: قراتُ، والبدل: قَرَيْتُ»(١٤).

٤ ـ باس: بمعنى قَبَّلَ، مولدة عامية. ش/٦٨.

ويقال فى العامية باسه يبوسه، أى قَبَّلَه، و«البَوْس؛ بالفتح: التقبيل، فارسى معرب»(١)، وينطق عند العامة بضم الباء. وفى الفارسية: (بوسه): قُبْلَة، و(بوسيدن): تقبيل.

قال الشاعر(٢):

لو تَعْلَمُ الدارُ من جاءَ زائرَهَا ... لاستقبلتْهُ وباستْ موضعَ القدمِ

وقال أبو نواس(٣):

نراه قمرا يجلو الدُّجَى قد فتنَ الناسَا

....

وإن جاذبتَه نامَ وإن هازلتَه باسَا

وقال آخر(٤):

ولقد قال لى صديقى لمَّا ... أن رآنى أضرَّ بى الإفلاسُ

....

أين من كان عندهم يرفع... .. على الراحلتين ثم يُباسُ

وورد فى مقامات الزمخشرى: «وأقبل على العلم يبوسُ الأرض بين يديه وعلى الأدب يعتنقه ويلثم خديه»(٥).

٥ ـ **بَس**: بمعنى حسب، في استدراك الزبيدى، ليست عربية، وذكرها في العين. ش/٦٨.

ويشيع بين العامة كلمة (بَس) بمعنى كفى أو فقط، وهو لفظ «مولد، ليس من كلام العرب»[١]. و«تقول لحديث يستطال: بَسْ، والبَسُّ: الخلط، وعن أبى مالك: البَسُّ: القطع، ولو قالوا لمحدثه (بسا) كان جيدا بالغاً بمعنى المصدر، أي بس كلامك بسا، أي اقطعه قطعاً... وفي كتاب العين: بَسْ بمعنى حَسْب. قال الزبيدى في استدراكه: بَسْ بمعنى حَسْب غير عربية»[٢]. وبَس: اسم فعل.

واختُلف في أصل الكلمة، فقال بعضهم إن أصلها فارسي؛ إذ تجيء بمعنى: كفى. كثير. حسب[٣]. وقال آخرون إنها من الإيطالية، «وأصلها بَشْتَا، وعربيها الفصيح حَسْب، أي كفى»[٤].

٦ ـ **تأني**: في الطلب يستأني، أي ينتظر، وهو استفعال من الإنى، بكسر الهمزة وفتح النون وتسكينها أيضاً، وهو واحد الآناء، وهي الساعات. انتهى. وقس عليه تأني. ش/٨٩.

ويقال «أنِىَ وتأنَّى واستأنَى: تثبت. وقد كنت استأنيت بكم، أي انتظرت وتربصت؛ يقال: آنَيْتُ وأنَّيْتُ واستأنيت. الليث: يقال: استأنيت بفلان أي لم أُعْجِلْه. ويقال: استأنِ في أمرك أي لا تعجل، وأنشد:

استأنِ تظفرْ في أمورك كُلِّها ... وإذا عزمتَ على الهوى فتوكلِ

... وتأنى في الأمر أي ترفق وتنظر. واستأنى به أي انتظر به»[١]. وجاء «في حديث غزوة حُنين: (وقد كنت استأنيت بكم)، أي انتظرت

وتربصت... وفي حديث صلاة الجمعة «رأيتك آنيت وآذيت». قال الأصمعي: أي أخرتَ المجيء وأبطأت وآذيت الناس بتخطي الرقاب»[٢].

ويقول العوام: (استنى) «بمعنى تمهل، حرفوها عن تأنَّ أو استأنِ»[٣].

٧ ــ تلاشي: بمعنى الاضمحلال، عامية، لا أصل لها في اللغة. قيل كأنها مشتقة من لا شيء كَبَسْمَلَ وحَمْدَلَ في باب النحت. ش/٨٤.

ويقولون تلاشى الشيء، أي زال وفني، والتلاشِي: الزوال والفناء، والكلمة مشتقة من (لا شيء). ويقولون أيضاً: لاشْ، وهو «مختصر عن لا شيء، ويستعمل غالباً في الازدواج، كقولهم: الماشْ خير من لاشْ... واستعملوا منه التلاشي، وكأنه مولد»[١]، ومعنى الماش «قُماش البيت... أي ما كان في البيت من قُماش لا قيمة له خير من خُلُوه، أي من بيت فارغ لا خير فيه، فخفّف لاش، لازدواج ماش»[٢]. وقطع بعضهم بأن (تلاشى) فعل مولد[٣]، وزعم آخرون أنها آرامية الأصل، بمعنى قُلع واستؤصل[٤].

ووردت الكلمة كثيراً في استعمال القدماء؛ إذ جاء في البيان والتبيين للجاحظ (١٥٩ ــ ٢٥٥هـ): «(إن الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلق وسواهم ومكن لهم، لاشَاهم فتلاشَوْا). ولولا أن المتكلم افتقر إلى أن يلفظ بالتلاشي لكان ينبغي أن يؤخذ فوق يده»[٥]. ويقول ابن رشيق القيرواني (٣٩٠ ــ ٤٦٣هـ): إنه إذا «اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه... وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشَى لم يصح له معنى»[٦]. واستخدم ابن خلدون (٧٣٢ ــ ٨٠٨هـ) الكلمة، حيث يقول عن الدينار والدرهم إن عبدالملك بن مروان «نقش عليهما السِّكَّة باسمه وتاريخه... وطرح النقود الجاهلية.. وتلاشى وجودُها»[٧].

٨ ـ **جَرَّسَهُ**: إذا شهره، وأصله أن مَنْ يشهر يجعل فى عنقه جرس ويركب على دابة مقلوباً، أى وجهه من جهة ذَنَبِها. ش/١٠١.

أما الجَرَس فهو ما «يعلق فى عنق البعير، قال ابن دريد: اشتقاقه من الجَرْس، أى الصوت.... والتجريس بالقوم، التسميع بهم والتنديد... والاسم: الجُرْسة»(١). ويذهب أحمد أمين إلى أن الجُرْسة بمعنى الفضيحة «كانت فى الزمن الماضى إحدى العقوبات، فكان الحكام الأتراك إذا أرادوا التشهير بمذنب أركبوه ووجهه إلى ذيل الحمار، ويصيح الأطفال صيحات مناسبة......»(٢) إلا أن الثابت أن هذه العقوبة تعود إلى ما قبل العصر العثمانى بزمن طويل؛ إذ جاء فى (فتوح البلدان) للبَلَاذُرِى، (المتوفى ٢٧٩هـ)، أن والى المدينة أبان بن عثمان عاقب «من يقطع الدراهم بضربه ثلاثين، وأن يطاف به»(٣)، وكان الطواف بالقاطع يعنى «أن يدار به فى الشوارع تشنيعاً لعمله. وكانت العادة فى هذا التشنيع فى بغداد، أن يجعل فى عنق المتهم جرس، ويركب على دابة مقلوباً، أى وجهه من جهة ذَنَبِها... (أو) يُسَيَّر بين يدى المذنب رجل وبيده جرس يديم القرع به تنبيها للناس... (أو) يُلبس الأثيم قلنسوة فيها أجراس، ويكره على هزها بلا انقطاع... ولهذا كان يسمى هذا التشهير تجريسا، لاتخاذ الجَرَس آلة، لتحقيق هذه الغاية(٤).

٩ ـ **زغلط**: إذا صوت بلسانه بغير حروف، كما يفعله نساء العرب. ش/١٤٣.

ويقال فى العامية: زَغْرَدَ فلان، أو «زَغْرَتَ، أو زَغْرَطَ: رَدَّدَ صوتاً فى جوفه يطلقه إلى خارجه مع تحريك اللسان، ليقطِّع الصوت وينغمه، ليعبر عن فرحه وسروره»(١). والزَّغْرَدَة: فعل خاص بالنساء غالباً، وهى

في الأصل «هدير يردده الفحل في حلقه»[٢]. وقولهم (زغرط) بدل (زغرد) تبدل فيه الدال طاءً، وثمة كلمات عديدة تكون بالدال والطاء، إذ يقال: مَدَّ ومَطَّ. ويقولون: ماله إلا هذا فَقَدْ، وإلا هذا فَقَطْ. والإبعاد والإبعاط واحد[٣]. وقد تتحول الطاء في (زغرط) إلى تاء، فيقولون: زغرت، وتحوُّل الطاء إلى تاء إنما هو تحول لصوت شديد مطبق إلى آخر شديد مهموس.

١٠ ـ سَوَى: يَسْوى بمعنى يُساوى عامية... قال الجواليقى هذه لفظة عامية، والصواب لا تساوى، انتهى. وفي المصباح ساواه يساويه صار معه سواء، وفي لغة قليلة سوي درهما يسواه من باب تعب، ومنعها أبو زيد. وقال الأزهرى ليس عربياً صحيحاً. ش/ ١٥٠، ١٥١.

ويقول العامة: هذا الشيء لا يِسوى كذا، أي لا يعادله في القيمة، وقال بعضهم إن «ذلك خطأ؛ لأنك تقول: ساواه يُساويه، ولا تقول: سَوَاه، وقد جاء في الشعر لا يَسْوَى وهو ضعيف»[١]. وقولهم (يَسْوى) بوزن يَرْضى «لغة قليلة... وفي التهذيب: قال الفراء: لا يُساوى الثوبُ وغيرُه كذا ولم يُعرف يَسْوَى. وقال الليث: يَسْوَى نادرة، ولا يقال منه سَوِىَ ولا سَوى... قال الأزهرى: قلت: قول الفراء صحيح، ولا يَسْوى ليس من كلام العرب بل من كلام المولدين، وكذا لا يُسوى ليس بعربى صحيح، انتهى؛ الأخيرة بضم الياء، وهي كثيرة الجرى على ألسنة العامة»[٢]. وعلى الرغم من إنكار الكثيرين لقولهم (لا يَسْوى)، إلا أن البعض قال إنها «صحيحة فصيحة، وهي لغة الحجازيين، وإن ضعَّفها ابتذالها، قالوا: وهي من الأفعال التي لا تتصرف، أي لم يُسمع منها إلا فعل واحد ماض كَعَسَى وتبارك، أو مضارع كَيَسْوى»[٣].

١١ ـ **شَوَّشَ**: بمعنى خَلَطَ... وقال أبو منصور: هوشتُ الشيء إذاخلطته.. ولاتقل شوشته؛ فقد أجمع أهل اللغة على أن التشويش لا أصل له في العربية وأنه من كلام المولدين... وأما قولهم لذؤابة أعلى الرأس شوشة فعامي مبتذل. ش/ ١٦٠.

وليس ثمة شك على أن (التشويش) ليس من العربية، وقد أورد الجوهري في الصحاح: «التشويش: التخليط. وقد تشوَّش عليه الأمر»(١). ويشيع بين العامة الألفاظ: التشويش، والمُشَوَّش، والتشوُّش، و«كلها لحن، ووهم الجوهري، والصواب: التهويش، والمُهَوَّش، والتَهَوُّش... وقال الأزهري: أما التشويش، فإنه لا أصل له، وإنه من كلام المولدين، وأصله التهويش، وهو التخليط»(٢)؛ فقولهم: شوشت الأمر وهو مُشَوَّش، خطأ، «والصواب أن يقال فيه: هَوَّشْته وهو مُهَوَّش؛ لأنه من الهَوْش، وهو اختلاط الشيء»(٣).

وجاء في غريب الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه «إياكم وهَوَشَات الليل وهَوَشَات الأسواق»، وروى: هَيْشَات. هي الفتن؛ من الهَوْش، وهو الخلط والجمع»(٤). وورد أيضاً: «من أصاب مالا من مَهَاوِش أذهبه الله في نَهَابِر». أي من غير وجوه الحل، من التهويش وهو التخليط، كأنه جمع مَهْوَش... النهابر: المهالك... والأصل جمع نُهبورة»(٥).

أما (الشُّوشة)، وتعني الخُصلة من الشَّعر تنزل من وسط الرأس، فقد تكون مأخوذة من (شَوَّشَ) أي فَرَّقَ؛ إذ يقال: كان بين القوم شواشٌ، أي تفرق واختلاف، ذلك أن (الشوشة) تكون مختلفة عن بقية شعر الرأس.

١٢ ـ **عَسَلَهُ**: يستعمل بمعنى جعله حلوا، كما ورد في الحديث: «إذا أراد الله بعبد خيرا عَسَلَهُ. قيل: يارسول الله: ومَاعَسَلَهُ؟ قال: يُفتح له

عمل صالح قرب موته حتى يرضى عنه مَنْ حوله». قال ابن قتيبة: عَسَلْتُ الطعام جعلت فيه العسل، فشبه به العمل الصالح. انتهى... وعَسَّلَ النائم بمعنى هَوَّمَ كأنه من العَسَلان، وهو الاهتزاز. ش/١٨٦، ١٨٧.

ويقال: «عَسَلَ الشيءَ يعسِله ويعسُله عَسْلا وعسَّله: خلطه بالعسل وطيّبه وحَلَّاه»[١]. وفى الحديث: «(إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً عَسَلَه. قيل: يارسول الله، وما عَسَله؟ قال: يفتح الله له عملاً صالحاً بين يدى موته، حتى يرضى عنه مَنْ حوله). هو من عَسَلَ الطعامَ يعسِله ويعسُله، إذا جعل فيه العسل، كأنه شبه ما رزقه الله من العمل الصالح الذى طاب به ذكره بين قومه بالعسل الذى يُجعل فى الطعام فَيَحْلَولِى به ويطيب»[٢].

ويقول العوام: عسَّل، بالتشديد، بمعنى جعله حلواً، وإذا قالوا: هذا معسّل، فالمقصود أن فيه زيادة فى الحلاوة. ويقولون أيضاً: التعسيلة، ويعنون النومة الخفيفة.

١٣ ـ **غَرَفَ**: تناول من القِدْر، وآلته المِغْرَفة، بكسر الميم كما هو القياس وعليه السماع، والفتح خطأ ظاهر. ش/١٩٣.

ويقال: «غَرَفَ الماءَ بيده يغرِفه بالكسر ويغرُفه بالضم غَرْفاً، واقتصر الجماعة على الكسر فى المضارع فقط: أخذه بيده... والمِغْرَفة كَمِكْنَسة: ما يغرف به والجمع المَغارف»[١]، وهى «تصنع من الخشب، فإن كانت من معدن سُمِّيت كبشة»[٢].

وأورد ابن هشام اللخمى فى (باب ما تلحن فيه العامة مما لا يحتمل التأويل ولاعليه من لسان العرب دليل) أنهم «يقولون المَغْرفة، بفتح الميم. والصواب: المِغْرفة، بكسرها»[٣].

١٤ ـ **فـرط**: العامة تقول لتبديد حبات العقد والرمان ونحوه: تفريط. ش/٢٠٣.

ويقول العوام: فَرَطَ فلان العنب والرمان ونحوهما أى فَرَّقَ الحَبَّ منهما. وإذا أرادوا شيئاً مُفَرَّقا وصفوه بأنه فَرْط. ويقولون فى سوريا، مثلاً، للوحدات الصغيرة من النقود: (فراطة).

والفَرْط ـ فى اللغة ـ الاسم من «أفرط فى الأمر، أى جاوز فيه الحد... يقال: إياك والفَرْط فى الأمر»(١). والإفراط: مجاوزة الحد، وعكسه: التفريط، أى التضييع والترك. ويبدو أن قول العوام مأخوذ من فَرَطَ فى الشىء، أى ضيّعه، فكأنهم عندما يقولون فَرَطَ العنبَ، يعنون أنه ضيّع صورة العنقود وأخفى ملامحها. وقد أثبت المعجم الوسيط الكلمة (فَرَطَ) على أنها محدثة.

١٥ ـ **فَشَّ**: فَشَّ القُفل: إذا فتحه بغير مفتاح. ش/٢٠٦.

يرد الفعل (فش) فى العامية لازماً، فى مثل قولنا: (فَشَّ الورمُ)، كما يرد متعدياً كما فى قولنا: (فَشَّ فُلانٌ غِلَّه). ويجىء الفعل فى الفصحى متعدياً، فيقال: «فَشَّ الوَطْبَ فَشًّا: أخرج زُبْدَه. وفَشَّ القِربة يفُشُّها فَشًّا: حل وكاءها فخرج ريحها»(١)، كما يكون لازماً، فتقول: «فَشَّ الرَّجلُ إذا تجشَّأ... ويقال: فَشَّ السِّقَاء: إذا خرج منه الريحُ... وانفش الجُرْحُ: سكن وَرَمُهُ»(٢).

ويستخدم العامة كلمة (فشوش) فى مثل قولهم: (ظَهَرَ أن الموضوع فشوش)، أى كان سراباً، كأنه لم يكن، والفَشُوش: «الناقة الواسعة الإحليل... (و) الضَّرُوط..»(٣). ويبدو أن العلاقة بين معنى (فشوش) فى العامية ومعناه فى الفصحى نابعة من التفرق والتبدد، فالناقة الفشوش هى

التى يجرى لبنها من غير حَلْب لاتساع إحليلها، فيضيع دون فائدة، والموضوع الفشوش هو الذى يذهب الجهد فيه سُدًى.

١٦ ـ (يتفرج) : فرجة: الذهاب للتنزه. ش/٢٠٥.

ويستخدم العوام الفعل (يتفرَّج) بمعنى يشاهد، ويتبدى فى قولهم «تفرجنا على الشىء بمعنى شاهدناه، وأكثر ما يستعمل هذا القول فى مشاهدة ما يورث النفس المتعة، أو فى النظر إلى ما تنبسط إليه النفس وتنفرج به من همومها، بما تراه من مشهد طريف من مشاهد الاستقبال، أو الاحتفال، أو اللعب، أو التمثيل، ونحو ذلك»[١].

وقد يكون الفعل مأخوذاً من (الفُرجة)، بتثليث الفاء، وتعنى «التَّفَصِّى، أى الخلاص من اللهم. والفَرْجة، بالفتح: الراحة من حزن أو مرض... ويقال: ما لهذا الغم من فَرْجة ولا فُرْجة ولا فِرْجة»[٢].

* * * *

الهوامش

١ ـ آساه

١ ـ المدخل إلى تقويم اللسان. ص ٥٩.

٢ ـ الغريب المصنف. ص ٣٩١.

٣ ـ تثقيف وتلقيح الجنان. ص ٧٤.

٤ ـ الصحاح: أسا: ٦/٢٢٦٨، وانظر: ذيل فصيح ثعلب. ص ٢٣.

٢ ـ أوراه

١ ـ سورة الأعراف الآية (١٤٥).

٢ ـ الكشاف: ٢/٩٣.

٣ ـ المحتسب: ١/٢٥٨.

٤ ـ الخصائص: ٣/١٢٣.

٥ ـ البيت في ديوانه.ص ٥٧٠.

و(تنفى): تبعد. و(يداها): يدا الناقة. والهاجرة: وقت انتصاف النهار واشتداد الحر. و(تنقاد): أحد مصادر نقد الدراهم ينقدها نقداً. ويصف الشاعر في البيت سرعة الناقة في الهاجرة. انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٢٩، وضرورة الشعر للسيرافي. ص ٧٣، والكتاب: ١/٢٨، وعبث الوليد. ص ٢٧.

ويروى: (الدنانير)، وكذا (الدراهم) بدل (الدراهيم).

٦ ـ لسان العرب: صرف. ص ٢٤٣٥.

٧ ـ المحتسب: ١/٢٥٨ .

٣ ـ أوميت

١ ـ الصحاح: ومأ: ١/٨٢.

٢ ـ يقال: سَنام أكوم: عظيم، وناقة كوماء: عظيمة السَّنام طويلته. والكَوْم: عِظَم فى السَّنام.

٣ ـ هو أحمد بن يوسف بن على الفهرى اللَّبْلى (٦١٣هـ ـ ٦٩١هـ)، نسبة إلى مدينة (لَبْلَة) بالأندلس، وفى (شفاء الغليل): الليلى، وهو خطأ. انظر: إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين. ص ٥٣ .

٤ ـ سورة الهمزة. الآية (٨) . ومن همز (مؤصدة)، «وهو مذهب أبى عمرو وحمزة، أخذه من آصَدْتُ الباب، فاء الفعل همزة ودخلت عليها ألف القطع مثل آمنت، والأصل أَأْصدت وأأْمنت. والمصدر آصَدَ يُؤْصِد إيصادا فهو مُؤصِدٌ، مثل آمن يؤمن إيماناً فهو مُؤْمِنٌ، والمفعول به مُؤْمَن وَمُؤْصَد». إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم. ص ٢٧٦ .

٥ ـ إصلاح المنطق. ص ١٥٩، ١٦٠ .

٦ ـ السابق. ص ١٤٨ .

٧ ـ أدب الكاتب. ص ٤٧٦ .

٨ ـ تصحيح الفصيح وشرحه. ص ١٨٢ .

٩ ـ لسان العرب: ومأ. ص ٤٩٢٦ .

١٠ ـ السابق: ومأ. ص ٤٩٢٦ .

١١ ـ تاج العروس: ومأ: ١/٢٧٦.

١٢ ـ أمالى القالى: ٢/١٨٦.

١٣ ـ شرح الفصيح: ١/٢٤٨.

١٤ ـ إعراب ثلاثين سورة. ص ٢١٣.

٤ ـ باس

١ ـ تاج العروس: بوس: ٨/٢١٢، وانظر: الألفاظ الفارسية المعربة. ص ٣١.

٢ ـ شرح المضنون به على غير أهله. ص ٢٢٠.

٣ ـ ديوانه: ٢/٢٥.

٤ ـ الغيث المسجم: ٢/٢٣٤.

٥ ـ مقامات الزمخشرى. ص ٨٤.

٥ ـ بس

١ ـ ذيل فصيح ثعلب. ص ٢٤.

٢ ـ المزهر: ١/٣٠٩، وانظر: لف القماط. ص ١٢.

٣ ـ انظر: تاج العروس: بسس: ٨/٢٠٤، ومعجم الواعد. ص ٨١.

٤ ـ الدليل إلى معرفة العامى والدخيل. ص ٥٢، وانظر: تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية. ص ١٠.

٦ ـ تانى

١ ـ لسان العرب: أنى. ص ١٦١.

وورد البيت فى اللسان بلا نسبة، ونسبه الزمخشرى فى (أساس البلاغة): أنى. ص ١١ لحارثة بن بدر.

٢ ــ تاج العروس: أنى : ١٩/١٧٣ .

٣ ــ معجم عطية فى العامى والدخيل،ص ١٩ .

٧ ـ تَلاشَى

١ ــ تاج العروس: لوش: ٩/ ١٩٠ .

٢ ـ السابق: موش: ٩/١٩٩ .

٣ ــ النقود العربية والإسلامية وعلم النميات. ص ٢٨٦ .

٤ ــ غرائب اللغة العربية. ص ٢٠٥ .

٥ ــ البيان والتبيين: ١/ ١٤٠ .

٦ ــ العمدة . ص ٩٢ .

٧ ــ مقدمة ابن خلدون: ٢/٧٠٢ .

٨ ـ جَرَّسَه

١ ــ تاج العروس: جرس: ٨/ ٢٢٤ .

٢ ــ قاموس العادات والتقاليد. ص ١٣٦ .

٣ ــ البلاذرى: فتوح البلدان. كتاب النقود. ص ١٣ .

ويقصد بقطع الدراهم: «نزع شىء منها انتفاعاً لنفس القاطع». النقود العربية والإسلامية. ص ٢٢ .

٤ ــ السابق. ص ٢٣ .

و(أو) فى الموضعين اللذين جاءا داخل أقواس من عملنا.

٩ـ زغلط

١ ـ معجم الألفاظ العامية ذات الأصول العربية. ص ٢٨٠.

٢ ـ لسان العرب: زغرد. ص ١٨٣٩.

٣ ـ انظر: أمالى القالى: ٢/١٥٥، ١٥٦.

١٠ـ سوى يسوى

١ ـ شرح الفصيح: ٢/٦٩٧.

٢ ـ تاج العروس: سوو: ١٩/٥٥٠.

٣ ـ السابق: سوو: ١٩/٥٥٠.

١١ـ شَوَّش

١ ـ الصحاح: شوش: ٣/١٠٠٩.

٢ ـ تاج العروس: شوش: ٩/١٣٢.

٣ ـ درة الغواص فى أوهام الخواص. ص ٤٧.

٤ ـ الفائق فى غريب الحديث: ٤/١١٩.

٥ ـ السابق: ٤/١١٨.

١٢ـ عَسَلَهُ

١ ـ لسان العرب: عسل. ص ٢٩٤٥.

٢ ـ الفائق فى غريب الحديث: ٢/٤٢٩.

النتائج

نستطيع أن نجمل النتائج المستخلصة من كل ما سبق فيما يلى:

١ ـ ثمة ألفاظ تستعملها العامة هى لغة فيها، مثل: (الدشيشة)، التى قيل إنها لغة فى (الجشيشة)، و(رُز)، لغة فى (الأُرز)، و(الخُوَّة)، لغة فى (الأُخُوَّة)، و(سِكِّينة)، لغة فى (السِّكِّين)، و(واساه)، لغة فى (آساه).

٢ ـ هناك ألفاظ اختُلف حول أصولها، مثل لفظ (العُجَّة)؛ إذ قال البعض إنه مأخوذ من العبرية، وقال غيرهم إن اللفظ مولد، ورغم آخرون إنها لغة شامية. ولفظ (فلفل)، الذى قيل إنه هندى، وقيل كذلك إن أصله فارسى. وكلمة (لوبيا) التى ذهب البعض إلى أنها يونانية، ورأى غيرهم أنها هندية، وقال آخرون إنها مأخوذة من الآرامية. وكلمة (فسقية) التى قد تكون من قولهم (فسقت الرُّطَبَة عن قشرها)، أى خرجت، فقيل (الفسقية) لخروج الماء منها، وقد تكون من اللاتينية. وكلمة (كَفْر)، إذ قال نفر إنها سريانية، وقال آخرون إنها عبرانية. وكلمة (مينا)، أى مرفأ السفينة، فقيل إنها مشتقة من الونى، وهو السكون والفتور، وقيل إن الكلمة مأخوذة من اليونانية، وقيل غير ذلك. وكلمة (مزهزهة)، فهى إما أن تكون من الفارسية، من (زِه) بمعنى أحسنت، أو من قولهم: زها النبت يزهو، إذا نبت ثمره وغلا وعلا. وكلمة (بس)، إذ قيل إن أصلها فارسى، وزعم أنها من الإيطالية. وكلمة (بُوز)، بمعنى فم، فهى من الفارسية عند البعض، ومن الإيطالية عند آخرين. وكلمة (تنبل) فهى فارسية معربة عن (تَنْبُول) عند جماعة، وهى عربية الأصل عند جماعة أخرى، من (الطِّنْبل) وهو البليد الأحمق. وكلمة (العربون) التى قيل إنها من اليونانية، وقيل كذلك إنها مشتقة من التعريب، وهو البيان، لأن العربون بيان للبيع.

٣ ـ ثمة ألفاظ اختلف العلماء حولها، مثل لفظ (صَنْجة)؛ إذ ذهب الفراء إلى أن الكلمة بالسين لا بالصاد، بينما كان رأى ابن السكيت مخالفاً لرأى الفراء، فعنده أن الكلمة بالصاد وليست بالسين، أما ابن منظورفذكر أن (السنجة) لغة فى (الصنجة)؛ فالسين ـ فى رأيه ـ أفصح، لأن الصاد والجيم لا يجتمعان فى كلمة عربية. ومما كان موضع اختلاف أيضاً قولهم (أوميت)، إذ قال البعض، ومنهم ابن السكيت والجوهرى، إن الصواب (أومأت)، وأجاز آخرون، ومنهم ابن قتيبة وابن دُرُسْتَويه أن تقول (أوميت).

٤ ـ تلجأ العامية إلى النحت، كما فى قولهم (أيوه)، المنحوتة من (إى والله)، و(الفَذْلكة)، من (فذلك كذا وكذا)، وتعوِّل على الكناية، كما فى التركيب (تربية القاضى)، كناية عن اللقيط، وفى قولهم (فلان راكب دماغه)، كناية عن العناد، وقولهم (صاحت عصافير بطنه)، كناية عن الجوع، وقولهم (كيت وكيت)، كناية عن قصة أو حديث.

٥ ـ هناك فى العامية ما يمكن أن نسميه (تعميم الدلالة)، ويبدو ذلك فى إطلاق كلمة (القرافة) على المقابر، بينما (القرافة) ـ فى الأصل ـ قبيلة يمنية يعود نسبها إلى يعرب بن قحطان، نزلت مكاناً معيناً بالفسطاط مجاوراً للمقابر، فسُمِّى المكان بهم.

٦ ـ قد يرد عند العوام ألفاظ تعد من باب (لحن العامة)، مثل قولهم: (الظُّرف)، بالضم، بمعنى الكِياسة وحسن العبارة، والصواب (الظَّرْف)، بالفتح. وقولهم: (مهول)، بمعنى مفزع، والصواب (هائل). و(ذبَّانة) و(ذبَّان)، والصواب (ذُبابة) و(ذُباب). و(مِيضة) ـ لمكان الوضوء ـ والصواب (مِيضأة). و(مينه)، والصواب (مينا)، بالقصر، و(ميناء)، بالمد. و(المغرفة)، بفتح الميم، والصواب بكسرها.

٧ ـ أن الصفات التى بوزن (فَعِيل) قد ترد بالفتح، نحو: طَويل، وحَزين، ولَطيف، وقد ترد بالكسر، نحو: كِبير، وسِمين.

٨ ـ أن العامية تجد متسعاً فى الاشتقاق حتى من الكلمات التى أصولها غير عربية، مثل (البوز)، وهو لفظ غير عربى؛ إذ يقال: بَوَّزَ، ومبوِّز، والتبويز. واشتق العوام من (العربون)، فقالوا: (يعربن)، فى مثل قولهم (فلان يعربن على كذا)، أى يتمنى الحصول عليه. وقالوا: (الناموسية) من (الناموس)، وهو البعوض.

٩ ـ للمجاورة اللفظية دور فى معانى بعض الألفاظ فى العامية، فالعامة تطلق على موضع السجود من الوجه (الجبين). أما الجبين فهو ما فوق الصُّدْغ، وللإنسان جبينان، وأما الجبهة فهى موضع السجود من الوجه.

١٠ ـ قد يكون للمزاوجة أثر فى نطق بعض الحروف، ومن ذلك نطقهم (زين) للحرف (الزاى)، ليزاوج ما بعده: زين، سين، شين.

١١ ـ قد تتغير بعض الألفاظ الفصيحة المستخدمة فى العامية تغيراً دلالياً، ومن ذلك لفظ (الطَّهارة)، الذى يعنى فى الأصل التطهر بالماء، وصار يعنى فى العامية (الخِتان).

١٢ ـ يلاحظ ارتقاء الدلالة فى بعض الألفاظ، مثل كلمة (العَفْش)، التى تعنى أثاث المنزل، بينما تتعلق دلالتها الأصلية بالشيء البالى.

١٣ ـ هناك ألفاظ انحطت دلالتها عند العامة، مثل لفظ (التيس)، إذ يستخدم للإشارة إلى الغباء والحمق، بينما كان يستعمل قديماً فى المدح.

١٤ ـ قد يكتسب اللفظ الفصيح عند انتقاله إلى العامية دلالات

جديدة، فكلمة (المفترى) فى الفصحى تعنى مختلق الكذب، وترتبط دلالتها فى العامية بتجاوز الحد بالكذب، أو الظلم، أو البَطَر، أو الاعتداء، ويمكن أن نسمى هذا (توسيع الدلالة).

١٥ ـ أن كثيراً مما ينطق به العامة صحيح فصيح، نحو: (المنجِّد)، فهو من الفعل نجَّد، أى زيَّن.

١٦ ـ ترد بعض الجموع عند العامة مخالفة للجموع الصحيحة، مثل (الحواير)، جمع حارة، والصحيح: حارات.

١٧ ـ هناك ألفاظ تأتى عند العوام محرفة عن ألفاظ فصيحة، مثل قولهم (اِسْتَنَّى)، بمعنى تمهَّلْ، فهو محرف عن تأن أو استأنِ.

١٨ ـ ثمة كلمات تنطق فى العامية بتغيير حركة حرف، مثل (العُجَّة)، وتنطق عند العامة بكسر العين، وعلة الفرار من الضم إلى الكسر السهولة والخفة.

١٩ ـ قد تغير العامة حركة حرف من أحرف الكلمة حتى لا تلتبس الكلمة بغيرها، مثل قولهم (الظُّرف) أى الكِياسة، والأصل الفتح، وقد غُيرت الحركة إلى الضم حتى لا تلتبس الكلمة بكملة (الظَّرف) التى تعنى الوعاء.

٢٠ ـ فى العامية ألفاظ عديدة تنطق بإبدال حرف مكان حرف آخر، مثل (العَفْش)، بمعنى آثاث المنزل، إذ الأصل (الحَفْش)، أبدلت الحاء عيناً، و(اللَّماظة)، وتعنى الفصاحة وطلاقة اللسان، وتنطق فى العامية بإبدال الظاء ضاداً، والدلالة فى العامية قريبة من نظيرتها فى الفصحى، ومثل (المقدونس) وينطق (البقدونس)، بإبدال الميم باء. وقد يتصل الأمر

بتغيير حركة حرف وإبدال حرف آخر، مثل كلمة (القَرنبيط)، وأصلها (القُنَّبيط)، إذ فتحت القاف، وقلبت النون الأولى راءً.

٢١ ـ هناك ألفاظ عامية أصولها أعجمية، مثل: (الجرموق)، و(الزربول)، و(البُوسة).

٢٢ ـ ما يشيع في الكتابة من إلحاق تاء التأنيث في أسماء المهن والوظائف والمناصب، في قولهم مثلاً: فلانة وزيرة، أو مديرة ليس بخطأ؛ إذ قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدم جواز وصف المؤنث في ألقاب المناصب والأعمال بالتذكير، فلا يقال: فلانة وزير، أو فلانة مدير.

* * * *

ثبت بألفاظ البحث (١)

١ ـ آذان الحيطان.

٢ ـ ابن بلد.

٣ ـ آساه.

٤ ـ أغانى.

٥ ـ أوراه.

٦ ـ أوميت.

٧ ـ إيش.

٨ ـ أيوه.

٩ ـ باس.

١٠ ـ بدرى.

١١ ـ برق عينه له.

١٢ ـ بس.

١٣ ـ بسه.

١٤ ـ بودى.

١٥ ـ بوز

١٦ ـ تأنى.

١٧ ـ تربية القاضى.

١٨ ـ تلاشى.

١٩ ـ تنبل.

٢٠ ـ تيس

٢١ ـ جَرَّسَه.

٢٢ ـ جبين.

٢٣ ـ جرموق.

٢٤ ـ جريدة.

٢٥ ـ حارة.

٢٦ ـ حِرز.

٢٧ ـ حريف.

٢٨ ـ حسنة.

٢٩ ـ حسيبك الله.

٣٠ ـ حماتى تحبنى.

---

(١) رتبت هذه الألفاظ حسب أوائلها، دونما اعتبار للأصلى والزائد من الحروف، كما أوردتها غُفْلاً من (آل) التعريف، التى قد ترد فى بعض الكلمات فى ثنايا الدراسة.

٣١ ـ خروج

٣٢ ـ خشنت صدره.

٣٣ ـ خولى.

٣٤ ـ خُوَّة

٣٥ ـ دار على كـــذا ودار به.

٣٦ ـ دست.

٣٧ ـ دشيش.

٣٨ ـ دولاب.

٣٩ ـ ذبانة.

٤٠ ـ ذقن.

٤١ ـ راكب رأسه.

٤٢ ـ رحل.

٤٣ ـ رد الباب.

٤٤ ـ رز.

٤٥ ـ رزمة.

٤٦ ـ زربول.

٤٧ ـ زغلط .

٤٨ ـ زهزهة .

٤٩ ـ زين.

٥٠ ـ سِتّى.

٥١ ـ سكران طينة.

٥٢ ـ سِكّينة.

٥٣ ـ سوى ـ يسوى.

٥٤ ـ الشبرقة.

٥٥ ـ شحات.

٥٦ ـ شراقى.

٥٧ ـ شهيد.

٥٨ ـ شوش.

٥٩ ـ صابور المركب.

٦٠ـ صاحت عصافير بطنه.

٦١ ـ صبر.

٦٢ ـ صنجة.

٦٣ ـ طار.

٦٤ ـ طازة.

٦٥ ـ طرش.

٦٦ ـ طفيلى.

٦٧ ـ طهور ـ طهارة.
٦٨ ـ طوبة.
٧٩ ـ ظرف.
٧٠ ـ عبدلى.
٧١ ـ عجة.
٧٢ ـ عربون.
٧٣ ـ عسله.
٧٤ ـ علوان.
٧٥ ـ عفش.
٧٦ ـ غدارة.
٧٧ ـ غراب.
٧٨ ـ غرف.
٧٩ ـ غيط.
٨٠ ـ فاعل.
٨١ ـ فذلكة.
٨٢ ـ فرط.
٨٣ ـ فسقية.
٨٤ ـ فَشّار.
٨٥ ـ فش.
٨٦ ـ فلان لا ينطلى.
٨٧ ـ فلفل.
٨٩ ـ فوطة.
٨٩ ـ قاقزة.
٩٠ ـ قحبة.
٩١ ـ قد.
٩٢ ـ قرافة.
٩٣ ـ قرنان.
٩٤ ـ قريش.
٩٥ ـ قطايف.
٩٦ ـ قنبيط.
٩٧ ـ كَفْر.
٩٨ ـ كيت وكيت.
٩٩ ـ لحاف.
١٠٠ ـ لماضة.
١٠١ ـ لوبيا.
١٠٢ ـ مأذنة.

١٠٣ ـ مركب.
١٠٤ ـ مسطول.
١٠٥ ـ معادِ.
١٠٦ ـ معلوم.
١٠٧ ـ مفتر.
١٠٨ ـ مقدونس.
١٠٩ ـ مقفص.
١١٠ ـ ملوخيا.
١١١ـ من الباب إلى الطاق.
١١٢ ـ منجد.
١١٣ ـ مهول.
١١٤ ـ ميضة.
١١٥ ـ مينا.
١١٦ ـ ناموس.
١١٧ ـ نرجس.
١١٨ ـ نمل فارسى.
١١٩ ـ هاون.
١٢٠ هذا مجانس هذا.
١٢١ ـ هلك الأبعد.
١٢٢ ـ وسوسة.
١٢٣ ـ وصل.
١٢٤ ـ وصى.
١٢٥ ـ يجىء على الأبلق.
١٢٦ ـ يتفرج.

* * * *

المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر:

الخفاجى : شهاب الدين أحمد الخفاجى المصرى. (ت ١٠٦٩هـ)

ـ شفاء الغليل فيما فى كلان العرب من الدخيل.

تصحيح وتعليق: محمد عبدالمنعم خفاجى.

مكتبة الحرم الحسينى التجارية الكبرى، طـ١ ، (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م).

ثانياً ـ المراجع:

المراجع العامة والمعاجم:

١ ـ الإربلى : (علاء الدين بن على الإربلى) (ت ٦٣١هـ).

ـ جواهر الأدب فى معرفة كلام العرب.

صنعة : إميل بديع يعقوب.

دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، طـ١ ، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٢ ـ الأصبهانى: (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشى). (ت٣٥٦هـ)

ـ الأغانى.

إشراف وتحقيق: إبراهيم الإبيارى.

دار الشعب بالقاهرة، (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).

٣ ـ أمين: (أحمد أمين).

ـ قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية.

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، طـ١، (١٩٥٣م).

٤ ـ ابن الأنباري: (أبو البركات عبدالرحمن بن أبي سعيد الأنباري). (ت ٥٧٧هـ).

ـ الإنصاف في مسائل الخلاف.

تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

المكتبة العصرية، صيدا/ بيرت، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٥ ـ ابن الأنباري: (أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري. (ت ٣٢٨هـ).

ـ الزاهر في معاني كلمات الناس.

تحقيق: حاتم صالح الضامن.

دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، طـ٢، (١٩٨٧م).

٦ ـ البطليوسي: (ابن السِّيد البطليوسي). (ت ٥٢١هـ).

ـ المثلث.

تحقيق ودراسة: صلاح مهدى الفرطوسي.

دار الرشيد للنشر، بغداد، (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) .

٧ ـ البغدادى: (موفق الدين محمد بن عبداللطيف البغدادى النحوى) . (ت ٦٢٩هـ)

ـ ذيل فصيح ثعلب .

نشر وتعليق: محمد عبدالمنعم خفاجى .

مكتبة التوحيد بالجماميز، ط١، (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م) .

٨ ـ البلاذُرى: (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى) . (ت٢٧٩هـ)

ـ فتوح البلدان .

مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م) .

٩ ـ توفيق : (حسن توفيق) . (ت ١٣٢٢هـ =١٩٠٤م) .

ـ أصول الكلمات العامية .

مطبعة الترقى بالقاهرة، (١٣١٧هـ ـ ١٨٩٩م) .

١٠ ـ تيمور: (أحمد تيمور باشا) . (ت ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠م) .

ـ الكنايات العامية .

مطبعة الاستقامة بالقاهرة (د. ت) .

ـ معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية .

تحقيق: د. حسين نصار .

الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٣م).

١١ ـ الثعالبى: (أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى). (ت ٤٣٠هـ).

ـ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب.

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.

دار المعارف بمصر، (١٩٨٥م).

ـ فقه اللغة وسر العربية.

تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبيارى، وعبدالحفيظ شلبى.

مطبعة الحلبى بالأزهر، ط٢، (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م).

ـ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر.

شرح وتحقيق : د. مفيد محمد قميحة.

دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ، ط١، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

ـ الكناية والتعريض.

ضمن كتاب (رسائل الثعلبى أو نثر النظم وحل العقد).

قدم له: على الخاقانى.

مكتبة دار البيان، بغداد/ دار صعب، بيروت. (د. ت).

١٢ ـ الجاحظ: (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ). (ت ٢٥٥هـ).

ـ الحيوان.

تحقيق: عبدالسلام هارون.

مطبعة الحلبى بالأزهر، طـ٢، (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م).

ـ رسائل الجاحظ.

تحقيق: عبدالسلام هارون.

دار الجيل، بيروت، طـ١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

ـ البيان والتبيين.

تحقيق: عبدالسلام هارون.

مكتبة الخانجى بالقاهرة، طـ٥، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١٣ ـ ابن جنى (أبو الفتح عثمان بن جنى). (ت ٣٩٢هـ).

ـ المحتسب.

تحقيق: على النجدى ناصف، وعبدالحليم النجار، وعبدالفتاح إسماعيل شلبى.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

ـ الخصائص.

تحقيق: محمد على النجار.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

١٤ ـ جـــــواد: (د. مصطفى جواد).

ـ قل ولا تقل.

مكتبة النهضة العربية، بغداد، ط١، (١٩٨٨م).

١٥ ـ الجوالـــيقى: (أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى). (ت ٥٣٩هـ).

ـ المعرب من الكلام الأعجمى.

مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، (١٩٦٩م).

ـ التكملة والذيل على درة الغواص.

تحقيق: عبدالحفيظ فرغلى على القرنى.

ضمن كتاب (درة الغواص. شرحها وحواشيها وتكلمتها).

دار الجـــيل، بيـــروت، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

١٦ ـ ابن الجوزى: (أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن على). (ت ٥٩٧هـ).

ـ أعمار الأعيان.

تحقيق: د. محمود محمد الطناحى.

الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٩م) .

١٧ ـ الجوهرى: (إسماعيل بن حماد الجوهرى) . (ت٣٩٣هـ) .

ـ الصحاح.

تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار.

دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان ـ طـ٣، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) .

ـ ديوان الصبابة.

ضمن كتاب (تزيين الأسواق فى أخبار العشاق)، لداود الأنطاكى.

منشورات حمد ومحيو، بيروت، طـ١ . (١٩٧٢م) .

١٩ ـ الحريرى: (القاسم بن على الحريرى) . (ت ٥١٦هـ) .

ـ درة الغواص فى أوهام الخواص.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

دار نهضة مصر للطبع والنشر، (١٩٧٥م) .

٢٠ ـ حسنين: (د. فؤاد حسنين) .

ـ الدخيل فى اللغة العربية.

مجلة كلية الآداب ـ المجلد العاشر، جـ٢ ، ديسمبر ١٩٤٨ ، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (١٩٤٨م) .

٢١ ـ ابن الحنبلى: (رضى الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف).
(ت٩٧١هـ).

ـ بحر العوام فيما أصاب فيه العوام.

تحقيق: د. شعبان صلاح.

دار الثقافة العربية بالقاهرة، طـ١، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

ـ سهم الألحاظ فى وهم الألفاظ.

تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

ضمن كتاب (أربعة كتب فى التصحيح اللغوى).

مكتبة النهضة العربية ـ عالم الكتب ـ طـ١، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٢٢ ـ ابن خالويه: (أبو عبدالله الحسين بن أحمد) (ت ٣٧٠هـ).

ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم.

دراسة وتحقيق: د. فتح الله أحمد سليمان.

دار الحرم للتراث بالقاهرة، طـ١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

٢٣ ـ ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

ـ مقدمة ابن خلدون.

تحقيق وشرح: د. على عبدالواحد وافى.

دار نضة مصر للطبع والنشر، ط٣. (د. ت).

٢٤ ـ ابن خلكان: (أبو العباس شمس الدين بن خلكان). (ت ٦٨١هـ).

ـ وفيات الأعيان.

تحقيق: د. إحسان عباس.

دار صادر، بيروت، (١٩٦٨م).

٢٥ ـ ابن درستويه: (أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه). (ت٣٣٧هـ).

ـ تصحيح الفصيح وشرحه.

تحقيق: د. محمد بدوى المختون.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٦ ـ ابن دريد: (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد). (ت ٣٢١هـ).

ـ الاشتقاق.

تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون.

دار الجيل، بيروت، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٢٧ ـ الدلجي: (أحمد بن على الدلجى) (ت ٨٣٨هـ).
ـ الفلاكة والمفلوكون.
دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، طـ١، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).
٢٨ ـ الدميري: (كمال الدين محمد بن موسى) (ت ٨٠٨هـ).
ـ حياة الحيوان الكبرى.
دار التحرير للطبع والنشر، (١٩٦٥م).
٢٩ ـ ابن رسول: (يوسف بن عمر بن على بن رسول الغسانى التركمانى). (ت ٦٩٤هـ).
ـ المعتمد فى الأدوية المفردة.
تصحيح وفهرسة: مصطفى السقا.
مطبعة الحلبى بالأزهر، طـ٣، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).
٣٠ ـ ابن رشيق: (أبو على الحسن بن رشيق القيروانى). (ت ٤٦٣هـ).
ـ العمدة.
تحقيق د. مفيد قميحة.
دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، طـ١، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٣١ ـ الزُّبيـــدى: (أبو بكر محمد حسن الزبيدى) . (ت ٣٧٩هـ)
ـ لحن العوام.
تحقيق: د. رمضان عبدالتواب.
مكتبة الخانجي بالقاهرة، طـ٢، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).

٣٢ ـ الزَّبيـــدى: (السيد محمد مرتضى الزبيدى) . (ت ١٢٠٥هـ).
ـ تاج العروس.
تحقيق: على شيرى.
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ـ لبنان ، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٣٣ ـ الزجاج : (أبو إسحق إبراهيم بن السرى بن سهل) . (ت٣١١هـ).
ـ تفسير أسماء الله الحسنى.
تحقيق: أحمد يوسف الدقاق.
دار الثقافة العربية، دمشق، طـ٥، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٣٤ ـ الزركلى: (خير الدين الزركلى) . (ت ١٩٧٦م).
ـ الأعلام.
دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان، طـ١٢، (١٩٩٧م).

٣٥ ـ الزمخشرى: (جار الله أبى القاسم محمود بن عمر). (ت٥٣٨هـ).

ـ الفائق فى غريب الحديث.

تحقيق: على محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

ـ أساس البلاغة.

تحقيق : عبدالرحيم محمود.

دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

ـ مقامات الزمخشرى.

دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

ـ شرح الفصيح.

تحقيق ودراسة: د. إبراهيم عبدالله الغامدى.

جامعة أم القرى، (١٤١٧هـ).

ـ الكشاف.

رتبه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد.

دار الريان للتراث بالقاهرة/ دار الكتاب العربى، بيروت، طـ٣، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٣٦ ـ الزّنجاتى: عز الدين عبدالوهاب الزنجانى). (ت ٦٥٥هـ).

ـ شرح المضنون به على غير أهله.

مطبعة السعادة بمصر، طـ١، (١٩١٥م).

٣٧ ـ أبو السرور: (محمد بن أبى السرور الصّديق الشافعى). (ت ١٠٨٧هـ).

ـ القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب.

تحقيق: السيد إبراهيم سالم. مراجعة: إبراهيم الإبيارى.

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (١٩٦٢م).

٣٨ ـ أبو سعد: (أحمد أبو سعد).

ـ معجم فصيح العامة.

دار العلم للملايين، بيروت، طـ١، (١٩٩٠م).

٣٩ ـ ابن السكيت: (أبو يوسف يعقوب إسحق). (ت ٢٤٤هـ).

ـ إصلاح المنطق.

شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون.

دار المعارف، طـ٤، (د. ت).

٤٠ ـ ابن سلام: (أبو عُبيد القاسم بن سلام). (ت٢٢٤هـ).
ـ الغريب المصنف.
تحقيق: د. رمضان عبدالتواب.
مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، طـ١، (١٩٨٩م).
٤١ ـ ابن سَلَمة: (المفضل بن سلمة بن عاصم). (ت ٢٩١هـ).
ـ الفاخر.
تحقيق: عبدالعليم الطحاوى. مراجعة: محمد على النجار.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٤م).
٤٢ ـ سيبويه: (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر). (ت ١٨٠هـ).
ـ الكتاب.
تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، طـ٢، (١٩٧٧م).
٤٣ ـ ابن سيده: (أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى الأندلسى). (ت ٤٥٨هـ).
ـ المخصص.
قدم له: د. خليل إبراهيم جفال.
دار إحياء التراث العربى، بيروت ـ لبنان طـ١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٤٤ ـ السيرافـي: (أبو سعيد السيرافى) . (ت ٣٦٨هـ) .
ـ ضرورة الشعر.
تحقيق: د. رمضان عبدالتواب.
دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) .
٤٥ ـ السيوطـي: (جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى) (ت ٩١١هـ) .
ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها.
شرح وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.
ـ الإتقان فى علوم القرآن.
تقديم وتعليق: د. مصطفى ديبا البُغا.
دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/ بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) .
٤٦ ـ شيـــر: (آدى شير) .
ـ الألفاظ الفارسية المعربة.
دار العرب للبستانى بالقاهرة، ط٢ (١٩٨٧، ١٩٨٨م) .
٤٧ ـ الصفدى: (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى) . (ت ٧٦٤هـ) .

ـ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف.
تحقيق: السيد الشرقاوى. مراجعة: د. رمضان عبدالتواب.
مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).
ـ الغيث المسجم فى شرح لامية العجم.
دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).
٤٨ ـ الصَّقلى: (ابن مكى الصقلى). (ت ٥٠١هـ).
ـ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان.
تحقيق: د. عبدالعزيز مطر.
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).
٤٩ ـ ابن عبدربه: (أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسى). (ت ٣٢٨هـ).
ـ العقد الفريد.
دار إحياء التراث العربى، بيروت ـ لبنان، ط٣، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).
٥٠ ـ عبدالعال: (د. عبدالمنعم سيد عبدالعال).

ـ معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية.

مكتبة النهضة المصرية، (١٩٧١م).

٥١ ـ العسكرى: (أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل). (ت ٣٩٥هـ).

ـ جمهرة الأمثال.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش.

دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط٢، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٥٢ ـ عطيـــة: (رشيد عطية).

ـ معجم عطية فى العامى والدخيل.

دار الطباعة والنشر العربية، سان باولو ـ البرازيل، (١٩٤٤م).

ـ الدليل إلى معرفة العامى والدخيل.

لا ط. (د. ت).

٥٣ ـ العنيســى: (طوبيا العنيسى).

ـ تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية.

دار العرب للبستانى بالقاهرة، (١٩٦٤، ١٩٦٥م).

٥٤ ـ عيســــــى: (د. أحمد عيسى).
ـ المحكم فى أصول الكلمات العامية.
مطبـعــة الحلبى بالأزهر، ط١، (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م).
٥٥ ـ ابن فــارس: (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا). (ت ٣٩٥هـ).
ـ مجمل اللغة.
تحقيق: الشيخ شهاب الدين (أبو عمرو).
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).
٥٦ ـ الفيروزآبادى: (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى). (ت ٨١٧هـ).
ـ القاموس المحيط.
مـؤسـسـة الرسـالة، بيـروت ـ لبنان، ط٢، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).
٥٧ ـ الفـيـومــــى: (أحـمـد بن مـحـمـد بن على الفـيـومى). (ت ٧٧٠هـ).
ـ المصباح المنير.
مكتبة لبنان، (١٩٨٧م).
٥٨ ـ القالــــــى: (أبو على إسماعيل القالى). (ت ٣٥٦هـ).

ـ الأمالى.
لجنة إحياء التراث العربى.
دار الجيل/ دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).
٥٩ ـ ابن قتيبة: (أبو محمد عبدالله بن مسلم). (ت ٢٧٦هـ).
ـ أدب الكاتب.
تحقيق: محمد الدالى.
مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط٢، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).
٦٠ ـ القرطبى: (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر الأنصارى القرطبى). (ت ٦٧١هـ).
ـ تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن.
دار الغد العربى بالقاهرة، ط٣، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).
٦١ ـ القنوجى: (أبو الطيب صديق بن حسن بن على القنوجى) (ت ١٣٠٧هـ = ١٨٩٠م).
ـ لف القماط.
مطبعة مدينة بهوبال. (١٢٩٦هـ ـ ١٨٧٨م).
٦٢ ـ الكتبى: (محمد بن شاكر الكتبى). (ت ٧٦٤هـ).
ـ فوات الوفيات.

تحقيق: د. إحسان عباس.

دار صادر، بيروت، (١٩٧٣م).

٦٣ ـ الكرملـــى: (الأب أنستاس الكرملى).

ـ النقود العربية والإسلامية وعلم النميات.

مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ط٢، (١٩٨٧م).

٦٤ ـ لامنـــس: (الأب هنريكوس لامنس اليسوعى).

ـ فرائد اللغة فى الفروق.

مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، (١٩٩٩م).

٦٥ ـ ابن ماجه: (أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى).
(ت ٢٠٩هـ).

ـ سنن ابن ماجه.

مطبعة الحلبى بالأزهر، (١٣٧٢هـ).

٦٦ ـ متـــولى: (د. أحمد فؤاد متولى).

ـ الألفاظ التركية فى اللهجات العربية وفى لغة الكتابة).

دار الزهراء للنشر بالقاهرة، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٦٧ ـ المجمـــع: (مجمع اللغة العربية).

ـ المعجم الوسيط.

ط٣. (د. ت).

ـ فى أصول اللغة.

جـ٣، طـ١، الصفحات من ٥٩ ـ ٦٢، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣).

٦٨ ـ المـــرادى: (الحسن بن قاسم المرادى). (ت ٧٤٩هـ).

ـ الجنى الدانى فى حروف المعانى.

تحقيق: د. فخر الدين قباوه، ومحمد نديم فاضل.

دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان، ط٢ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٦٩ ـ ابن المرزبان: (أبو بكر محمد بن خلف). (ت ٣٠٩هـ).

ـ تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب.

تحقيق: د. عصام محمد شبارو.

دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (١٩٩٢م).

٧٠ ـ المعـــرى: (أبو العلاء المعرى). (ت ٤٤٩هـ).

ـ عبث الوليد.

تصحيح: محمد عبدالله المدنى.

مكتبة النهضة المصرية، طـ٨. (د. ت).

٧١ ـ مغـــاورى: (د. سعيد مغاورى محمد).

ـ الألقاب وأسماء الحرف والوظائف فى ضوء البرديات العربية.

مطبعة دار الكتب المصرية، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٧٢ ـ المقدسي: (تقي الدين عبدالغني بن عبدالواحد بن علي المقدسي). (ت ٦٠٠هـ).

ـ محنة الإمام أحمد بن حنبل.

تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٧٣ ـ ابن منظور: (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم). (ت ٧١١هـ).

ـ لسان العرب.

تحقيق: مجموعة من الباحثين.

دار المعارف، (١٩٧٩م).

٧٤ ـ الموسوعة العربية الميسرة

إشراف: محمد شفيق غربال.

دار الجيل، بيروت، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

٧٥ ـ الميداني: (أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني). (ت ٥١٨هـ).

ـ مجمع الأمثال.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

مطبعة الحلبي بالأزهر. (د. ت) .

٧٦ ـ النخيـــلي: (درويش النخيلي) .

ـ السفن الإسلامية على حروف المعجم.

جامعة الإسكندرية، (١٩٧٤م) .

٧٧ ـ ابن النفيس: (علاء الدين على بن أبي الحزم القرشي) . (ت ٦٨٧هـ) .

ـ الموجز في الطب.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ط٢، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) .

٧٨ ـ النيسابوري: (الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري) . (ت ٤٠٦هـ) .

ـ عقلاء المجانين.

المكتبة الحيدرية، بغداد، (١٩٦٨م) .

٧٩ ـ هـــارون: (عبدالسلام هارون) .

ـ كناشة النوادر.

مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) .

٨٠ ـ ابن هشام : (عبدالله بن يوسف النحوي المصري الأنصاري)، (ت ٧٦١هـ) .

- مغنى اللبيب.
تحقيق : محمد محيى الدين الدين عبدالحميد.
المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
٨١ - ابن هشام : (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن هشام اللخمى). (ت ٥٧٧ هـ).
- المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان.
تحقيق : مأمون بن محيى الدين الجنان.
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٨٢ - وهبة: (د. مجدى وهبة).
- معجم مصطلحات الأدب.
مكتبة لبنان، بيروت، (١٩٧٤م).
٨٣ - ياقوت: (أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى). (ت ٦٢٦هـ).
- معجم البلدان.
دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- معجم الأدباء.

دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٨٤ ـ اليسوعى: (الأب رفائيل نخلة اليسوعى).

ـ غرائب اللغة العربية.

در المشرق، ط٢، (١٩٥٩م).

٨٥ ـ اليمانى: (عبدالباقى عبدالمجيد اليمانى). (ت ٧٤٣هـ).

ـ إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين.

تحقيق: د. عبدالمجيد دياب.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

ب ـ الدواوين:

١ ـ ديوان البارودى.

تحقيق: على الجارم، ومحمد شفيق معروف.

دار المعارف بمصر، (١٩٧١م، ١٩٧٤م).

٢ ـ ديوان البهاء زهير.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد طاهر الجبلاوى.

دار المعارف بمصر، ط٢. (د. ت).

٣ ـ ديوان عنترة بن شداد.

شرح: د. يوسف عيد.

دار الجيل، بيروت. (د. ت).

٤ ـ ديوان الفرزدق.

دار صادر، بيروت (د.ت).

٥ ـ ديوان النابغة الذبيانى

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

دار المعارف بمصر، طـ٣، (١٩٩٠م).

ديوان النابغة الذبيانى.

المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان (د. ت).

٦ ـ ديوان أبى نواس.

ضبط وشرح: إيليا الحاوى.

دار الكتاب اللبنانى، (١٩٨٧م).

* * * * * *

* * * * *

* * * *